الأنبـــاء الخفيـــة

عن الشيعة العلوية

الحاج يوسف خليل محمد

مؤسس الجمعية الخيرية الجعفرية الإسلامية

في صافيتا ـ سوريا

الدار الإسلامية

بيروت ـ لبنان

الأنبـاء الخفيـة
عـن الشيعة العلويـة

الطبعـــة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

الدار الإسلامية

حارة حريك - شارع دكاش

هاتف : ٨٢٠٠٣١ - ٨٣٥٦٧٠ ص.ب ١٤/٥٦٨٠

الأنبـــاء الخفيـــة

عن الشيعة العلوية

الحاج يوسف خليل محمد

مؤسس الجمعية الخيرية الجعفرية الإسلامية

في صافيتا ـ سوريا

الـدار الإسـلامية

بيــروت ـ لبـــنان

بسم الله الرحمن الرحيم

فضائل الإسلام الجامع وتجاوز العصبية والمذهبية في أنباء الحاج يوسف خليل محمد العصفوري الخفية عن الشيعة العلوية

بقلم: صبحي حسين عبد الوهاب الهندي

تخضع العصبيات الطائفية والمذهبية في المجتمع العربي الإسلامي لوصاية إيديولوجية تجد جذورها في الأحقاد التاريخية التي تعزز مكانة التنافر الديني. فينسحب الصدام أمام التباين في تفسير القواعد والنصوص المقدسة ليواجه كيفية تطبيق المبادىء والتعاليم الأساسية على القضايا العملية التي تتداخل فيها العلاقات الاجتماعية بالمصالح الاقتصادية.

وأدرك الإمام الصادق(ع) مخاطر السجال العقدي وحذر من سلوكيات الافتراء والطعن والتشهير. وحثّ على اجتناب كل ما يوغر الصدور بقوله: «إياكم والخصومة في الدين فإنها تحدث الشك وتورث النفاق». فجهر بحقيقة تنشد قيام الفقهاء بدور تاريخي لتطبيق النظرية الإسلامية على حياة الجماعة في أبعادها الإنسانية والحضارية. واعتبر التعدد دافعاً للتقارب والتآلف الشعوري إلتزاماً بما جاء في الآية ١٥٩ من سورة الأنعام في القرآن الكريم: **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾**. فأعرض الحاج العصفوري عن استحضار فواجع التاريخ وربما أراد في مؤلفه القول: إن ما فات المسلمين في

القرون الوسطى لا ينبغي أن يفوتهم في هذا العصر الذي شهد تقارباً في الأشواق الوجدانية الإنسانية واتجاهاً في الحياة الاجتماعية نحو الخير والتجديد والعدل والرفق والحرية وسائر المثل والقيم العليا وأن لا يبقوا على حالة الهوان في وجودهم فيتركون أمورهم إلى مخالفيهم الذين ينتهزون واقع الجمود والتحجر في النفوس وهو المغاير لحركية النصوص في مواكبتها لمتطلبات الحياة المعاصرة في التجديد والتقدم فيسهل عليهم القضاء على تحقيق أية نهضة إسلامية في التقريب بين المذاهب الإسلامية التي استطاع الحاج العصفوري طرحها بامتياز في كتابه الذي نرى فيه مجانبة للتاريخ الأيديولوجي مستلهماً طروحات الإسلام الجامع في الآراء المتعددة لباقة من رجال الفكر والإصلاح في الدين والدنيا التي تؤكد على التفاعل المتعدد في المجتمع العربي الإسلامي الواحد، فالإسلام ليس مذهباً دينياً أو حزباً سياسياً ويقع على مستنيري الحالة الإسلامية الانصراف إلى إبداع صيغة دقيقة تتوازن فيها عودة السياسي للقيام بوظائف تدبير الشؤون العامة والفقهي في استنباط الحلول الملائمة من الشريعة والعمل على بلورة عقلانية التسامح داخل الخطاب الإسلامي المعاصر.

الإفتتاحية

لم أجد أحلى وأشهى من كلمات سيادة العماد مصطفى طلاس نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع التي وردت على صفحات مجلة المستقبل وأعادت نشرها مجلة جيش الشعب في عددها رقم ١٦٠٢ الصادر في الأول من آذار من عام ١٩٨٨ .

وكان لحديث سيادته الشيّق أطيب الأثر في نفسي لأنه حديث لمؤرخ منصف وصديق حميم لابن الشعب البار سيادة الرئيس حافظ الأسد الذي سجل ببطولاته الخالدة ومواقفه العربية النبيلة وإيمانه العميق بدينه ووطنه وعروبته صفحات ناصعة البياض مضيئة الأحرف بالنور والحق.

وبهذا الحديث أفتتح كتابي: «الأنباء الخفية عن الشيعة العلوية».

الإهـداء

إلى الرجل الذي أوكل القلم إلى ضمير صاحبه.

وأعطى للفكر مداه وحريته ووقف إلى جانب الخير والإصلاح فوجدا عنده المناخ الطيب.

إلى سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية القائد الصلب المفدى حافظ الأسد.

أرفع هذه الصفحات ثمرة لجهدي المتواضع في كنف عهده الميمون وقيادته المظفرة.

الحاج يوسف خليل محمد العصفوري

حديث سيادة العماد طلاس لمجلة (المستقبل) الصادرة في العاصمة الفرنسية قبل أن تتوقف عن الصدور

كتب ياسر عبد ربه من دمشق يقول:

«العماد مصطفى طلاس صديق للصحافة ورجالاتها. مغرم بالكلمة الحلوة كما هو مغرم بالشعر الجميل بل هو صانع للكلمة وصانع للشعر.

وإلى جانب مناصبه الرسمية في الدولة كنائب للقائد العام وعضو في القيادة القطرية ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع فهو صديق مخلص للرئيس (حافظ الأسد) شاركه في النضال يوم كان النضال ثم شاركه في العمل الحزبي ثم في الحركة التصحيحية وهو رفيق دربه منذ خمسة وثلاثين عاماً ونيف.

وهذا اللقاء مع العماد طلاس كان يهدف إلى كشف جوانب هامة عن شخص الرئيس الأسد، هذه الجوانب التي لا يعرفها إلاّ العماد مصطفى طلاس. ففي مكتبه بوزارة الدفاع بدمشق استقبلني كعادته باسماً مستبشراً واثقاً من مستقبل أمتنا ومستقبل أجيالها القادمة ودار الحوار الآتي:

ـ **المستقبل**: المعروف أنك من أقرب الأصدقاء للرئيس (حافظ الأسد) وهذه الصداقة عمرها أكثر من ثلاثين سنة فما هي دعائمها.. ومقوماتها؟.

ـ **العماد طلاس**: بل عمر صداقتنا خمس وثلاثين سنة. وبضعة أشهر. . . إذ كان أول لقاء بيننا في أول تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ في الكلية الحربية ثم دخلنا الكلية الجوية معاً، ولأنه كان مسؤولاً عن الرفاق في اللاذقية، وأنا في حمص. فقد كثرت اللقاءات الحزبية وهذه الصداقة المعمرة هي بالنسبة لي عمر آخر أعتز به كعمري وزيادة. فحافظ الأسد من أكبر الأوفياء عند العرب، ومتى قلت العرب عنيت أنه من أكبر الأوفياء في العالم، وهذه الخلة جعلتني له خلاً. . ناهيك بالعقيدة القومية والحزب الواحد والرؤية التقدمية.

ومتى عرفت مقدار حاجة الأمة للرجل العبقري. ذي المواهب النادرة ومتى عرفت أنني في موقع يجعلني أدرى من غيري به. وبما تنطوي عليه شخصية الرجل من مواهب لذلك أحببته كثيراً، فالمعرفة من أهم العناصر المحرّكة للوجد. .

وفي تراثنا، معشر العرب، أن الجمال هو الذي يقود إلى المحبة وحافظ الأسد منجم جمال وكمال معاً.

ـ **المستقبل**: قلت إنه من أوفى الرجال في العالم. وهنري كيسنجر يقول في مذكراته عنه، أنه من أذكى الرجال السياسيين في الشرق الأوسط، فكيف أعطى كيسنجر هذا الوصف وهو من أصدقاء إسرائيل.

ـ **العماد طلاس**: هذا ما كتبه كيسنجر في مذكراته، أما الذي لم يكتبه فقاله للرئيس ذات يوم. وكنت أحضر شخصياً كثيراً من المحادثات.

أحمد الله يا سيادة الرئيس، أنك لم تكن رئيساً لدولة أوروبية كبرى. . وإلاّ لكنت دوخت الولايات المتحدة الأميركية. .

وأنا أضيف إلى كلام كيسنجر حول الذكاء والتدويخ، كلمتين:

الأولى: أن (حافظ الأسد) ليس أذكى الرجال في الشرق فحسب، ولكن في الغرب أيضاً.

والثانية: ان حافظ الأسد ـ حتى لو لم يكن رئيساً لدولة عظمى ـ سيبقى يدوخ أميركا.. مادامت أميركا تحب الهيمنة. وحافظ الأسد يرفض الانصياع.. لذلك ليس كثيراً على كيسنجر، ولو كان من أصدقاء إسرائيل أن يتوصل إلى بعض الحقيقة.

ـ **المستقبل:** يقال إن الرئيس الأسد لا يساوم على المبادىء، وهو في هذا الموضوع صلب حتى مع أقرب الناس إليه، ماذا عنه لو تعارضت الأمور؟.

ـ **العماد طلاس:** الأسد أصلاً لا يساوم لا على المبادىء، ولا على السلع. كنا إذا دخلنا دكان تاجر. واحتاج لسلعة دفع ومشى.. على خلاف المعروف في الشرق والغرب أيضاً.. كان يستحي من المساومة وهو دوماً مع الكافة. وليس مع الخاصة، حتى أن خاصته هم من سائر الناس وهمّ الأسد سائر الناس.. وأنا أعرف بعضاً من عائلته خالفوا النظام وتحاشاهم من بيده الأمر. لكنهم لم يسلموا من أمر الأسد الذي زج بهم في السجن. حتى يبقى النظام هو الأقوى وحتى لا تتعرض هيبة القانون لسيادة غير سيادة القانون.

ـ السيد الرئيس يتطلع إلى تضامن عربي يكون حصناً للتقدم والحرية والحياة المستقلة الشريفة.

ـ **المستقبل:** ما هي هموم الرئيس الرئيسية.

ـ **العماد طلاس:** ان استطعت أن أدخل إلى قلبه، يكون لي شرف الجواب عنه، فأرى أن شاغل باله هو تحرير الأرض، وهذا لن يحصل بدون التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل، ولا عجب أن يكون هذا هو همّ الرئيس. أليست المسألة تتعلق بحفظ البقاء، وهل هناك همّ أكبر من مسألة حفظ البقاء على أن حسن البقاء همّ آخر هو بحجم ذاك.

فبناء سورية الحديثة يقع في المنظور المستمر الذي لا يغيب لحظة عن

نظر الأسد، وبين حفظ البقاء وحسنه يتحرك الأسد. ويتطلع إلى تضامن عربي، لا يكون مظلة لتغطية المصالح الأميركية. بل يكون حصناً للتقدم والحرية والحياة المستقلة الشريفة.

ـ السيد علي سليمان الأسد والد (السيد الرئيس) له يد طولى في قيادة النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي.

ـ المستقبل: العالم لا يعرف شيئاً تقريباً عن طفولة الرئيس، والبيئة والبيت.. والوالد فأين نشأ الرئيس وكيف؟.

ـ العماد طلاس: على السفح الغربي، من سلسلة جبال العلويين، وعلى بعد (٢٨) كيلو متراً من مدينة اللاذقية وبين القلاع الشماء، والغابات التي تشبه عرائن الأسود تقع قرية القرداحة مسقط الرأس.. ومن ندى البيادر قبيل الفجر. وعلى نار حطب السنديان، يوم يهطل الثلج. ومن رائحة الخبز المشوي على التنانير والصاجات ومن عودة الراعي بقطيعه مع منجيرة المساء، ومن ألق الضياء وصفاء الماء ورائحة الورد الجوري المعرش على السواقي، والعيون والوديان.. وفي صميم أسرة فلاحية عريقة تملك الأرض الطاهرة وتحبها، وتغار عليها عاش (حافظ الأسد) طفولته وصباه ومن هذه البيئة تحصل له حسّ ريفي نادر، انقلب إلى حب للشعب عجيب، على أنه تحصل له من والده حسّ في الوطنية أعجب.. وأنها لسانحة يفسح لي فيها المجال لفتح أجمل ملف، لهذا العقل الوطني الراسخ، أعني القرداحة.

كان ذلك في تموز سنة ١٩٣٦، والوفد السوري في باريس يفاوض.. وتصل إلى العاصمة الفرنسية مذكرة من بعض من يدعي تمثيل الجبل.. تتنكر للوفد، وتطالب بتكريس الانفصال وتتعرّى من العروبة والإسلام وينتفض الجبل، ويتداعى إلى القرداحة في أكبر حشد شعبي وباسم مئتي ألف علوي رفعت مذكرة ونشرتها جريدة القبس الدمشقية في الثلاثين من تموز عام ١٩٣٦. وفيها وضعت النقاط على الحروف. حول تكاملية الجبل مع القطر،

وأن الجبل العلوي مسلم ويعمل على المذهب الجعفري الذي هو أحد مذاهب الإسلام الخمسة، وأنه لا بديل عن عروبته، وأن العلويين. لا يرضون بغير الوحدة. وكان رأس من قاد هذا التجمع هو (علي سليمان الأسد). والد الفتى (حافظ الأسد) الذي كان عمره يومها لا يتجاوز ست سنوات. على أن لي، مع والد الرئيس موعداً آخر، كان قبل شهر من مؤتمر القرداحة فقد عثرت منذ سنتين، وأنا أترأس لجنة تضم عشرة مؤرخين كبار من أساتذة الجامعة مهمتها كتابة تاريخ سورية الحديث وكنت قد طلبت من الأستاذ يوسف زخور والدكتور جوزيف حجار أن يقوما بتصوير كل أرشيف فترة الانتداب من وزارة الخارجية الفرنسية أقول عثرت على وثيقة تقول إن (علي سليمان الأسد) مع ستة بينهم الشيخ صالح العلي كانوا أول من طالب فرنسا بإعادة اللاذقية إلى حضن الوطن الأم سورية.

وهذه الوثيقة تحمل الرقم ٣٥٤٧، ومؤرخة في ١٥ حزيران عام ١٩٣٦ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بند العرائض.

وأما الثالثة فقد رواها لي عم زوجتي السيد إحسان الجابري لمّا كان محافظاً للاذقية، فقد جاءه جماعة من آل الكنج وكانوا يومها متعاطفين مع سلطات الانتداب الفرنسي، وهددوه إن هو لم يكف عن عدائه لفرنسا فلسوف يتولُّون هم تأديبه، وحار الرجل المسالم النبيل، كيف يتصرف. وكان (علي سليمان الأسد) حاضراً فقال لإحسان والجماعة حاضرون: مادمت على حق وتعمل لصالح الوطن، فأنا معك. وأهلي معك وكل الجبل معك. وسأرسل لك هذه الليلة جماعة من أهلي ليتولوا حراسة المحافظة والمنزل، وليكن ما يكون.. وخشي آل الكنج الفتنة بعدما رأوا عشرين رجلاً من القرداحة (معظمهم من آل الأسد) قد وضعوا أنفسهم في رهان مع المجهول. من أجل مصلحة الوطن.

ـ المستقبل: بمن من المفكرين.. تأثر فكر الرئيس الأسد ومن منهم ترك بصماته؟.

ـ **العماد طلاس:** في الأصل، حافظ الأسد، قارىء من النوع النادر. وفي تراثنا العربي جودة خلقية في هذا المضمار لا تبارى.. أستاذه الأول محمد بن عبد الله الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه. وكذلك الأسد درَّبه نبيُّه فأحسن تدريبه.. والشعر العربي جمال وفروسية.. ونهج البلاغة، وابن خلدون أستاذ في علم الاجتماع مثل غوستاف لوبون.. لكني عندما أنظر إلى مقدار واقعية فكر الأسد الاشتراكي، يقفز إلى ذهني فوراً هيغل.. نعم، الأسد برأيي هو هيغل العصر.

ـ **المستقبل:** من هي الشخصيات العربية ذات المكانة الخاصة في قلب الرئيس؟.

ـ **العماد طلاس:** إذا استثنينا الخلفاء الراشدين فإن عمر بن عبد العزيز وسيف الدولة وصلاح الدين.. وعبد الناصر وهواري بومدين، وفيصل بن عبد العزيز الذي كان من أكثر المقدرين لشخصية الأسد، وما طفق يقول للأميركان..

أنظروا ماذا يقول الأسد.. حتى امتدّت إليه يد مخابراتهم في قلب مكتبه، فكان أوّل شهيد للقدس.

ـ **المستقبل:** والأجنبية..؟.

ـ **العماد طلاس:** لينين. وهوشي منه.. وديغول.. وبسمارك. وغاندي وصديقه تيتو. ولا ننسى أندروبوف الذي كان يبادله التقدير. أليس هو القائل، لن نسمح لأحد بأن يستفرد سورية.

ـ **المستقبل:** في حرب تشرين، قيل إنّ الرئيس أمر بنفسه بإعدام الكثير من الضباط والجنود الذين تقاعسوا على الجبهة. هل هذا صحيح؟.

ـ **العماد طلاس:** لم يتقاعس أحد. كانت سورية كلها خلية نحل، لم يخرج من صفوفنا متآمر.. أو متمرد أو خائن، أما التقاعس وعدم تنفيذ التعليمات العسكرية فهناك قانون العقوبات العسكرية ومحاكم الميدان التي

أناط القانون أمر تصديق أحكامها لوزير الدفاع. فكيف يزج اسم رئيس الجمهورية في هذا الموضوع ثم إن الأسد رجل سلام حقيقي يشفق لقطّة، سقطت في الشارع. ويكره من الألوان الأحمر لا لسبب، إلاّ لأنه كلون الدم.

ـ المستقبل: عرفت سورية منذ الحركة التصحيحية، أي منذ تولّي الرئيس الأسد المسؤولية. فترة استقرار سياسية غير معهودة في البلد إذا قوبلت بما سلف أي كثرة الانقلابات إلى ماذا يعود ذلك.

ـ العماد طلاس: أنت قلتها. يعود ذلك إلى الحركة التصحيحية؟.

ـ المستقبل: البعض يردها إلى تعدد أجهزة الأمن.

ـ العماد طلاس: أجهزة الأمن كانت موجودة قبل الحركة التضحيحية. والاستقرار لم يتوفر إلاّ ليدلك هذا على أنّه جتى أجهزة الأمن كانت تحتاج إلى الحركة التصحيحية.

المستقبل: ما هي الأسباب والدوافع التي أدّت إلى قيام الحركة التصحيحية؟.

ـ العماد طلاس: في الحقيقة كان كل شيء في الحزب جيداً. ولكن كل شيء كان يجلس على رأسه. ويتولى حافظ الأسد تجليس الأشياء المقلوبة يبدو لي وكأنّه كان مجبراً تطليع الفجر. وجد أنه كان أقوى من انضباطه. سواء في الحزب. أو في الجيش. وذلك أن الشعب هو الأهم.

ـ المستقبل: ألا تشاركني الاعتقاد بأن أجهزة الإعلام السورية قد قصرت كثيراً في إبراز هذه الناحية الوطنية من حياة أسرة الرئيس الأسد.

ـ العماد طلاس: هناك مثل يقول: (الإنسان قصير بحق نفسه) والرئيس الأسد يملك خصوصية هامة من هذا النوع لكن موقف والد الرئيس لم يكن موقف أسرة الأسد مثلما هو موقف وقفه الكثير من المواطنين ومع ذلك فإني أشاركك الرأي بأن هناك تقصيراً إعلامياً.

ـ **المستقبل**: هل صحيح أن الرئيس الأسد لا يرتاح كثيراً للنقاش والحوار؟.

ـ **العماد طلاس**: الرئيس حافظ الأسد، أبعد رجالات العصر عن التسلطية. ولعله في قيادة الحزب ومؤتمراته آخر من يتكلم. صحيح أن القرار له.. ولكن أي قرار اتخذه وما أذهل. وسل المبدعين. هل يأتون بالروائع. إلاّ بعد التأمّل والمعاناة وطول البال؟ وكيف لا يرتاح إلى النقاش، محاور يجعل واحداً مثل كيسنجر يدوخ؟.

السيد الرئيس أب لكل هذا الشعب:

ـ **المستقبل**: هل لدى الرئيس الأسد الوقت لرعاية أولاده وتوجيههم، وهل أولاده يملكون امتيازات معينة؟.

ـ **العماد طلاس**: بالنسبة للوقت أقول لك: لا؟ وخصوصاً بعد ٨ آذار. ولماذا يخص حافظ الأسد أولاده بامتيازات. وهو أب لكل هذا الشعب؟.

ومع ذلك تذكّر أن سويْعة الغذاء. مع حافظ الأسد ترسم لولده طريقه المستقبلي لمئة سنة. أنا أعرف أن كبار شعراء العرب يتمنون لقاء ساعة معه ليجددوا نشاطاتهم الفكرية وليبدعوا الذي ما رآه أو سمع مثله أحد في هذا العصر.

ـ **المستقبل**: ما هي أحب المناسبات لقلبه؟.

ـ **العماد طلاس**: القراءة والثقافة والاطلاع على كل جديد ليبقى مواكباً لتطور الإنسانية وتقدمها.

ـ زيارة الجنود في مواقعهم المتقدمة. من الجبهة والتحدّث إليهم.

ـ زيارة الشهداء لوضع الورد وقراءة الفاتحة.

ـ لقاء الجماهير.

ـ لقاء أهل العلم والأدب والاستماع إلى الموسيقى الأصيلة والأغنية ذات المحتوى، وهو يصغي للشعر الجيد ويطرب له. أكثر من المأمون وأبي جعفر المنصور. حتى يكاد أحياناً ينسى بأنه رئيس الجمهورية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، واجعلنا اللهم لهم شيعة وتبعاً وموالين بهداهم مهتدين، وبنور معارفهم مستنيرين، فهم صراطك المستقيم الذي أنعمت به على أوليائك المؤمنين وأهل طاعتك أجمعين.

ـ قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

﴿قال لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان﴾، وعرفاناً بمنن الله وآلائه التي لا تحصى فقد وفقت للهداية والاهتداء بهدي سيد الأنبياء، والرسل وأهل بيته أهل العصمة، صلوات الله وسلامه عليهم، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا. والذي مدحهم الإمام الشافعي قائلاً:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ولفرط حبي فيهم وعظيم شوقي للتمتع بأقوالهم التي لم يرو غليلي، ولم يشف عللي سواها، أكثرت من قراءتها، وبعد أن قرأت ما قرأت خلال خمس وأربعين عاماً خلت، واطلعت على ما اطلعت عليه من هذه الكنوز الدفينة، والجواهر المخزونة، وقفت وقفة تأمل، وفتحت عين بصيرتي، وقارنت بين ما قرأته واطلعت عليه، وبين ما رضعته مع الحليب منذ طفولتي وحتى الثامنة عشرة من عمري حينما بدأت بالقراءة عن فهم، فوجدت أن هذا هو ديني

ومعتقدي، وهذا هو محض ولايتي ومذهبي، فحمدت الله الذي خلقني مؤمناً آمناً فائزاً مع المؤمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقد راجعت ما شاهدته وسمعته ولمسته من إخواني العلويين وأؤكد إخواني العلويين فقط... من قضى نحبه منهم ومن ينتظر فوجدت أنّ الجميع بلا استثناء ينهجون معي نفس النهج ويدينون مثلي بنفس الدين، ويؤمنون كما أؤمن بنفس الإيمان، وراجعت أيضاً مؤلفاتهم وأقوالهم وأشعارهم ودواوينهم فوجدتها جميعها تنبع من معين واحد، وتصب في بحر واحد، والنبع الذي يغرفون منه علومهم وينهلونها: القرآن الكريم كتاب الله وأحاديث أهل العصمة وهما الثقلان اللّذان تركهما لنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله. والتي بتمسكنا بهما ولله الحمد لن نضلّ أبداً. والبحر الذي تصب فيه هي القلوب الواعية المؤمنة هي الأوعية النقية الشفافة الطاهرة العلوية.

وقد وجدت الحق الذي أحق أن يتبع أن في صفوف العلويين ومن بين من يحملون الهوية العلوية من لا يعرف عن العلوية إلاّ اسمها، وحتى هؤلاء المقصرون في إقامة الحدود الشرعية لو قُطِع خيشوم أحدهم ما فرط في المحبة الصادقة لموالينا أهل العصمة، ويرجون أن يغفر الله لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخّر بشفاعتهم وحبهم لهم، ويعتقدون أنّ القرآن الكريم كتاب الله دستورهم ومرجعهم وبه يتبركون، ولم يخل بيت واحد منهم من نسخة شريفة منه أو أكثر وهو من أعظم المقدسات عندهم، لدرجة أنه لو نشب خلاف فيما بينهم على شيء من أمور الدنيا فيعود الخصمان للاحتكام إليه، ويطلب بيّنة ممن ادّعى ويميناً عليه ممن ينكر ويُحل الخلاف.

ولكن بعد أن سمعت ما يقال وما قيل عن هذه الفئة المسلمةُ المؤمنةُ والتي تشرفتُ ببنوّتي فيها ومنها، عدت إلى كتب التاريخ التي ظننت أنني سأجد فيها ضالتي المنشودة، ولكن وللأسف عندما قرأت كتب التاريخ القديم والحديث وجدتها تنهج نهجاً واحداً، والمؤرخون المنصفون لا يوجد إلاّ القلة

القليلة منهم، ومعظمهم يؤرخ ما تمليه عليه مصلحته المادية والدنيوية فقط. وما تقربه من الحكام والحاكمين والسلطة ورجالها والمتسلطين زلفا.

فطويت كشحاً عن أقوال هذه الفئة، وعدت إلى ما كتبه الآخرون وهم القلّة، فوجدتها تنطبق انطباقاً قريباً على أقوال المنصفين الصادقين والذين لا تأخذهم في الله والحق لومة لائم، ولكن وللأسف هذه الفئة ظلّت مغمورة ولم يؤخذ بأقوالها كما يجب.

ثم استمعت إلى اقتراحات القائلين بإعادة كتابة التاريخ على أساس صحيح وصادق، وكنت من أهل هذا الرأي ومن رجال هذه الدعوة.

ومنهم: الدكتور سعيد عاشور المصري، أستاذ التاريخ في كلية الآداب في جامعة الكويت، صاحب المحاضرة القيّمة التي ألقيت في الجمعية الثقافية في الكويت في محرم ١٣٧٩هـ والتي نشرتها له دار العالم الإسلامي ببيروت وصدرت الطبعة الأولى منها ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م وكان قد أشرف على طبعها وتصحيحها الشيخ صادق ناصر الدين وأليكموها مرفقة كاملة بحرفيتها حفاظاً على أمانة النقل، مع افتتاحيتها المباركة للسيد محمد الرضي الرضوي المحترم. فأرجو من الله تعالى التوفيق لما فيه الخير.

المؤلف

ـ كلمة ـ

بقلم: أحمد علي حسن

هذا الكتاب الذي وضعه بين يديّ الأخ المجاهد في سبيل الخير الحاج يوسف خليل محمد العصفوري ـ رئيس الجمعية الخيريّة الإسلامية الجعفرية بصافيتا ـ لأجل الإطّلاع عليه وإبداء الرأي فيه ووضع مقدمة مناسبة له، كما جاء في حاشيته التي تركها لي على الغلاف يوم شرّفني بزيارته إلى بيتي في طرطوس هو وزميله في العمل بالجمعية المذكورة الأخ الألمعي السيد أبو نزار محمد حسن هلال هو النمط من التأليف يسعف كثيراً في إعانة القارىء على الأخذ بجوانب مختلفة في الموضوع الواحد، أو يوقفه على أكثر من رأي في القضية الواحدة، وهو مما ييسّر الإطّلاع أكثر فأكثر على تباين الآراء والنظريات في الحادثة الواحدة، ويؤدي إلى تصحيح التفسير المختلف للعبارة الواحدة.

وصادقاً أقول: إنه لا يوازي إعجابي بذكاء هذا الرجل إلا إعجابي بنشاطه العملي فهو عصامي في كل مزاياه ومردود أعماله ويستحق أن يُقال به (نفس عصام سودت عصاماً) ومع هذا لا بأس أن نشير إلى أنه ابن أسرة يمتد نسبها إلى أحد المصلحين الكبار المعروفين في تاريخ محيطه هو الشيخ معلى مجدلون من كبار رجال القرن العاشر الهجري.

واستجبت له وقمت بقراءة الكتاب حسب إشارته ولاحظت أنّ هذا الكتاب ليس لمؤلفه فيه ما يتحمل تبعته إلا فضيلة الجمع والتأليف بين مواضيع

متفرقة يجمعها أو يجمع بينهما، الموضوع الواحد هو الحديث عن تاريخ طائفة من طوائف المسلمين، أكثر المتحدثون عنها بما يليق وبما لا يليق. هذه الطائفة هي المسلمون العلويون.

ومن بعض هذه المواضيع كتب مستقلة نشرها أصحابها في حينها لم يعمد المؤلف إلى الأخذ منها أو تلخيصها، ككتاب (النبأ اليقين) للشيخ محمود صالح، وككتاب (العلويون فدائيو الشيعة المجهولون) للشيخ علي عزيز الإبراهيم، بل أخذ كل واحد منها بمجموعةٍ تقريباً.

ومن بعضها الآخر المحاضرة القيِّمة التي ألقاها الدكتور سعيد عاشور في الجمعية الثقافية في الكويت بشهر محرم ١٣٩٧/ هجرية.

والمقدمة المستفيضة التي قدّم بها الأستاذ حامد حسن كتابنا (المسلمون العلويون في مواجهة التجني) مع بحث الغلو والغلاة من الكتاب المذكور، مضافاً إلى هذه المواضيع كلمة للمفتي الجعفري الممتاز في لبنان الشيخ عبد الأمير قبلان، ومواقف إصلاحية مقتطفة من أقوال آية الله الشهير السيد حسن الشيرازي (عطّر الله ذكره)، ونصّ البيان الذي صدر عن فريق كبير من علماء العلويين وأهل الوجاهة منهم، وما رافق ذلك من تعليقات صحفية في عام ١٩٧٣، ورسالة الدكتور بكري الشيخ، أمين للدكتور أسعد علي، وقصائد بالموضوع ذاته للعلامة الشيخ (سليمان أحمد)، ورسائل بين الشيخ (عبد اللطيف إبراهيم) وبعض علماء الشيعة والكرّاس الذي ردَّ فيه الشيخ عبد الرحمٰن الخير على الأستاذ سعد جمعه صاحب مجتمع الكراهية والذي عنوانه للحقيقة والتاريخ ونشرات أخرى منها قصة التقريب بين المذاهب الإسلامية مختتمة بفتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى غير ذلك من مقتطفات تساعد على احتواء الموضوع.

وفي قناعتي أنّ هذه الكتب التي تضمنها هذا الكتاب ستحمل إلى القارىء الكريم ما يغنيه عن البحث في غيرها.

ورغم كل هذه الإهتمامات التي انصبّت من كتّاب ومفكّرين مسلمين «سنة وشيعة» حول الموضوع الواحد وهو الحكم بصحة إسلامية هذه الطائفة وإزالة كل الإلتباسات التاريخية حولها، يبقى الشك عند آخرين يشوّش ويشاغب ويشكّك.

إنه لمِنَ المؤسف أن تبقى هذه الفرقة المسلمة المؤمنة تتشبث بالإيمان والإسلام وتتمسك به، ويبقى بعض إخوانها في الملة يتشبّث بإنكار هذا الإسلام وهذا الإيمان عليها.

لقد أرّقتني[1] فعلاً حكاية (غسل التوبة) التي اشار إليها الشيخ علي عزيز الإبراهم في كتابه المضموم إلى هذا الكتاب، الغسل الذي كان يفرض على طلاب جبلنا المهاجرين إلى جامعة النجف طلباً للعلم، الأمر الذي جعل الكثيرين منهم يرفضون البقاء هناك استنكاراً لهذا التصرف.

وأرّقني أكثر فأكثر أولئك الذين يؤلّفون الكتب الطوال في تجريح عقيدة هؤلاء القوم ويصرفون الأوقات ويسهرون الليالي في سبيل إلصاق تُهم وبدع يبتدعونها من خيالاتهم تشفياً وكراهية.

إسلام رضيت قواعد الإسلام المشروطة في صحته، ولكن الفقهاء في الدين وأهل الأغراض في الدنيا لم يرضوا، وقد وجد العلويون أنّ إتّباع ما يرضي الخالق خير من إتّباع ما يرضي المخلوق، ولا يريدون أن يمنّوا على الناس بإسلامهم وبإيمانهم، وحبّذا لو تنبّه إلى الحقيقة الصارخة علماء المسلمين ومفكروهم مثل ما تنبّه إليها مؤلفان معاصران هما السيدان «منير الشريف الدمشقي» صاحب كتاب (العلويون من هم وأين هم)، الذي صدر في بحر الأربعينيات، والسيد الدكتور «مصطفى الرافعي» من طرابلس لبنان صاحب كتـــــــاب

---

(١) يقول المحقق: غريب من الأستاذ الكريم ذكر هذا الأمر لأنّ مؤلف «العلويون فدائيو الشيعة المجهولون» أنكر موضوع غسل التوبة هذا رأساً واعتبره من حديث الإفك والإفتراء.

(إسلامنا) الذي صدر في بحر الثمانينات.

هذان المؤلّفان كتبا بوحي من ضمائرهم ومن معلوماتهم، لا تملُّقاً ولا تزلُّفاً، وأستطيع أن أقول إن الأستاذ منير الشريف، كان له فضل السبق بإزاحة الستار عن حقيقة هؤلاء القوم بعد أن عاش بينهم وصاحب وعاشر فريقاً كبيراً من رجالاتهم وسجّل ودون ما توصّل إليه من المعلومات التي تحسن ولا تسيىء.

والدكتور مصطفى الرافعي، هذا المفكّر الذي دفعه وجدانه الإسلامي والقومي لأِن يقف إلى جانب هؤلاء القوم في بلدٍ كثُرَ به خصومهم والمتآمرون عليهم ومروِّجو كُتُب الدسّ والتشويه عنهم.

إنّ كل واحد من هذين المؤلّفَيْن يستحق أن يكون مثلاً يُحتذى به ولو كثُر في الأمة من أمثالهما لبقيت الجنة للمسلمين.

بقي علينا أن نشير ولو لُماماً إلى بعض مضامين الكتب المضمومة التي بعضها يتشبّث بعدم تسمية العلويين بهذا الإسم ولا يريد أن يعترف بحدوث هذا الإسم، وبعضها الآخر يقول بعدم تسمية (النصيرية) وأنّها أُلحقت بهذه الطائفة منذ حضرت فرقة من الأنصار من المدينة المنورة إلى هذه البلاد وساهمت في فتح هذه الجبال، فمنذ ذلك الحين سمّيَ الجبل الواقع غربي حمص الممتد حتى قضاء مصياف (جبل النصيرة) ثم تحوّلت هذه التسمية إلى (جبل النصيرية).

والذي أراه أنّ كِلا القولين غير وارد وليس له ما يعزّزه في التاريخ سواء منه الخاص أو العام.

إنّ الجبل المُشار إليه غربي حمص والممتد حتى حدود مصياف، لم يُعرف يوماً من الأيام بهذه التسمية، وإنما كان يسمّى حتى القرن السابع الهجري (جبل المناصف) كما هو وارد في مخطوطة الشيخ «يوسف ابن العجوز» أحد علماء ذلك الجبل، وأظن أنّ أصل التسمية جبل النّياصف أو النياصفة، نسبة إلى قرية ذات شأن فيه تُدعى (نيصاف) وأخيراً غلبت على هذا الجبل إسم (جبل الحلو) لا أدري هل هذه التسمية جاءت من حلاوة جيد ثمره، حيث تصنع ثمار الكرمة فيه

إلى عدة أنواع، منها الزبيب ومنها الملبن، علاوة على ما يستخرج من أنواع الخمور كالنبيذ والعرق المقطّر وغير ذلك، أم هو نسبة إلى بعض العائلات التي حضرت من لبنان واستوطنته وعلى رأسهم آل الحلو في المشتى، وفي المشتى هذه كانت معامل الخمور لمنتوجات الكرمة في ذلك الجبل وقد بقيت حتى أيامنا هذه.

أما جبال النصيرية المعروفة بهذا الإسم تاريخياً، فهي جبال أنطاكية واللواء الممتدة من تركيا حتى آخر حدود محافظة اللاذقية شرقاً وجنوباً، فهذه الجبال هي الجبال التي استوطنها العلويون وتجمّعوا فيها بعد التهجير والتشتيت من مناطق حلب الشمالية، ولا تدخل في خارطتها جبال القدموس، فقد كانت هذه الجبال تحت سيطرة الإسماعليين بقيادة «سنان راشد الدين» صاحب «صلاح الدين الأيوبي»، ولهذا لم يعرج عليها في رحلته «ابن بطوطة» واكتفى بمروره على الساحل تخوّفاً واحتراساً، لأنها كانت معاقل مخفية ومخيفة، وإذا كان ثبت هذا فعلينا أن لا نذهب بعيداً في هذه التسميات، وإنني لا أزال أجزم أننا لم نخرج عن معسكر الشيعة في كل الأحوال إلا عندما أخذنا ببابية «أبي شعيب» ورفضنا الإعتراف لغيره بالبابية عند الإمام الحادي عشر (ع) وعند ذلك أطلق علينا إسم النصيرية[1] من قبل من لم يعترفوا بأبي شعيب وسامح الله سعد الأشعري، فهو الذي شوّه سيرة الرجل ولم يكن هناك، ولكن صاحب (بحار الأنوار) وثّق الرواية عنه.

وكذلك إسم العلويين، فقد أراد الإستعمار إيجاد كيان لنا مستقل يفصلنا به عن المسلمين فاقترح تسميتنا بهذا الإسم وقد صادف هوىً في النفوس لأنه أظهر فينا عمق الولاية ولم يفصلنا عن جمهور المسلمين سنّةً كانوا أم شيعة،

---

(١) يقول المحقق: هذا رأي الأستاذ أحمد علي حسن وليس عليه الإجماع، بل إنه شبه الإجماع قائم عند علماء القوم أنهم من حيث التسمية شيعة علوية وأنّ النصيرية من تنابز الألقاب.

لأنّ لعلي عند الفريقين احتراماً كبيراً ولا يستطيع أحدٌ أن يجعل من موالاتنا له ولأبنائه الأئمة المعصومين سبباً جارحاً في المعتقد وقد تم ذلك في عام ١٩٢٠م.

إلى هنا ولا أريد أن أسمي كلمتي هذه في هذا الكتاب مقدمة، فهي كلمة على الهامش، وقد راقني في هذا الباب أن أقول لأخي وصديقي الحاج «يوسف خليل محمد العصفوري» ما قاله الأستاذ «جورج صدقني» لأخيه وزميله ورفيق نضاله الأستاذ «محمد علي حسن» عندما أصدر كتابه في (القومية والحرية) فقد سمّى كلمته بكتاب صديقه (كلمة ترحيب) وأعرض عن كلمة مقدمة لكثرة استعمالها، وقد أنكر كل مقدمة حتى مقدمة ابن خلدون، فقد اعتبرها كتاباً لا مقدمة، وأنا أيضاً أرسل كلمتي هذه في هذا المكان ترحيباً بالمجهود الكبير الذي يقوم به هذا الأخ المجاهد سائلاً الله له ولمن يعمل معه ويعاونه في هذا العمل الثواب الذي ينبغي له ولمثل عمل.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب انطلاقة في معرفة التاريخ الذي يجمع ولا يفرّق ويصارح ولا يجامل، تحقيقاً للهدف الذي دعاه إليه الدكتور «سعيد عاشور».

طرطوس في ٢٧/ ١/ ٨٧

ـ كلمة ـ

نداء من الأعماق

الأستاذ الكبير الشاعر حامد حسن ـ أدام الله بقاءه ـ

الخير. الإحسان. الرحمة. الشفقة. الإيثار. الغيرية، ألفاظ مجردة وكلها تعني وترمز، وتشير، وتدل على الجانب الإنساني في الفرد والجماعة.

وتتحقق في الفرد عملاً وسلوكاً، وتتجلّى وتتجسّد في الجماعة، أو الدولة مؤسَّسات إجتماعية ومنشآت إنسانية.

وهذه السلوكية، وهذه المنشآت كلما اتّسع نطاقها في المجتمع كانت دليلاً على حيويته، وتقدمه، ورقيّه، وسمو القِيَم الإنسانية لدى أفراده.

ولقد حضَّ الإسلام على الإلتزام بهذه الأخلاقية، وأبرز قيمتها وما يترتّب على الإلتزام بها من مثوبة وقربى من الله وزلفى.

﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾.

﴿مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾.

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

﴿إنَّ الله يحبّ المحسنين﴾.

﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾.

﴿إنّ الله لمع المحسنين﴾.

وكثيرة هي الآيات، وعديدة هي الأحاديث التي تأمر بالخير وتحضّ على الإحسان وتعد بالمثوبة لمن تطوّع في هذا السبيل.

ولقد عرفت من رادة الخير، ودعاة الإحسان، وبغاة المثوبة، وعشّاق الإيثار في هذه الأوساط جامع هذه المقتطفات فضيلة الحاج «يوسف خليل العصفوري»، الذي حدت به الرغبة، ودفعت به الحمية، واستأثرت به نبالة الغاية، وشرف النفس، ونقاء الضمير، ويقظة الوجدان، وسموّ الهدف والمقصدة لإقامة مؤسّسة خيريّة في هذه الأوساط هي الجمعية الخيرية الإسلامية في بلدة صافيتا.

هذه المؤسسة التي أعطت ثمارها على حداثة عمرها، وحقّقت الكثير الكثير من الأهداف والمقاصد التي أُنشِئت لأِجل تحقيقها

أولاً: إيواء عجزة تنكّر لهم الزمان، وتبرّم بهم الخِلاّن، وأعرض عنهم الأخوان، وأعوزتهم الرعاية والعناية، فوفّرت لهم الإيواء، والإطعام، والكساء، والدواء.

ثانياً: سهرت وتسهر على راحة العديد من المرضى وتؤمّن لهم المأوىٰ والأسرّة والطب ووسائل العلاج، والمشفى والإستشفاء.

ثالثاً: أقامت إلى جانب هذين العملين الجليلين مكتبة لمن يريد الثقافة، وتنمية المعرفة، وإثراء الفكر، وسعة الأفق، والتفقّه في الدين.

رابعاً: أنشأت جامعاً أنيقاً لإقامة الصلاة، وللراغبين في الإعتكاف، والرياضة الروحية، والنجوى والتقوى، وممارسة المفترضات في بلدة صافيتا، علاوة على الجوامع العديدة في القرى.

هذه الأعمال الكبيرة في واقعها ومقاصدها، الجليلة في خدماتها، قام بها هذا الإنسان النبيل الحاج «يوسف خليل» تعاونه فئة من الغيورين المخلصين

الكملة، الذين كرّسوا أوقاتهم وجهدهم ونشاطهم وراحتهم حباً بالخير، وطمعاً بالثواب، واستجابةً لنداء الضمير.

ولكـــن؟..

عمل كبير كهذا العمل يحتاج إلى موارد مادية تضمن له البقاء، وتكفل له النماء والإستمرار، وبهذه المناسبة أتوجه بكلمة صادرة من الأعماق يشاركني فيها كل ثقيف، وكل حرّ شريف، أتوجه بها إلى القادة والمسؤولين الذين يعملون مخلصين دائبين لخير هذا الشعب، وصالح هذه الأمة، وخدمة هذه الجماهير الواسعة.

ولا شك في أنهم يعلمون أنّ المسلمين العلويين في هذه البقعة من الساحل السوري وعلى امتداد هذه الجبال يُعتبرون في طليعة هذا الشعب حباً للخير وإخراجاً للصدقات، وإيتاء الزكاة، وإيفاء بالنذور، وتأدية للفطر والأضحيات.

وإلى جانب كل هذا لا تخلو قرية، ولا مزرعة، ولا دسكرة ولا رستاق من عقار موقوف، أو مورد منذور للخير والنفع العام، ولكن هذه المصادر على كثرتها، وهذه الموارد على وفرتها، تحتاج إلى تنظيم وتنسيق وصرف في وجوه الخير المتعددة.

إنها تُجمع وتُصرف بطرق لم تعد ملائمة لروح العصر، ومردودها الخيري الإجتماعي لم يعد يحقق الهدف والغاية المرجوان.

إننا نلتمس من المسؤولين وأولي الأمر[1] أن يصدروا تشريعاً ناظماً لهذه الموارد تجدّد جمعها وإنفاقها ومستحقيها، وفي طليعة المستحقين هذه

---

(١) يقول المحقق: هذه صرخة حق وكلمة جهاد وإنتفاضة ضمير حرّ مخلص شريف، فهناك موارد مادية ضخمة من الحقوق والزكاة تصرف على كثير من المشايخ الجهلة المتسولين.

المؤسسات الخيرية التي تعمل في سبيل الخدمة العامة للشعب.

إننا نأمل أن يلقى هذا النداء أُذناً صاغية، وقلوباً واعية، واستجابة عجلى، وخدمة مثلى، ولا يكون صرخة في واد، أو نفخة في رماد.

ـ كلمة ـ

للعلامة الجليل السيد أحمد الواحدي ـ دام ظله ـ

لا أنطق عن القرون الماضية، ولا أنطق عن الخلافات التي قد أغرقت الأطراف في الدماء، ولا أنطق عن سفك الدماء الذي قد حصل بين الأقوام بسبب الخلافات المسلكية أو العنصرية، لا أنطق ولا أنطق لإنه لا داع لتلك بل لا أرى له محلاً.

ولكني أنطق عن بعض ما يجري في عصرنا الحاضر، حيث نعيش فيه ونسميه العصر الذهبي والذرة، عصر تسخير الكواكب، عصر خرج أهله عن التوحش، وحاز التمدّن من حائز يؤسّس مجمع الملل للتحكم في الصلح في العالم على حساب ادّعائهم، وإيجاد التفاهم بين الأقوام سواءً كانوا موحدين أم مشركين، مسلمين أو يهود أو مسيحيين، لا يفرقون بينهم، لإنّ كلهم إنسان، واجتمعوا عدة في مكان يمثلون الملل والأقوام، ولا بأس لو يقدرون أن يطبقوا ما يقولون وينفّذون ما يطرحون.

ومن جانب آخر تجمع عدة باسم تسلحات الأخلاقية لمكافحة الإلحاد، ومن جانب ثالث نسمع أنه يأتمر عدة من المثل باسم التقريب بين المسيحية والإسلام ويدرسون الجذور المعترف بها الممتدة بين الطائفتين، ومن جانب رابع تؤسس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في الأزهر الشريف، وهذه الدراسات والبحوث بسبيل التقريب وينفذ.

وهذه التحركات والنشاطات التقريبية تستدعي سؤالاً موجّه:

أولاً: إلى المسلمين كافة بل للشيعة خاصة وهو أنه لماذا ولأي سبب قد وجدت فرقة كثيرة العدد ورغم كثرتها يشعرون بالإنزواء والإنعزال، أو ليرى فيهم الآخرون غير ما كانوا أو ما يكونون أو يلحظوهم بعين النقد والرفض؟.

إنّ من المؤسف جداً الذي يقطع عضو من الجسد الإسلامي وتدرس أسماء مع الأجساد الأخرى في الأمم وتعيد بعض الجسد ويلصق غيره إليه، ونطرد بعضنا وندعو غيرنا هذا من العجب العجاب.

ألا وأن هذه الفرقة المهجورة والمضطهدة هم العلويون، فيجب علينا أن نعالج هذه الطريقة المريرة بالمرونة والتدبر حتى نقدر أن ندّعي بأنّا أدّينا رسالتنا الإنسانية الإسلامية، ولا نقع تجاه التاريخ والشارع الحكيم مسؤولاً (أرقموا دفتراً) ألا وأن هؤلاء (المضطهدون) المظلومون هم العلويون الذين يعيش قسم كبير منهم في تركيا، وقسم في سوريا، وقسم في لبنان، وقد واجهتُ كثيراً منهم خلال استقراري في سوريا مدة عشر سنوات من المثقفين والعلماء والخطباء، وسمعت منهم ما تكلموا، وقرأت لهم ما كتبوا، ودرست منهم ما اعتقدوا، وما وجدت منهم من العقائد والتطبيق ما ينافي العقائد الإمامية وتطبيقاتها، ورأيت أنهم يعتقدون ما تعتقده الإمامية ويعملون ما يعملونه بوجوب الواجب، ويحرمون الحرام، وبعضهم يدعون بأنهم كلهم هكذا وهذه الأقارير والإدّعاءات تقضي بأن نصدقهم وننسبهم بأنهم منّا ونحن منهم، كلّنا على نهر واحد، ولا يفرّق بيننا شيء إلا تسويلات الشيطان وخدع الخصوم والعدو.

(لنفرض أنه يوجد بينهم من له عقائد سخيفة أو غير ملم بما لا يرضي الله ورسوله والأئمة عليهم السلام، فهذا يدل على النوع والمتكسبة، إذ هو شاذ من الشذوذ، كما أنه يوجد مثله في جميع الفرق والمذاهب ولا يفيد شيء ولا يعتمد عليه).

كيف كان وما يكون، أنا عرفت أن الفرقة العلوية، على ما شاهدنا وسمعنا أو شافهنا أو قرأنا هم الشيعة الإثنى عشرية ونحن نقدرهم ونجلهم ونعتبرهم مسلمين إمامية، ولا أدري أنهم أو بعضهم لا يراعون ولا يهتمون ببعض الفروع والأحكام، فهذا ليس من خصائصهم الخاصة، بل مثل هذا جارٍ في جميع الفرق والمذاهب، لا يستثنى منه الشيعة ولا السنة ولا اليهود أو النصارى، لأنه يوجد في كل فرقة أشخاص لا يبالون بالدين رغم أنهم يعتبرون أنفسهم قريباً بنفس الدين.

نسأل الخالق أن[1] يحيِّن جميعاً في عقائدهم الحقة ويوفّقنا للتطبيق والعمل ويهدينا جميعاً إلى الصراط المستقيم، إنه قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق

السيدة زينب

السيد أحمد الواحدي

(١) يحيِّينا.

ـ محاضرة قيِّمة ـ

للأستاذ الكبير الدكتور سعيد عاشور المصري أستاذ التاريخ في كلية الآداب في جامعة الكويت ألقاها في الجمعية الثقافية في الكويت في محرم سنة (١٣٩٧) هجرية الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فبشِّر عباد الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب﴾.

(سورة الزمر: الآيتان ١٧و١٨)

حدّثني الأخ الخطيب السيد أحمد جبرئيل بعد عودة له من الكويت عن محاضرة قيّمة ألقاها الأستاذ المصري الدكتور سعيد عاشور في محرم الحرام من عام (١٣٩٧هـ) في الجمعية الثقافية في الكويت.

وأخذ يتلو ما حفظ منها من جمل ذات معانٍ سامية تهدفت إلى غرض نبيل، فأخذت أصغي إليها بكل إعجاب إذ كانت تعبّر عن رأي رجل مسلم حر، نبيل، واعٍ ناصح لإخوانه المسلمين، فسألته عنها أجابني أنها مسجلة عندي في شريطٍ، ونظراً لما شاهد مني من رغبة ملحة إليها وعدني بأن يقدمه إليَّ، ووفى بوعده مشكوراً.

والمحاضرة هي هذه التي بين يديك أيها القارىء، الحر، نقلتها من نفس الشريط الذي لم يزل السيد جبرئيل محتفظاً به، وأرجو أن أكون في نشري لها ساهمت في نشر بعض الحقائق التي يجهلها أو يتجاهلها الكثيرون والله من وراء القصد.

محمد الرضي الرضويّ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيُّها الأخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بإسم جمعية الثقافة الإجتماعية أرحّب بكم كما أرحِّب بالأستاذ الدكتور سعيد عاشور، ولقاؤنا هذه الليلة ضمن اللقاءات العديدة التي نظمتها الجمعية لموسمها الثقافي لشهر محرم الحرام.

والأستاذ الدكتور أستاذ في التاريخ لكلية الآداب في جامعة الكويت، أستاذ ورئيس قسم التاريخ لجامعتي القاهرة ثم بيروت العربية ثالثاً، له مؤلفات كثيرة، منها كتاب (تاريخ الحركة الصليبية في مجلدين)، وهو الكتاب الذي استحقّ جائزة الدولة في جمهورية مصر العربية.

له كتب عديدة في تاريخ أوربا في العصور الوسطى وعلاقاتها بالمسلمين، له مجموعة من الكتب في تاريخ الأيوبيين والمماليك، وفي جانب التراث الإسلامي العربي حقّق ونشر مجموعة من الموسوعات التاريخية، منها كتاب (السلوك في معرفة الدول والملوك)، في ستة مجلدات، وكتاب (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني) ليحيى بن الحسين في مجلدين كبيرين، وأشرف على مراجعة بعض المخطوطات التي حقّقها تلاميذه مثل بقية كتاب (مفرج الكروب) لإبن واسط، وشارك في عدة من المؤتمرات التاريخية، والعالمية وكذلك بعض المؤتمرات الدينية، آخرها المؤتمر الإسلامي المسيحي

العالمي الذي عقد في قرطبة بأسبانيا سنة ٧٣.

والآن أترككم مع الأستاذ المحاضر، فليتفضل مشكوراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيّها الجمع الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أشكر هذه الجمعية على دعوتها الكريمة وعلى هذه الفرصة التي أتاحتها لي للإلتقاء بحضراتكم في هذه المناسبة، وأسأل الله أن يوفّقنا في خدمة تاريخنا المجيد وفي إلقاء بعض الأضواء التي تصعر الحقائق فيما يتعلق بذلك الجانب الهام من جوانب التاريخ الإسلامي، أعني به الجانب الذي ينطبق خاصة بالمرحلة الأولى للدولة الإسلامية.

في حقيقة الأمر نجد أن كتابة التاريخ ليست بالأمر السهل، إنها من أصعب الأمور، تتطلب قدراً من الأمانة وقدراً من الدقة، وقدراً من الحرص على استجلاء الحقائق، وبعد هذا وذاك نجد أن التاريخ فيه من الجوانب الخفية التي تخفى على المؤرخ، أعني الإنسان ما قد يسيء إلى التاريخ وما قد يزيد من الأمانة الملقاة على المشتغلين بالدراسات التاريخية الذين قُدِّر لهم أن يحملوا هذه ـ الأمانة ـ.

التاريخ كما نعلم تتكاتف عدة عناصر لتشكيله، ربما كان أهم هذه العناصر المسرح التي تجري عليه الأحداث التاريخية؛ طبيعة البيئة التي تدور عليها الأحداث التاريخية، ثم بعد ذلك الإنسان، الإنسان الذي قُدِّر له أن يلعب دوره على هذا المسرح، فإذا توافر هذان العنصران وتفاعلا وتأثّر كل منهما

بالآخر عندئذٍ نجد أن معظم الحلقات التاريخية تتداخل وتتشابك وتصنع ذلك النسيج الذي نعبّر عنه بالتاريخ، ولكن المؤرخ عندما يكتب تاريخاً عادةً يعتمد على الأشياء الملموسة الجوانب الظاهرة، لا يستطيع أن يصل إلى أعماق وإلى قلوب ذلك النفر الذين صنعوا التاريخ، لا يستطيع أن يتحسّس، أو ربما يتخيّل ما كان يدور في عقولهم، أو الأحاسيس التي كانت تختلج بها أفئدتهم.

﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾[1]، كيف يستطيع المؤرّخ وخاصة إذا كان يؤرِّخ لفترة بعيدة زمنياً أن يتلمّس مشاعر الناس وأحاسيسهم، وكل هذه. اعتبارات لها دورها الأساسي في تشكيل التاريخ، وتتحكم في سياسة البشر على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي، هذا جانب يزيد من العبء الملقى على كواهل المؤرخين، يُضاف إلى ذلك جانب آخر، أن المؤرّخ بشر، والبشر لهم أهوائهم وميولهم ونزعاتهم، يميلون، يحبون، يكرهون، ومهما كان المؤرخ منصفاً، ومهما يحاول المؤرخ أن يتوخّى الدقة فلا يمكن في بعض الحالات أن يتجرّد عن أحاسيسه ومشاعره وميوله، ونزعاته ورغباته، ومن هنا نجد أن المهمة صعبة، ليس كل ما في كتب التاريخ يعبّر عن الحقيقة، وخاصة إذا كان كتّاب التّاريخ تفصل بينهم وبين الأحداث التي يؤرّخون لها مسافة زمنيّة كبيرة، وعلى المؤرِّخ في هذه الحالة إذا أراد أن يصل إلى درجة أقرب ما تكون إلى الحقيقة، عليه أن يتجرّد الهوى وأهواءه، وعليه أن يحكِّم عقله، وعليه أن يتحرَّ الدقة في جمع الأدلّة التي يعتمد عليها، والشواهد والقرائن التي يعتمد عليها في كتابة تاريخه، وعندئذٍ قد لا يصل إلى الحقيقة كاملة، وقد لا يدوّن الحقيقة كاملة، ولكن يكون أقرب إلى هذه الحقيقة.

بالنسبة للتاريخ الإسلامية، وموضوع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، في الواقع نسمع كثيراً في السنوات الأخيرة عن مشاريع لإعادة كتابة التاريخ، ويبدو

---

(١) القرآن الكريم.

لي أنّ معظم هذه المشاريع تنبثق عن جانب سياسي، أو عن جانب قومي مما يعرّض التاريخ في مرحلة الإعادة هذه إلى مزيد من التزييف.

إنّ التاريخ إذا أُعيدت كتابته لهدف سياسي مثلما حدث في مصر في وقت من الأوقات أيام الحكم الملكي، نجد كتب في التاريخ لا بدّ أن تمجّد في أسرة «محمد علي» وسياسة أسرة محمد علي، ونجد حاكم مثل «الخديوي إسماعيل»، تؤلّف كتب بتشجيع من البلوغ من إسماعيل ـ المفترى عليه ـ، وفي حقيقة الأمر لم يبن على مصر أكثر من إسماعيل، ولكن دفاع إسماعيل، ويعتبرون هذا نوع من إعادة كتابة التاريخ دارت الأيام دورتها، وقامت الثورة في مصر، فإذا بمشروع آخر لكتابة التاريخ، وهذا المشروع من كنّا نمجّده بالأمس نتهمه اليوم، لأن الوضع السياسي الجديد لا يتفق مع السياسة السابقة، هذه مشروعات لإعادة كتابة التاريخ، ولكن لا يقصد منها وجه الله والحقيقة، وإنما تخدم أغراضاً سياسية، إذا كان هذا جائز بالنسبة لتاريخ دولة فإنه أمر غير مقبول إطلاقاً.

إذا تعرضنا لموضوع التاريخ الإسلامي، تاريخ الآباء والأجداد، تاريخ العقيدة، كيف تشكل هذا التاريخ، ما هي النزعات التي تحكّمت فيه؟.

هل كانت هذه النزعات صادقة على طول الخط؟ كيف نكتشف الحقيقة من الأكاذيب؟ هذه كلها موضوعات لا ترتبط بدولة معيّنة من الدول الإسلامية، أو الإسلامية العربية في هذا الوقت، وإنما هذا تراث يفخر به المسلمون جميعاً ومن حقّهم أن يحرصوا عليه، وأن ينهضوا بهذه الأمانة إرضاءً لوجه الله قبل أي اعتبار آخر.

التاريخ الإسلامي لم يخلُ من شوائب عدة، تسجيل التاريخ الإسلامي شابته عدة شوائب. حقيقةً إننا نسمع وندرك أن المؤرّخين المسلمين قطعوا أشواطاً بعيدةً في الدراسات التاريخية وتركوا لنا تراثاً ضخماً، هذا التراث الضخم لن تبلغه أمة من أمم الأرض زمن ازدهار حضارة المسلمين، نسمع هذا

ولكن ليس معنى ذلك أن التاريخ الإسلامي[١] منذ بداية تسجيله كان نقياً كل النقاوة، أو أننا راضون عما في كتب التاريخ الإسلامي من تفسير لبعض الحوادث تفسير لا يخلو من نزعة معيّنة، أو اتّجاه معيّن أو رغبة في طمس حقيقة من الحقائق.

لا أستطيع في هذا الوقت المحدّد أن أتعرّض للتاريخ الإسلامي بأكمله على طوال القرون العديدة، منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ولكن سأكتفي ببعض نقاط أستعرضها مع حضراتكم.

ولنأخذ النصف الأول من القرن الأول من التاريخ الهجري، أو حوالي الستين عام الأول من تاريخ الهجرة، لنرى كيف سجل تاريخ هذه الفترة، وإذا كنا نطالب نحن اليوم بالأمانة في كتابة التاريخ، فإنني أستسمحكم أن أعبّر عن أحاسيسي وعن شعوري وما أعتقد أنه يرضي الله ويرضي ضميري في غير مجاملة، وأسأل الله إذا أخطأت أن يغفر لي، وإذا أصبت فإنني لا أرجو إلا أن أؤدّي خدمة لأكثر شيء تعتزّ به ديانتنا الإسلامية، العقيدة الإسلامية، تاريخ الآباء والأجداد.

أختار عدة أمثلة لأُدلِّل بها على كيفية تشويه بعض الحقائق التاريخية، وإننا بحاجة إلى أن نقف وقفة قد تكون طويلة، وقد تكون قصيرة عند بعض الأحداث لنتمعّنها وندرسها ونحاول أن نجد لها التفسير السليم، التفسير الصحيح، لا يكفي أن نلتقط كل ما كتبه السابقون على أنه حقائق مسلَّم بها، لا يكفي هذا إطلاقاً، إجتهد السابقون وعلينا أن نجتهد، فإذا كانوا قد أخطأوا فلهم أجر[٢] وإذا كانوا قد أصابوا فلهم أجران، ولكن علينا أيضاً أن نتحمل المسؤولية في كل ما يتعلق بتاريخ الأمة الإسلامية.

---

(١) علمياً.
(٢) لا أعرف مأخذاً ولا وجهاً صحيحاً لهذه الفتوى. (الرضوي).

أبدأ على سبيل المثال لا الحصر، الموقف الذي غدى فيه المسلمون عند وفاة الرسول، عليه الصلاة والسلام، هذا الموقف الحرج الذي كان ينذر بتفتت الأمّة الإسلامية وتصدّع البناء الجميل، البناء المتكامل الذي قضى الرسول، عليه الصلاة والسلام، حياته مجاهداً من أجل إتمام هذا البناء، هذا الموقف نسمع فيه عن الخلاف حول الخلافة، خلافة الرسول، عليه الصلاة والسلام، في حكم المسلمين، وسمعنا عدة آراء في اجتماع السقيفة ـ سقيفة بني ساعدة ـ الخلاف بين الأنصار والمهاجرين، ما كان بعد ذلك من اختيار أبي بكر الصديق خليفة على المسلمين، وبعد ذلك يمرّ المؤرخ مروراً عابراً على هذه الحقيقة في غير مجاملة.

أين كان الإمام علي بنْ أبي طالب، رضي الله عنه، في ذلك الوقت؟ أين كان؟ كان مشغولاً بتجهيز الرسول، عليه الصلاة والسلام، ودفنه، وهناك تبدو فكرة السمو، السمو الخُلُقي، فكرة النزاهة، النزاهة وعدم التكالب وراء الحكم، أو الجري وراء منصب، كيف يترك جثمان الرسول، عليه الصلاة والسلام، ويجري ليجتمع مع المجتمعين ليطلب لنفسه شيئاً، هنا الخُلُق، هنا المتانة، كان ينبغي أن يقف المؤرّخ وقفة عند هذه المسألة، عند هذه النقطة بالذات، فإذا لم يكن هناك تفريط من الإمام، رضي الله عنه، بأي حال من الأحوال، ولكن كان هناك ما هو أهم، ما هو أسمى الصلة التي تربطه بالرسول في الوقت الذي انصرف المنصرفون وتناقشوا وتحادوا واختلفوا حول الخلافة، وعن مقربة منهم جثمان الرسول، شغل علي بن أبي طالب بتجهيزه ودفنه، إذن لم يكن هناك تفريط من الإمام علي في المطالبة بحقه في الخلافة، وإذا كان الإمام علي، رضي الله عنه وكرّم وجهه، قد طالب بالخلافة فينبغي أن ينزّه عن أنه كان يجري وراء متاع، لو كان يجري وراء متاع لانصرف من أول الأمر ولكان أسبق السابقين إلى السقيفة، إلى سقيفة بني ساعدة ليرفع صوته مع من رفعوا أصواتهم.

وبعد ذلك تعرّض المؤرخون للكيفية التي رضي بها الإمام علي، يساير الجو ويبايع الخلفاء واحداً بعد آخر، وهذا في حدّ ذاته ليس نوعاً من الإستكانة بقدر ما هو نوع من الحفاظ على وحدة الإسلام والمسلمين، فليس معنى أنه بايع أبا بكر أنه تنازل عن حقه في الخلافة.

مكانة علي معروفة في الإسلام، وكما أقول وأردِّد دائماً و مع تلاميذي وداخل الجامعة وخارجها: الذي يقلّل من مكانة علي في الإسلام، فالإسلام بريء منه، ولست بحاجة إلى أن نعدّد مزاياه وفضائله وسبقه إلى الإسلام، ومكانته عند الرسول، عليه الصلاة والسلام، وزواجه من ابنته فاطمة الزهراء، إلى غير ذلك من الأقوال التي نسمعها كثراً، ولكن مكانته أعظم من مثل هذه الدعاية.

مرّت السنوات وبعد ذلك نسمع في كتب التاريخ أن أبا بكر عندما أحسّ بدنو أجله، أراد أن لا يقع المسلمون في شقاق، وأخذ يفتّش عمّن يخلفه في حكم المسلمين[1]، وأراد أن يختار رجلا يجمع بين الصلابة والإستقامة مع عدم التشديد أو عدم الليونة، فوجد أن هذه الصفات اجتمعت في اثنين لا ثالث لهما، هما الخليفة عمر بن الخطاب والإمام علي بن أبي طالب، وعندئذٍ كما نقرأ في كتب التاريخ أدرك أبو بكر أن عمر يمضي في طريقه نحو هدفه، فتصادفه عقبة فيدور حولها للوصول إلى هدفه، أما الإمام علي حسب تعبير المؤرخين فيمضي مستقيماً إلى هدفه لا يغور ولا يغش.

---

(١) إذا لم يجز لأبي بكر وهو مشرف على الموت أن يترك الأمة الإسلامية سدىً من بعده، وخشي أن يقع الشقاق بينها إن لم يعيّن لها خليفة يقوم مقامه، ولذلك نصّ على عمر بالخلافة من بعده. فكيف جاز للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذي قال الله فيه: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾ أن يترك الأمة ولا ينص على واحد بعينه يكون خليفة من بعده؟ أكان أبو بكر أشفق على الأمة من نبي الرحمة؟ ﴿إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾. (الرضوي).

فاختار عمر وأوصى بالخلافة لعمر، ولم يختر علياً (عليه السلام)، الذي اختاره الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً»، (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٥، طبع مصر عام ١٣٢٩هـ)، فآثر عمر في الخلافة على الإمام وأسخط المسلمين بهذا الإختيار، دخل عليه طلحة بن عبيد الله، فقال: بلغني أنك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنتَ معه، فكيف به إذا أخلا بهم وأنتَ غداً لاقٍ ربك فيسألك عن رعيّتك؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، ثم قال: أبالله تخوّفني؟ إذا لقيت ربي فإنني قلت استخلفت عليهم خير أهلك، فقال طلحة: أعُمَر خير الناس؟.. وقال له أيضاً لما احتضر: ما أنتَ قائل لربّك وقد ولّيتَ علينا فظّاً غليظاً، تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب. (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٥٥).

قال ابن قتيبة: كان عمر رجلاً شديداً، قد ضيّق على قريش أنفاسها. (الإمامة والسياسة ج ١ ص ٣٦)، وكان لا بُدَّ لأهل إعادة كتابة التاريخ من وقفة، في هذا كان هذا الكلام.

الشام قد بلغهم مرض أبي بكر واستبطأوا الخبر، فقالوا: إنا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولّى بعده عمر، فإن كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب، وإنا لنرى خلعه.. (الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩).

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب المصري: بعد أن تمّت البيعة لعمر طاف بالناس طائف من الوجوم والإنكار وخيّم على المدينة جو من الركود والسآمة، لا يدري الناس ما يطلع به عليهم عمر من أمور. (عمر بن الخطاب ص ٧٦)، وفي سيرته كثير من الحوادث يستغربها الناس لأنها تقوم على غير مثال، ولا تساندها الحياة (ص ١٤٧)، وأوضح ما في عمر صفتان، أولاهما: الصرامة والشدة التي تبلغ مبلغ العنف في معالجة الأمور... ولم يتخلَّ عمر

عن هذا الأسلوب العمري. . . وطبيعي أن يبدو عمر في الناس فظّاً غليظاً، وأن تنطوي كثير من القلوب على الخوف منه والرهبة له، فلا يلقاه الناس إلا على هذا الإحساس الممتزج بالرهبة والخوف المشوب بالقطيعة والجفوة، وطبيعي أيضاً أن لا يواد الناس عمر إلا على ترقّب وحذر. (ص ٥٥).

حقيقي الذي نقرؤه في مصادر التاريخ الأولى فأيُّهما كان.

وقال ابن أبي الحديد: كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلم) الرضوي والكلمة هي أنه يهجر، قالها رداً على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لما طلب منهم أن يأتوه بدواة وقلم ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده، لم يصرّح ابن أبي الحديد بالكلمة وصرّح بها الغزالي في سر العالمين وغيره.

وكلامه في صلح الحديبية لما قال للنبي، (صلّى الله عليه وآله وسلم): ألم تقل لنا ستدخلونها؟ في ألفاظ نكرة حكايتها حتى شكاه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي بكر. . (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦١). وأضاف: كان سريع المساءة، كثير الجبه والشتم والسب لكل أحد، وقلَّ أن يكون في الصحابة من سلِمَ من معرّة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملّوا أيامه. (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٥٧).

ولعلّك أيها القارىء الحر بعد أن عرفت عمر في الخلافة وسيرته، تريد أن تعرف السر في استخلاف أبي بكر له، من ألزم الدولة الإسلامية في ذلك الدور بالذات[١]، الدولة الإسلامية في مرحلة البناء، الدولة الإسلامية التي

---

(١) بعده مع كراهية الناس له وإصراره على ذلك، فهذا ابن أبي الحديد يكشف لنا هذا السر فيقول: هو الذي شيّد بيعة أبي بكر وأرغم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطأ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وغذيقها المرحب، وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة (عليها السلام) =

أخذت تتبع شيئاً فشيئاً، هل كانت في حاجة إلى شيء من الدوران، أو في حاجة إلى مزيد من الإستقامة، لا بد من علاج هذه النقطة، إذ الأساس الذي أورده بعض المؤرخين لا نتفق معه، وتمضي السنوات، ومرة أخرى، معروفة، القصة متداولة في المصادر، في المراجع، ما حدث من مقتل عمر، ومن اختارهم وعهد للمسلمين باختيار أحدهم لتولّي الخلافة، ونسمع بعد ذلك أن ابن عوف طلب عثمان، وطلب علياً، وأراد أن يأخذ العهد على كل منهما بأن يسير وفق كتاب الله، وسنة رسوله وسيرة الخليفتين، يقصد بالخليفتين أبو بكر ثم الخليفة عمر، فكان رد عثمان أن قال: نعم، وكان رد الإمام علي أن قال: أنا مستعد فيما يتعلق بالإلتزام بالكتاب وسنة الرسول أن يفعل، وفيما عدا ذلك أن يسير وفق علمه واجتهاده أو حسب تعبيره بالضبط، علمه وطاقته.

في هذه الحالة علينا أن نوازن إذا كان هناك نوع من الإلزام، الإلزام فيما يتعلّق بأحكام كتاب الله، هذا واجب، واجب على كل مسلم، وسيرة الرسول، هذا واجب ولكن بعد ذلك كيف أستطيع أن ألزم حاكماً من الحكام خليفة من الخلفاء بأن يقتفي بالضبط سيرة من سبقه من الحكام أو من الخلفاء مهما كانت مكانتهم كبيرة، ولكنهم بشر، قد تكون هناك أخطاء، قد تكون هناك أشياء لا يرضى عنها، وإذا أراد أحدهم أن يحكم العقل وأن يحكم العلم ويتعاهد بقدر طاقته، بقدر ما أوتيه من جهد أن يسير، فلعلّ هذا أفضل بكثير، ويبدو أن ردّ الإمام علي لم يعجب أو لم يكن هو الرد المطلوب، فاختير الخليفة عثمان، وكان ما كان من انحرافات ومن حرص على تعيين الأقارب في مناصب الدولة الإسلامية، مما آذى شعور المسلمين، فقامت الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان بن عفان، وهي الفتنة الشهيرة في التاريخ، وكان المسلمون ـ وهذه حقيقة ينبغي أن تسجل عند كتابة التاريخ بأمانة ـ في غِنى عن هذا، كانوا في

= من الهاشميين وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة. (ج ١ ص ٥٨).

غنى عن هذه الفتنة وما أعقبها من فتن، هذه حقيقة واضحة، اختير علي بن أبي طالب للخلافة، وعندئذٍ وجد أن المهمة صعبة وأن الأمانة كبيرة، المهمة كانت أصعب مما واجهه الخلفاء الثلاثة السابقون جميعاً، لأن الأوضاع ارتبكت في الدولة والحساسيات بدأت، روح المحاباة، عليه أن يصلح، عليه أن يعزل الأقرباء من مناصبهم، وهؤلاء لهم عصبياتهم مما يترتّب عليه نوع من المعارضة، أو نوع من الإنشقاق، ولكن علياً بما عُرِف عنه بالإجماع من استقامة وشدة وصلابة في الحق لم يتردّد، وأخذ يعزل الولاة الذين عيّنهم عثمان، فكان ذلك سبب في الخلاف بينه وبين معاوية، وتتابعت الأحداث بعد ذلك من موقعة الجمل إلى موقعة صفين إلى استشهاد الإمام علي بن أبي طالب، وكان هذا الحادث في حدّ ذاته كارثة كبيرة حلّت بالإسلام وحلّت بالمسلمين.

قامت الخلافة الأموية ونجح معاوية فيما ذهب إليه، ولكن عن أي طريق، طريقٍ بعيد عن الأخلاق، طريق يتّسِم بالمكر والدهاء، والبعد عن قواعد الشرف، ونحن نعلم جميعاً أن الإسلام ونظام الإسلام، نجد أن الدين والسياسة مرتبطان برباط كبير، السياسة تحتاج في كثير من الأحيان إلى قدر من التلاعب، إلى قدر من الدهاء، إلى قدر من النفاق، إلى قدر من الخداع، ولكن الرجل المستقيم الذي لا يريد أن يخادع ولا يريد أن ينافق ولا يريد أن يسير بوجهين، هذا الرجل عادةً لا يصيب حظاً في السياسة، أو الإشتغال بالسياسة.

قيام معاوية بن أبي سفيان في الخلافة اعتمد إلى حد كبير على الخديعة، والدولة الإموية ـ هنا ينبغي من وقفة من المؤرخ ـ أسست على غير تقوى، أسست على قدر من الخداع، من النفاق، ولعل في اتجاه الأمويين بعد ذلك، لعلّ في اتجاههم بعيداً عن روح الإسلام الأولى، وفي تحويل الخلافة إلى نظام قيصري أقرب إلى أسلوب أباطرة الرومان منه إلى بساطة الإسلام، وروح الإسلام، لعلّ في هذا ما يكفي، ولكن الشيء الذي كان لا ينبغي أن يحدث في

الإسلام، والذي يجرح شعور كل مسلم هو أن معاوية بن أبي سفيان وولاة معاوية في كثير من الأمصار وخاصة حيث كان يقطن أشياع علي بن أبي طالب، أنصار علي بن أبي طالب ، مثل الكوفة، نجد أنهم أبوا على سبّ آل البيت، على سب علي بن أبي طالب نفسه، وكلنا نعلم ماذا كان يقول زياد بن أبيه وغير زياد من سباب، هو في حقيقة الأمر ليس موجهاً إلى علي بقدر ما هو موجه إلى المسلمين كافة وإلى (نبي) المسلمين، إلى رسول الله، عليه الصلاة والسلام، هذه كلها أشياء كان ينبغي أن تكون صفحة الإسلام خالية منها، الصفحة المشرقة المضيئة، كان ينبغي أن تكون هذه البقعة السوداء غير موجودة في تاريخ الإسلام، وفي تاريخ المسلمين.

إذا كان الحسن (عليه السلام)، كما نجد في كتب التاريخ قد تنازل عن حقه في الخلافة فهنا أيضاً وقفة، ينبغي أن يقف عندها المؤرخ، هل يا تُرى تنازل الحسن عن الخلافة، يعني تنازل أهل بيته جميعاً، لا، هذا تنازل فردي، تنازل فردي يعبّر عن رأي فرد، وبعد ذلك وقفة أخرى، ما الأسباب؟ هل هذا التنازل إيماناً منه واعتقاداً منه بأن الخليفة القائم في الحكم هو خير من يستطيع النهوض بالأمانة كلاّ، إذن فقد كانت هناك عوامل أخرى ربما منها الرغبة في الحفاظ على وحدة المسلمين في وقت كانت ما زالت جيوش المسلمين تعمل شرقاً وغرباً، وأي فتنة قد تطعن الإسلام وقد تصيب الإسلام إصابة خطيرة لا يُرجى منها شفاء الطريق، وربما كان من الأسباب (الإحساس) بالقوة الغاشمة، والبشر بشر، قوة بني أمية التي أخذت تستفحل والإحساس بعدم مقدرته أن يجاري الحاكم في ألاعيبه وأساليبه غير الشريفة التي لا تتفق وقواعد الأخلاق، ومبادىء الدين، حتى يلجأ إلى أساليب ملتوية لا أستطيع أن أجاريه في هذه الأسباب فلم أجد مجالاً إلا أن أنسحب من هذه أو من هذا المستنقع العفن بدلاً من أن أدخل معه في صراع يسيىء إليَّ ويسيىء إلى بيت الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولكن الظروف تغيّرت ونجد أن يزيد بن معاوية الذي خلف أباه في الحكم، وكلنا نعلم في التاريخ من هو يزيد، الشاب المستهتر، الشاب

العابث، الشاب الذي لا يعرف شيئاً لا من أصول الإسلام ولا مفاهيم الإسلام أو قواعد الإسلام، وصار في غفلة أميراً على المسلمين، في هذه الحالة لم يستطع الحسين، رضي الله عنه، أن يجاري هذا الموقف، رأى رغم كل الظروف غير المؤاتية التي كانت تواجهه، رأى أنه لا بدّ من مقاومة هذا المنكر، لا بد من الصمود أمام هذا الباطل، ولا أريد أن أدخل في تفاصيل نعرفها جميعاً عما كان من تخاذل بعض أنصاره عنه، ولكن يكفي أن نقتصر الطريق ونشير إلى ما كان في واقعة كربلاء، الذكرى الأليمة، الذكرى المحزنة، نجد أن سبط الرسول، عليه الصلاة والسلام، يُمثَّل به هذا التمثيل الشنيع، لو سمعنا أن المشركين فعلوا ذلك ـ ولم يفعلوا ذلك ـ، لاستعظمنا الأمر، فما بالنا ببعض المسلمين الذين ينتمون إلى الإسلام، يفعلون هذا، كارثة لا بدّ من وقفة عندها، وهذه كانت الشرخ الكبير الذي أصاب الإسلام، وأصاب المسلمين، علّق عليها بعض المؤرخين، تناولوا هذه الأحداث بعضهم من المسلمين، وبعضهم من الأوروبيين علقوا بنصوص، هذه النصوص تعبِّر عن مدى الكارثة في حقيقتها، وأن الإسلام كان ينبغي أن يكون بعيداً عما حدث في كربلاء، وبعد كربلاء.

أولاً: نجد أن مؤرِّخاً شهيراً «نيكولسن»، وهذا رجل مسيحي، الرجل أوروبي ومن المستشرقين المعروفين بالكتابة في تاريخ الإسلام، في كتابه عن تاريخ المسلمين أو تاريخ الأدب العربي يقول أو يوضّح ـ ويلقي بعض الضوء ـ ما السبب في انتصار معاوية؟ وما السبب فيما قد يبدو فشلاً في جانب علي بن أبي طالب؟ فيقول بالحرف الواحد ما ترجمته: على الرغم مما امتاز به علي من فضائل كثيرة أهمها النشاط، والذكاء وبُعد النظر والحكمة والوفاء والبلاغة والفصاحة والشجاعة، إلا أنه كانت تنقصه صفة هامة لا بدّ منها لنجاح السياسة، السياسة كما نقول: وهي التلوّن والقدرة على الخداع، هذه الناحية التي كانت تنقصه وكان لا يمكن أن يتطبع بهذا الطبع، ولذا تغلّب عليه منافسوه الذين عرفوا من أول الأمر أن الحرب خدعة، والذين كانوا لا يتورّعون عن

ارتكاب أي جرم يبلغ بهم الغاية. هذا ما يقوله مؤرّخ غير مسلم، مستشرق كبير، درس وتمعّن، بينما نحن كُتُبنا التي تُدرَّس لأولادنا لا تقول مثل هذه الحقيقة، تمرّ مرور الكرام، وتتغاضى عن تحديد الأحداث.

فإذا أردنا أن نعيد كتابة التاريخ، علينا أن نقف وقفة، ووقفات أمام مثل هذه الأمور، وبعد ذلك من المؤرخين المعاصرين القدامى الذين علّقوا على واقعة كربلاء.

أعجبني ما قاله «ابن طباطبا» صاحب كتاب (الفخري في الآداب السلطانية) نصّ مَن النصوص التي ذكرها بالحرف الواحد، تمَّ قتل الحسين (عليه السلام) قتلة شنيعة، ولقد ظهر منه (عليه السلام) من الصبر والإحتساب والشجاعة والورع، والخبرة التامة بآداب الحرب والبلاغة، ومن أهله وأصحابه، رضي الله عنهم، من الخير له والمواساة بالنفس وكراهية الحياة من بعده، والمقاتلة بين يديه عن بصيرة، ما لم يُشاهد مثله، ووقع النهب والسبي في عسكره وذراريه (عليهم السلام) ثم حمل النساء ورأسه، صلوات الله عليه، إلى يزيد بن معاوية بدمشق، فردّ نساءه إلى المدينة.

وفي نص آخر يقول نفس المؤرّخ، صاحب كتاب الفخري في الآداب السلطانية، يقول عن كربلاء: هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً، فإنها قضية لم يجرِ في الإسلام أعظم فحشاً منها، ولعمري أن قتل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو الطامة الكبرى، ولكن هذه القضية ـ يعني كربلاء ـ جرى فيها من القتل والتشنيع والسبي والتمثيل ما تقشعرّ له القلوب، واكتفيت عن بسط القول فيها بشهرتها، فإنها أشهر الطامات، فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضي بشيء منها، ولا تقبّل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وجعله من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

إذن مثل هذه الأمور ينبغي من وقفة، من وقفة عندها لتحليلها تحليل.

(الرضوي): [هذا ما كان مسجلاً على الصفحة الأولى من الشريط وما يلي بقية المحاضرة ننقلها من الصفحة الثانية منه، وقد فاتت منها كلمات أثناء نقل الشريط إلى الصفحة الثانية].

هذا انقسام لا مبرِّر له إطلاقاً، بالأمس كنت أبحث في بعض قواميس اللغة العربية لِأعرف الشيعة ومصطلح الشيعة واشتقاق اللفظ، فوجدت فلان شايع فلاناً أي والاه ونصره، وأصبح من زمرته إلى آخره، فبحثت عن اللفظ وكنهه.

وفي لسان العرب لابن منظور، النصّ كالآتي: الشيعة أتباع الرجل وأنصاره، لفظ الشيعة لفظ عام وجمعها: شيع وأشياع، وغلب هذا الإسم على من يتوالى علياً وأهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين، ويُقال: شايعه أي والاه، قال الأزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ويوالونهم، إذا كان هذا هو تعريف الشيعة، فمن من المسلمين يرفض أن يكون شيعياً، من يرفض هذا، إذا كان الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي ويوالونهم، من منّا يرفض أن ينتسب إلى عترة النبي، عليه الصلاة والسلام؟ من منا يرفض أن يتمسّح بأعتابهم ويطلب بركتهم؟ من منّا يرفض هذا؟ وإذا كان الأمر كذلك ما السبب في الخلاف؟ إذا كان بعض السابقين قد وقعوا في خلافات وعداوات، فعلينا نحن الآن بقلوب متفتحة، بأعين بصيرة، بعقول واعية، علينا أن نتدبر مثل هذه الأمور، علينا أن نتدبر قوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾**، نحاول جمع الشمل، وتوحيد الصف، فالإسلام إسلام واحد، الإسلام عقيدة لا خلاف فيها إطلاقاً.

من المؤسف أننا نسمع بين حين وآخر عن ندوات ومؤتمرات تقيمها الكنيسة للتوحيد بين مختلف الكنائس الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والبروستانتية وغيرها، للتوحيد، توحيد المسيحين، توحيد صفوفهم، بينما نحن لا نجد محاولة من هذا النوع، هذا هو المطلوب وعلينا أن نمهّد لمثل

هذه المحاولة بإعادة كتابة التاريخ وتصحيحه، وتصحيح مفاهيمه، ونزع ما فيه من غل، ونزع ما فيه من اتجاهات تؤذي الإسلام وتسيء إلى تاريخ المسلمين.

مؤتمر عُقِد من قريب، دُعِيتُ أو اختُرت لكي أكون ممثلاً للوفد الرسمي لجمهورية مصر العربية فيه، وكان معي...[1] المؤتمر، أُخترنا أربعة، إثنان من المسلمين، واثنان من المسيحيين، على أساس التشكيل في مصر، فقمت أنا وزميلي الدكتور «عبد العزيز كامل» ـ كان في ذلك الوقت وزيراً للأوقاف ـ، وكان من الجانب المسيحي إثنان من الزملاء، وهذا المؤتمر عقد في قرطبة في أسبانيا أُطلق عليه إسم المؤتمر الإسلامي المسيحي، وحضره علماء ومجموعة من رجال الدين على أعلى المستويات من كافة بلاد العالم، البلاد الإسلامية والمسيحية، واستمرّ هذا المؤتمر سبعة أيام ونحن في مناقشات علمية، هدف هذه المناقشات التقريب بين الإسلام والمسيحية على أساس أن الديانتين السماويتين من ناحية الأحكام العامة لا خلاف فيها، وأذكر أنني قلت لهم في كلمتي: إن الخلاف بيننا وبينكم سورة واحدة في القرآن، هي التي تفصل بيننا وبينكم، هذه السورة هي: **﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾**.

قلت لهم إذا أردتم أن تأخذوا بهذا المبدأ، إذن لا خلاف ولكن عندما يستعيد الإنسان أفكاره، أليس من العيب أن تعقد مؤتمرات للتوفيق والتقريب بين الإسلام والمسيحية، ونحن كمسلمين داخل بيتنا لا نحاول أن نصلح هذا الصدع، هذا الشرخ، ونقرّب بين القلوب، ونقرّب بين النفوس، ربما بدا الوضع بسيطاً بالنسبة لنا، ولكن أؤكّد لكم أن الوضع ليس كذلك، في بعض البلاد الإسلامية الأخرى وكما ذكرت لبعض الأخوان سواء كان التاريخ يعيد نفسه أو لا يعيد، فإنني أذكر تماماً أنه منذ ثلاثين عاماً بالضبط سنة ١٩٤٦ وفي مثل هذه الأيام، أيام عاشوراء وكنت في مستهل حياتي العلمية، وكنت معاراً

---

(١) كلمات غير واضحة في الشريط.

من حكومتي للعمل بالعراق دُعيتُ لإلقاء كلمة في مثل هذه المناسبة في النجف الأشرف، وقد ذكّرني بذلك بعض تلاميذي في وزارة نفط العراق، كان يمرّ بالكويت، في العام الماضي، وذكّرني عندما التقيت به أحيِّيه في شرف بحضور بعض الأساتذة العراقيين الموجودين معنا بالكويت، ذكّرني بذلك سنة ٤٦ منذ ثلاثين عاماً.

بالضبط، أستطيع أن أقول: إن هذا الخلاف قد يبدو بسيطاً بالنسبة لنا، ولكن في بعض المجتمعات الأخرى عندما يجتمع المذهبان، الخلاف ليس كذلك وإذا كانت هناك بعض العوامل فيما مضى قد ساعدت على توسيع الفجوة، توسيع الشق فهنا الأمانة علينا كمسلمين جميعاً نؤمن بالله وبرسوله وبآل البيت النبوي، العترة النبوية الشريفة الكريمة، جميعاً نؤمن بهم، يجب علينا جميعاً أن نحاول بعقول واعية أن نصلح هذه الأوضاع.

هذه دعوة في حقيقة الأمر لن تغيب عن بعض العلماء المجتهدين، منذ حوالي بضعة أسابيع أهدى لي أحد تلاميذي بجامعة الكويت، أهدى لي كتاباً إسمه (المراجعات) تأليف الإمام شرف الدين، واستهواني الكتاب وأخذت أقرأ فيه، وشدَّني إليه شدّاً، فإذا بي لا أتركه حتى أكملته، وأرجو أن أتمكّن من قراءته مرة ثانية، لا أستطيع أن أنكر أني وجدت في هذا الكتاب دعوة كريمة للتأليف بين القلوب، قلوب من؟ قلوب المسلمين، دعوة كريمة حبّذا لو أن مثل هذه الدعوة لَقِيَتْ أذناً صاغية منا جميعاً، لنعمل على تحقيقها، ولمثل هذا فليعمل العاملون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. (تصفيق).

شكراً للأستاذ الدكتور على محاضرته القيّمة، ونترك المجال للأسئلة الآن:

س ـ هل يرى السيد الدكتور أن هناك أملاً في أن يرى مشروع إعادة كتابة التاريخ وتنقيحه بصيص النور بالرغم من وجود الأهواء العميقة، والثقل

التاريخي الذي يربو على ألف وأربعمائة سنة، ونظراً لما يمسّ هذا الأمل بكثير من الصحابة وغيرهم؟

ج ـ أولاً: إذا كانت النوايا طيبة فليس هناك مساس بأحد، دائماً أنا أقول ـ سأجيب عن الشطر الأخير قبل الشطر الأول ـ نظراً لما يمسّ هذا العمل لكثير من الصحابة وغيرهم من أمراء المؤمنين ويجردهم من أرديتِهم، ذكرت الآن أنه إذا كان المقصود، ـ واسمحوا لي أن أتكلم بشيء من الصراحة والوعي ـ إذا كان المقصود بالتشيُّع، التشيُّع لآل البيت، فإنّ أي مسلم يتنكر لآل البيت، الإسلام بريء منه، وآل البيت جميعاً، فإن هذا هو، لا أستطيع أن أعبّر، ولا أستطيع، ولكن فيما يتعلق أعتقد بأي مسلم مخلص احترامه لآل البيت هو احترام للرسول، عليه الصلاة والسلام، والعترة النبوية هذه يعني جميعاً، نحن نعيش ونهتدي بهديها وبركتها ولا أقول هذا نوع من المباهاة أو غيره، ولكن عندما أكون بالقاهرة وأمامي هذا الجامع الأزهر، وهذا جامع الحسين، رضي الله عنه، لا يفصل بينهما إلا طريق بهذا العرض تلقائياً مع مكانة الأزهر العلمية والدينية وغيره، ولكن كيف أخرق مكان يرتبط باسم الحسين، رضي الله عنه، ولا أصلي فيه، كيف يكون هذا؟ أنا رجل مسلم، ومن هو الحسين؟ سبط الرسول، عليه الصلاة والسلام، الشخصية الكبيرة التي نعتزّ بها ونفخر بها، ولكن أقرن بهذا عبارة أخرى.

إنه من دواعي الأسف أنه عندما اشتدّ الخلاف بين صفوف المسلمين في وقت من الأوقات، تعرّض بعض الصحابة لكثير من الإتهامات، بل تعرّضوا للّعن، وهذا أمر غير مستحب إطلاقاً، إذا كان بعضهم قد أخطأ ألاّ يغفر لهم، أنهم كانوا من صحابة الرسول، عليه الصلاة والسلام، ولدينا في الإسلام الشيء الكثير، وأحسب أن حضراتكم جميعاً لدينا في آيات القرآن **﴿إدفع بالّتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾**.

هذا هو الأسلوب الذي نستطيع أن نجمع به الصفّ، هذه الناحية

الأساسية، لقد ذكرت الآن معنى التشيُّع، وإذا كان هذا المقصود بالتشيُّع فأنا أول إنسان شيعيّ، أول شيعيّ هو أنا، إذا كان التشيُّع، التشيُّع لآل البيت، ولهذا، ولكن علينا بالإعتدال إذا كان البعض قد وقع في الخطأ، وهذه أمانة نحن علينا أن نخفّف من هذه الغلواء، من حوالي يمكن أسبوع زارني بعض الأخوة الكرام في منزلي، وأثناء حديثنا، حديث عابر لمثل هذه الأمور، ذكر لي أحدهم عبارة، وبعد أن انصرفوا أخذت أسترجع هذه العبارة مرة ومرات.

قال لي: يا دكتور تجد أن الذي قام بالسباب على مر عصور التاريخ من الشيعة هم جماعة الجهال، وليس العلماء إطلاقاً، بعكس الذي قام بالسباب في جماعة السنة، كانوا كباراً وليسوا صغاراً، استرجعتُ هذه العبارة، قد يكون فيها بعض من الصحة، وقد يكون فيها بعض المبالغة، ولكن الحقيقة أنني ممن اتّصلت بهم من أئمة الشيعة من سنوات طويلة مثل آل كاشف الغطاء في النجف الأشرف وغيرهم، وممن قرأت لهم، لم أجد إلا الكلام الطيب، الكلام الذي يشفي القلوب والصدور، وكما أقول: هذا هو الأسلوب إذا كنا بصدد توحيد صفوف المسلمين، فليس الأسلوب هو أسلوب السباب، وليس الأسلوب هو أسلوب اللّعن، وإذا كان غيرنا قد وقع في هذا الخطأ فيما مضى فنحن علينا الأمانة الآن أن نصلح هذه الأمور، يكفي أن آل البيت لهم اعتبارهم الكبير في قلب كل مسلم، ويكفي أن تصحح الحقائق بما يكفل لهم مكانتهم السامية، التي لا يمكن ولا نرتضي أن ينتقص منها أي إنسان ذرة صغيرة، وبعد ذلك علينا بالإعتدال وعلينا بالإتّزان.

س ـ هل يرى السيد الدكتور أن هناك أمل في أن يرى مشروع إعادة كتابة التاريخ وتنقيحه وبصيص نوره؟.

ج ـ لا بأس مع الحياة إذا كانت هناك العزيمة، فالأمل موجود يصير مشروع إعادة كتابة التاريخ، منذ حوالي ثلاث أو أربع سنوات ـ وكان المفروض أن تنهض الجامعات العربية الإسلامية بإعادة كتابة التاريخ

الإسلامي ـ وضعت أسس للمشروع فعلاً، وحسب ما بلغني أن الكويت ـ حكومة الكويت ـ أسهمت في الإنفاق أو سدّ الجزء الأفضل من نفقات هذا المشروع، وفُوتِحتُ في هذا المشروع منذ ثلاث سنوات تقريباً عندما أتيث إلى الكويت أستاذاً زائراً لمدة شهر، فوتحت في هذا المشروع على أن أشترك فيه، وبعد ذلك عدتُ وشاءت الظروف أن أحضر إلى الكويت في العام الماضي أستاذاً بجامعتها، فسألت عن هذا المشروع، فقيل لي: لقد انطوى ونام وعفى عليه الدهر، ماذا حدث؟ قال: إجتمع رجال الجامعات، واجتمع مندوبو الجامعات ورئيس قسم التاريخ في إحدى الجامعات ـ سامحه الله ـ في شبه الجزيرة العربية، لا داعي للتحديد بالضبط، بدأ هو يسرّح جميع أساتذته الموجودين في القائمة، وما الحكمة من هذا؟ والتاريخ أهوَ موجود؟ والتاريخ أهُوَ مكتب؟ وإيه الحكمة من إعادته؟ (وأحنَه) كل يوم نرجع تالي لنعيد كتابة التاريخ، وبذلك أسهم في إماتة هذا المشروع، ولكن إذا كانت الفكرة حية فعلينا بمواصلتها، ليس معنى أنها نقضت أو استكانت فترة بأن (أحنَه) نستسلم مع العزيمة، ومع اقتناعنا بأهمية هذا المشروع حرصاً على الإسلام، وتاريخ المسلمين، نجد أن هناك الأمل، والأمل الكبير في أن يرى بصيص النور.

س ـ ما هو صدى الدعوة إلى هذا التقييد في العالم الإسلامي؟ وهل هناك محاولة جادة؟.

ج ـ صدى الدعوة لا أدري بالضبط لأِن المشروع لم يعلن عنه ولا يمكن تلمّس هذا الصدى إلا إذا أعلن عن هذا المشروع، ولكني أحسب أن هذا الصدى لا بدّ أن يقابل بالترحاب ـ من كل مسلم غيور ـ غيور على دينه، وعلى تاريخ آبائه وأجداده، هذه هي الفكرة، وخاصة إذا كان الإسلام، أو إذا كان الهدف من إعادة كتابة التاريخ ليس التغيير لمبرر التغيير، وليس استبدال نزوة بنزوة، وإنما الهدف هو خدمة الحقيقة، والكشف عنها وإظهار الأمور كما ينبغي فعلاً، وفي هذا كله إلقاء دور كبير يُعْلي من شأن الإسلام، لا يخفى علينا أن كثيراً من غير المسلمين، لا أقول المستشرقين، لأِن بعض المستشرقين

منصفون، قلة منهم منصفون، ولكن بعض الكتّاب من غير المسلمين حتى الآن يتلمّسون مثل هذه الثغرات في صفوف المسلمين، لطعن الإسلام بين حين وآخر، أو على الأقل غمزه، غمزات قد تكون أشد وقعاً من الطعن.

أحسب أن مثل هذا المشروع إذا أُعلِن عنه فلم يلقَ إلا ترحيباً من كل مسلم عاقل، متفهم واع، حريص على دينه وعلى تاريخه.

الحقيقة الأسئلة كثيرة، ويترك مجال نقاش في الديوانية، إن شاء الله، في نهاية اللقاء أشكركم على الحضور وأشكر الأستاذ المحاضر على محاضرته القيّمة، وأعلن عن محاضرة في الليلة الآتية إن شاء الله بعنوان في (موكب الأنبياء) للشيخ محمد مهدي الآصفي. شكراً وأكرِّر شكري. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. شكراً لكم جميعاً.

ـ قالوا في الإمام علي (عليه السلام) ـ

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

(القرآن الكريم ـ سورة المائدة)

«يا علي من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبَّك فقد سبَّني لأنك مني كنفسي، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وأن الله تبارك وتعالى خلقني وخلقك من نوره واصطفاني واصطفاك، فاختارني للنبوة واختارك للإمامة فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوَّتي. يا علي أنت وصيّي ووارثي، وأبو ولدي، وزوج ابنتي، أمرك أمري ونهيك نهيي فأقسم بالذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية إنك لحجة الله على خلقه، وأمينه على سره، وخليفة الله على عباده».

الرسول الأعظم (ص)

سمعت رسول الله يقول: «علي مني كمنزلتي من ربي».

(أبو بكر)

هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

(عمر بن الخطاب)

لولا علي لهلك عثمان.

(عثمان بن عفان)

سمعت النبيَّ يقول: «خير الخلق والخليفة، وأقربهم عند الله وصيه علي بن أبي طالب».

(عائشة بنت أبي بكر)

لقد ذهب العلم بموت علي بن أبي طالب.

(معاوية)

إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة.

(المأمون الخليفة العباسي)

كلمة العلامة الأستاذ حامد حسن على كتاب «العلويون في مواجهة التجني»

ويليه الأستاذ الكبير البحاثة، والشاعر المصقع.والذي نال قصب السبق في عصرنا هذا بمجالات العلم والأدب والفلسفة والمنطق، وقلما يلحق غباره شاعر.

وإلى جانب علومه الجمّة فهو رجل الدين والصلاح والتقى والإصلاح والذي عاش بين كتبه وفي مكتبته الذاخرة بآلاف الكتب للعلم والعالم معاً، وللعالِم والمتعلم أيضاً وهو الغني عن التعريف لأنه الأستاذ «حامد حسن».

(هذا العالم الفاضل والمؤرخ المتحرر، ذو الرأي السديد والعقل النيّر قد كتب ما ورد طيّاً كمقدمة لكتاب علامتنا الجليل وشاعرنا الكبير، وعلم الأدب الشاهر والمؤمن الصادق، والعلوي الغيور، والذي أبت عليه علويته أن يسكت على التجني لأنّ «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

أو تغض عينه على القذى فأتحفنا بكتابه البديع المؤلف من (٢٢١) صفحة وعنوانه:

«المسلمون العلويون في مواجهة التجني».

حسّن الله حالك وأحوالك يا أخي ويا سيدي (أحمد علي حسن) وبلّغك مناك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لا عدائك ووفقنا جميعاً للعمل بما يرضي الله تعالى ومحمد نبيه وعترته الطاهرة (صلّى الله عليه وآله أجمعين).

التاريخ العربي الإسلامي
أمام محكمة العقل والضمير

اطّلع صديقنا الأديب البحّاثة الشاعر الأستاذ حامد حسن على هذا الكتاب ورأى أنّ يتحفنا بهذا البحث المستفيض كمقدمة لهذا الكتاب، وكمدخل إلى أبحاثه وهي مقدمة ألمّت بالكثير من نقائض التاريخ العربي والإسلامي، آثر حفظه الله عرض هذه النقائض على القرّاء لتكون بها عبرة وعظة للمتمسكين بهذا التاريخ على علاته.

أحمد

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم؟!

وأي جهل بلغ من الحدة والشدّة والسعة والضعة والمدى والصدى، ما بلغه جهل مؤرخي العرب؟!

هل عرف التاريخ على امتداد عصوره، واختلاف أممه وشعوبه، وتعدد زمانه ومكانه أمة تقاطعت، وتدابرت وتلاسنت، وتطاحنت، وتهاجت، وتلاحت، وقطعت أرحامها ومزقت وحدتها، وفرقت كلمتها، كهذه الأمة، بفعل بعض قادتها ومؤرخيها؟!

أمة كانت ولا شك خير أمة أخرجت للناس، لولا أن ذهب بخيرها من ظنَّت بهم الخير، وأسلمت إليهم قيادها فأضلّت سبيلها، وانحرف مسارها.

والخير كل الخير في أمة، لم تتخذ من الكيد وسيلة، ومن القطيعة ذريعة ومن الوقعية نهجاً، ومن التباغض ديناً، ومن التلاحي والشقاق ديدَناً.

أمة درج بعض فقهائها، وبعض علمائها، وبعض مؤرخيها على إقامة الحواجز المذهبية بين أبنائها، فأصبحت مثلاً أعلى للخلاف وعنواناً مميزاً للشقاق والتنابذ، فامتدت إليها أيدي المتربصين، وتطلّعت إليها عيون الطامعين وتوالت عليها سهام الحاقدين..

ضع خارطة العالم أمام عينيك، وأمعِن نظرك فيها طويلاً، ثم قل: أين ينيخ الإستعمار، قديمه وحديثه، بكلكله، وعلى أي بلد يلقي بثقله؟! إنك واجد بلا ريب، أن البلاد العربية والإسلامية تقع في قائمة البلدان المتخلفة فكرياً، واقتصادياً وحضارياً، وهذا التخلف عن مجاراة الشعوب، ومواكبتها في مضامير الحياة المتعددة، مكّن للإستعمار من أعناقها وسهّل عليه مدّ جذوره، وبثّ سمومه في جسمها فاستلب خيراتها، واستنزف ثرواتها، وتحكّم في مصائرها وإذا تقصّينا الأسباب، وتتبّعنا البواعث، وجدنا أن كل ذلك يعود في حقيقته وجوهره إلى تلك الأفكار التقليدية التي تجاوزها الزمن، وتنكّرت لها الحياة، ولتلك النظرة التي تقف من العقل والمنطق، وأحداث التاريخ، موقفاً معارضاً، معادياً صلباً وعنيداً، وهي مع ذلك من المسلمات التي لا تقبل نقاشاً، ولا جدلاً، ولا يجوز أن تتسرّب إليه الشكوك، وقد اتخذت من الغوغاء مجتمعاً وقبيلاً، وأنصاراً، ومن ذوي الأغراض والأهواء دعاة وحماة ومستثمرين!!.

ولا تَقِلُّ المسلّمات التاريخية ضرراً وفتكاً، وتمزيقاً لوحدة هذه الأمة عن أثر تلك وتأثيرها..

هذا التاريخ الذي استوعب كل هذا واستقْبحه، هذا التاريخ المائِن الشائِن، الضّال المضل، المفرّق الممزِّق المكتظ بالمعائب والشوائب والمصائب ـ والمثالب ـ.

هذا التاريخ الذي نقرأ، لنعني عقولنا، ونترف مشاعرنا، ونثرى وجداننا، ثم نلقنه صبياننا ليفخروا ويباهوا ويعتزوا بتراث أجدادهم وينهلوا من معين أخلاقهم، ويدرجوا على طريقتهم، ويسلكوا مناهجهم، ويتخذوا من كل ذلك

حافزاً لحاضرهم، وزاداً لمستقبلهم وابتعاثاً لحضارتهم . .

هذا التاريخ، ما كان إلا عاملاً، فعّالاً، وأساسياً، في زعزعة أركان وحدة العرب والمسلمين، وما عمل إلا على إيقاظ راقد الفتنة، وإيقاد نار الفرقة . .

صفحاته مدلَهِمَّة سوداء، ممزَّقة بالدِّماء، يختزن في صفحاته، وكلماته، وحروفه أفتك السموم، وأقتل الأدواء، ينفثها في الصدور، والنفوس والعقول . .

هذا التاريخ الذي كتبته أقلام مأجورة، وعواطف مسعورة وفئات مأمورة، خدمة لأِغراض الساسة والسياسة، وتدعيماً لأِركان السلطة والرئاسة، لا يُراد به وجه الله ولا خدمة الدين، ولا مصلحة الأمة . .

هذا التاريخ، الذي فرضته السياسة بالإغراء والترغيب حيناً، وبالتخويف والترهيب حيناً آخر، كما تطوّع لكتابته آخرون، بدوافع قبليّة، وفروق مذهبيّة، أو اتجاهات حزبية، ونوازع عنصرية وشعوبية، فشحنوه بالأكاذيب وأتخموه بالأباطيل، تحقق لهم ما أرادوه من تفريق الأمة العربية، وهدم الإسلام، وتقويض أركانه وزلزلة بنيانه.

وما زال هذا التاريخ الأسود الضالّ، المفرِّق المملوء معايب ومسالب، يُعتبر المرجع الأول، والمنهل العذب والقبس الهادي، والسبيل اللّحب، لبعض الكتّاب المعاصرين، كالدكتور عبد الرحمٰن بدوي، وأبو موسى الحريري، وأخيراً السيد عبد الحسين مهدي العسكري[1]، هذه الأقلام المفرقة، التي لا همّ لها، إلا تحريك الماضي، ونبش القبور وإثارة العواطف البغيضة . .

---

(١) المحقق يقول: عبد الحسين مهدي العسكري ـ إسم وهمي لا وجود له في العالم الإسلامي الشيعي والمؤلف الحقيقي هو من زبانية النظام العراقي الدموي ويُدعى عبد الله سلوم السامرائي، كما أنه أبا موسى الحريري إسم مزعوم والأرجح أنه فؤاد افرام البستاني المؤرخ الماروني الشهير.

لم يزل هؤلاء، وأمثال هؤلاء، على ما هم عليه من ثقافة وسعة اطّلاع، وعلوّ كعب، وطول باع، ويغرقون من هذا التاريخ الذميم السميم، العتّل الزنيم، وهم على علم بنقائضه، وعلى بصيرة من عواقبه، وعلى دراية بمقدماته ونتائجه، مدفوعين بتلك العوامل، مُساقين بتلك الأسباب، التي اندفع وانساق بها سابقوهم، من كتبة هذا التاريخ، مُختارين نفس الظروف، منقادين لنفس الرغبات، محققين عين الأغراض والأهداف، وأعين حقيقة عملهم، مدركين مدى خطورته، وأبعاد ما يرمون إليه متذرّعين بنفس الذرائع . .

هذا التاريخ، احتقب واستوعب كل المخازي في مختلف اتجاهاته، وشتى مناحيه ومدوّناته، سواء في السياسة أو الدين، حديثاً وتفسيراً، وفقهاً وسيرة وتاريخاً وحتى حاولت يده الأثيمة، أن تمتد إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. . . .

إننا لا نرسل الكلام إرسالاً على العواهن ولا استرسالاً مع الطوائف، أو انسياقاً مع الإنفعال ولكنّنا نقدم الدليل القاطع، والبرهان الدامغ والحجة البالغة، والبيان الناصع، على صحة المدعي، وصدق الإتهام، ولكن من أين نبدأ؟؟.

لنبدأ من بدء الإسلام، ولنشر إشارات خاطفة على مضامين هذا التاريخ نفسه مستشهدين بما يحويه ويختزنه، ومشيرين إلى أعلام كتابه، وأوثق مصادره.

قال التاريخ:

لما احتضر أبو طالب، عمّ الرسول، وقف الرسول (ص) على رأسه، وعيناه دامعتان، قائلاً، قُلها يا عم وأنا أضمن لك الجنة، والضمير في (قلها) للشهادة. .

ولكن هذا التاريخ، وعلى ذمته، يروي، أن أبا طالب لم يقلها، رغم حرص الرسول وإشفاقه على عمه.

أبو طالب، الذي كفل الرسول صغيراً، وتعهده يافعاً ودعمه شاباً، وصانه وحماه رسولاً وداعياً إلى الله، دافع عنه بماله، وأبنائه، وقومه، قولاً وفعلاً، وكافح بجهده وسيفه، وعارض دونه بعرضه، وبكل ما أوتيه من قوة وعدة وجهد وطاقة..

تحدى قريش الغاضبة، على قداسة آلهتها، والمهدّدة بتجارتها، وعنجهيتها وإقطاعها، من عبيدها وأتباعها الذين صبُوا إلى دين محمد، واستجابوا لدعوته وآمنوا برسالته...

قريش الغاضبة، الهادرة، المتوعدة، الجالبة بخيلها ورجلها، وكيدها على بني هاشم، يتصدى لها أبو طالب شيخ بني هاشم، وناصر محمد، فيفحمها قولاً، وحجة ويطاولها فعلاً، يغاضبها، وينافرها، ويدابرها، مقاطعاً، لاجئاً إلى الشعاب ليحفظ محمداً ورسالة محمد، متحملاً مع عشيرته الجوع والعطش، ونوم العراء في حمّارة القيظ، وصبّارة الزمهرير...

أبو طالب، هذا الذي لولاه لم تقم الرسالة، ولم تقو ولم يكن الإسلام، ولم يحفظ وينشر...

أبو طالب هذا لم يقل الشهادة، شعار الإسلام، وعماده، هذا ما يعلّمنا إياه التاريخ!!.

ولكن هذا التاريخ نفسه، يعلّمنا ويحتفظ لنا بين كنوزه، أنّ أبا سفيان، رأس الضلال والشرك، وقائد المشركين في مكة، ومحرّضهم، ونافخ روح العداوة البغضاء في صدورهم على محمد، والدّين الجديد، أبو سفيان، صاحب معارك، بدر، وأُحد والخندق. وغيرها من وقائع الغدر والكيد، للإسلام والمسلمين..

أبو سفيان، محزّب الأحزاب، ومثير القبائل، ومجيّش العرب، على محمد، ورسالته، قالها!!! قال الشهادة وحسن إسلامه، وضمن له الجنة...

أبو سفيان، الحميث الدّسم الأحمس[1] رأس المؤلّفة قلوبهم، وقاية لشره واتّقاء لكيده للإسلام، قال الشهادة، على ذمّة التاريخ، أما أبو طالب فلم يقلها!!.

وهند بنت عتبة، زوجة أبي سفيان، وصاحبة (الفاكه)، هند، هذه التي بذلت مالها وحليها، وغير مالها وحليها، لعبدها (وحشيّ) ليقتل الحمزة، عمّ الرسول، وأسد الله..

هند هذه، التي شقّت صدر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وأخرجت كبده ومضغتها لتطفىء، لظى حقدها، على محمد والإسلام والرسالة، وجدعت أنوف وآذان الشهداء في أُحد، وعلّقتها قلائد في عنقها، وأعناق صويحباتها من نساء المشركين..

هند هذه قالتها!! قالت كلمة الشهادة، وحسُن إسلامها وضُمنت لها الجنة، هذا ما يقوله التاريخ!!.

ولئن كان هذا حظّ أبي طالب[2] من التاريخ، فما هو حظ الرسول (ص)..

يقول التاريخ:

---

(١) كلمة قالتها هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لما رجع من عند الرسول قائلاً «يا معشر قريش، لا قبل لكم بمحمد، فقالت هند اقتلوا الحميث الدسم الأحمس، قبحت من طليعة قوم، والحميث زق السمن والدسم الكثير الودك، والأحمس الكثير اللحم، لأنه كان عيلاً سميناً.

(٢) يقول المحقق:
كيف يموت أبو طالب شيخ البطحاء عمٌّ النبي والمجاهد الأول في سبيل الدعوة كافراً وهو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمّد ... من خير أديان البرية ديناً
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسدني التراب دفينا

إن رسول الله كان يتلقى الوحي من أمين الله جبريل ـ سورة النجم ـ فوقف الشيطان بينهما، وألقى على لسان النبي (ص) تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهنَّ لَتُرتجى..

وجاء في صحيح البخاري، المجلد الثامن ص ١٥٢ حديث مرفوع عن ابن عباس، عن عمر أنه لمّا قَدم المدينة قال: إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل آية الرَّجم...

وأخرج مالك والشافعي، عن سعيد بن المسيب، عن عمر، في خطبة له، إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم يقول قائل: لا نجدُ حدَّين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله، ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتُها: الشيخ والشيخة، إذا زنيا فارجموهما البتَّة، فأنا قد قرأناها وفي لفظ أحمد، عن عبد الرحمن بن عوف، لولا أن يقول قائلون، أوَيتكلم متكلِّمون، أنّ عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه، لأثبتُّها كما نزلت..

فهل ينطبق هذا التاريخ على قوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ وقوله: ﴿وانّا نحن نزّلنا الذكر، وأنا له لحافظون﴾ وهل في الزيادة والنقصان، اللذين يزعمهما هذا التاريخ حفظ للقرآن الكريم..

وهذا التاريخ ينحدر بالرسول (ص) إلى درك الشهوة عندما يحفظ لنا في صفحاته لا بل في صحاح صفحاته: حدثنا المكي بن إبراهيم، مرفوعاً إلى أم سلمة، قالت بينما أنا مع النبي (ص) مضطجعة في خميصةٍ، إذ حضت، فانسللت فأخذت ثياب حيضي قال: أنفستِ؟ قلت: نعم، فدَعاني، فاضّطجعت معه في الخميلة..

وحدَّث، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: كنت أغتسل أنا والنبي (ص) من إناءٍ واحدٍ، كِلَانا جُنُب، وكان يأمرني فأتّزر، فيباشرني وأنا حائض..

وفيه، حدَّثنا اسماعيل بن خليل، عن ابن مسهر، عن الشيباني، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه عن عائشة، قال: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله أن يباشِرَها، أمرَها أن تتزر في فور حيضِها، ثم يُبَاشِرُها، قالت: وأيُّكم يملك أُربه، وفيه حدث أبو النعمان، مرفوعاً إلى ميمونة زوجة النبي قالت: كان رسول الله إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه، أمرها فاتّزرت وهي حائض[1]..

وفي الكتاب الكريم: ﴿يسألونك عن المحيض..﴾.

وفيه، حدث عبد الأعلى، مرفوعاً إلى أنس بن مالك أن النبي (ص) كان يطوف على نسائه. في الليلة الواحدة وله يومئذٍ تسعُ نسوة..

وحدث، محمد بن بشّار مرفوعاً إلى أنس بن مالك أن النبي كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهنَّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين...

وروي عن عائشة أنه (ص) كان يقبلني شق التينة أو شق البلسة، وذلك أن يأخذ شفتيها بيديه ثم يقبل ما بينهما..

ويظهر من هذه الأحاديث، أنها كلُّها تتعلق بالنساء والشهوة الجنسية، فكأن الوضاع أرادوا أن يحققوا الميول الجنسيّة، والرغبات المغتلمة الشبقة على لسان الرسول (ص)، إضافة إلى أنهم يرمون إلى سلب الإسلام ورسوله القداسة والطهارة والعفّة..

ويروي التاريخ في هذا المجال أيضاً، أن الزهّاد المسلمون، كانوا يفطرون في رمضان على الجماع، وربما جامع أحدهم قبل صلاة المغرب في

---

(١) يقول المحقق:
يبدو أن هذه الإسرائيليات التي رواها البخاري وغيره هي التي أوحت إلى المرتدّ الأفّاق سليمان رشدي الإنكليزي النزعة بآياته الشيطانية فتأمّل.

رمضان ولا ضير عليه فقد قال رسول الإسلام: حبّب إليّ من دنياكم ثلاث، النساء، والسواك، وقرّة عيني في الصلاة.

ومن كنوز تاريخنا الإسلامي، وما له علاقة بسيرة رسول العرب والإسلام، قصة الحمار «تلك القصة التي يوردها ابن كثير في تاريخه ج٦ ص ١٥٠ بالأسناد المتصل عن ابن منظور، قال: لما فتح الله على نبيه (ص) خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج من البغال، وأربع أزواج خفاف، وعشر أواق ذهب وفضة، وحمار أسود ومكتل، قال: فكلّم النبي الحمار، فكلّمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدّي ستين حماراً، كلّهم لم يركبهم إلاّ نبي لم يبق من نسل جدّي غيري. ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أتوقع أن تركبني، وقد كنت قبل لرجل يهودي، وكنت أعثر به عمداً، وكان يجيع بطني، ويضرب ظهري قال النبي: سميتك يعفوراً؟. يا يعفور، قال: لبيك قال: أتشتهي الإناث؟ قال: لا!! فكان النبي يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه، بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله، فلما قبض الرسول جاء إلى بئر ماء كان لأبي الهيثم بن التيهان، فتردى فيها، فصارت قبره، جزعاً على رسول الله[1].

وهنا نقول: صدق ابن أبي العوجاء القائل: والله لقد وضعت أربعة آلآف حديث، حلّلت فيها الحرام، وحرّمت الحلال، فطّرتكم يوم صومكم، وصوّمتكم يوم الفطر، وكم في هذا التاريخ من أمثال هذا (الوضّاع) الزنديق؟! وهذا التاريخ يجعل من معاوية بن أبي سفيان، عشيقاً لله، تحسده الملائكة، وجعل له مقاماً ينحطّ عنه (محمد والأنبياء (ص)!!.

روى الحافظ بن عساكر في تاريخه الكبير: أن رسول الله (ص) قال: لا

---

(١) السيوطي، هاشم تفسير الجلالين تفسير آية ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول﴾ الآية.

أفتقد أحداً من أصحابي غير معاوية، فإني لا أراه ثمانين أو سبعين عاماً، فإذا كان بعد ثمانين أو سبعين عاماً، يقبل علي على ناقة من المسك الأذفر، حشوها من رحمة الله وقوائمها من الزبرجد، فأقول: يا معاوية، فيقول: لبيك يا محمد، فأقول: أين كنت من ثمانين أو سبعين عاماً! فيقول: كنت في روضة تحت عرش ربي، يناجيني وأناجيه، ويُحيِّيني وأُحيِّيه، ويقول هذا عوض عما كنت تشتم به في الدنيا..

وفيه نزل جبرئيل على النبي (ص) ومعه قلم من ذهب ابريز، فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: هذا هديّة مني إلى معاوية، فقُل له يكتب به آية الكرسي، ويعجمها، ويشكّلها، وأعلمه أني أكتب له ثواب من يقرأها إلى يوم القيامة[1].

وفات واضع الحديث: أن الإعجام والإشكال لم يُعرفا أيام الرسول!!

وفيه: أن رسول الله، قال لزوجته أم حبيبة، أخت معاوية: إني أُحب معاوية، وأحب من يحبه، جبرئيل وميكائيل، يحبان معاوية، والله أشدّ حباً لمعاوية من جبرئيل وميكائيل.. وقيل: قال رسول الله: جاء جبرئيل بورقة آس أخضر مكتوب عليها: لا إله إلا الله، حب معاوية فرج من الله على عباده..

وقيل: قال رسول الله: إن الله ائتمن على وَحْيِهِ ثلاثة: أنا، وجبرئيل، ومعاوية، وكاد معاوية يُبعث نبياً..

هذا بعض ما رواه هذا التاريخ في معاوية، مستخدماً فيه لسان رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى.

فماذا يحفظ لنا ويختزن في صدره من المناقب للخلفاء بعد معاوية؟!

---

(١) يقول المحقق: لم يثبت أنّ معاوية كتب الوحي، ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي، كان يكتب الرسائل فقط للنبي (ص).

قال التاريخ: قال رسول الله (ص): الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم ملكاً عضوضاً، وقال الذهبي: إن أربعين شيخاً شهدوا أمام يزيد بن عبد الملك، لمّا أراد أن يسير بسيرة الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز: إن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب..

وروى هذا التاريخ، تبريراً لأعمال الخلفاء: إنَّ من قام بالخلافة ثلاثة أيام لا يدخل النار..

ويروي أيضاً: أن من استخلف، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فبشرى ليزيد والوليد وأمثالهما!!.

ولتبرير سلوك بعض الخلفاء الذي ينكره الإسلام، وضعت قاعدة جواز إمامة كل بر وفاجر، والصلاة وراءه!!.

وهذا التاريخ، الذي رفع معاوية إلى مقام، يحسده عليه الأنبياء والملائكة كما تقدم، مذا قال عنه؟؟.

قال في معاوية أربع صفات، كل واحدة منهن موبقة: ١ ـ نزوة على الخلافة، ٢ ـ قتل حجر بن عدي وأصحابه، ٣ ـ نقض مبدأ الشورى، ٤ ـ تولية يزيد.

وقال ـ والضمير يرجع إلى التاريخ ـ: إن معاوية لمّا أراد أخذ البيعة ليزيد، أوعز إلى بعض القادة، فوقف هذا بين الناس في مجلس معاوية قائلاً: أيها الناس إذا مات هذا ـ وأشار إلى معاوية ـ فهذا ـ وأشار إلى يزيد ـ ومن أبى فهذا، واستلَّ سيفه، فقال له معاوية: إجلس، فأنت أخطب العالمين..

ولا يبخل هذا التاريخ على يزيد بأوصاف تخجل من إيرادها، وأيسرها شرب الخمر، والضرب بالطنابير، وسماع القيان، واتخاذ قرده أبا قيس سميراً ونديماً، يشب على كتفيه، وهو في دست الخلافة ويعبّ معه في الكأس التي يشربها، وعندما مات كفّنه وأمر الناس بالصلاة عليه...

يزيد، الآمر بقتل الحسين، والناكث ثناياه، والذي أمر بسوق نساء آل محمد سبايا عرايا. .

يزيد، الذي أمر صاحبه مسلم بن عقبة بإباحة المدينة حرم رسول الله ثلاثاً، وأن يعرض أبناء الصحابة المقيمين فيها جزراً على السيف، يزيد هذا، يجد في التاريخ مبرراً لعمله وأفاعيله، أليس خليفة المسلمين، لا حساب عليه ولا يدخل النار. .

وماذا؟ ألم يروِ لنا التاريخ، عن عمار بن ياسر: إذا رأيتم الشام اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان، فالحقوا بالمدينة. . .

وعن الرسول، إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه. وماذا في جعبة هذا التاريخ عن علي بن أبي طالب خصم معاوية السياسي. .

قال رسول الله (ص): «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». . .

وقال: «يا علي، أنت أخي في الدنيا والآخرة». . .

وقال: «يا علي سيدخل أصحابك الجنة غرّاً محجَّلين كما يدخل أعداؤك النار، غُضابى مقمحين».

وكثير من أمثال هذه الأحاديث في علي وفضله وتفضيله، ولكن، يروى عن أبي هريرة، لما صحب معاوية إلى الكوفة عام المجاعة، دخل المسجد الجامع، وجثا على ركبتيه، وضرب صلعته، وقال: يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله وأُحرق نفسي بالنار؟ والله، لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبي حرماً، وإن حرمي ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أنّ علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله هذا قرّبه وأكرَمه، وولاّه المدينة. .

ويروي الزهري، مرفوعاً إلى عائشة، قالت: كنت مع رسول الله، إذا

أقبل عليّ والعبّاس، فقال: يا عائشة، إن هذين الرجلين يموتان على غير ملّتي، أو قال: على غير ديني ومثله، قال محفوظ، قلت ليحيى بن صالح الوحاظي: قد رويت عن نظراء حريز، فما بالك لم تحمل عن حريز؟! قال: أتيته فناولني كتاباً، فإذا فيه: حدثني فلان عن فلان، أن النبي (ص) لما حضرته الوفاة، أوصى أن تقطع يد علي بن أبي طالب.

ويروي لنا التاريخ، تاريخ العرب والإسلام، أن الحجاج حمل أسماء بن خارجة، سيّد بني فزارة، وسعيد بن قيس الهمداني، رئيس اليمانيّة، على تزويج ابنتيهما قسراً من صفيّه وخليله ابن هاني، ثم قال له: أنظر فقد زوجتك ابنة سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان، فقال: لا تقل هذا، أصلح الله الأمير فإن لنا مناقب، ليست لأحد من العرب، فقال الحجاج: وما هي؟؟ قال: ما سبّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قط!!

فقال الحجاج: منقبةٌ والله..

قال: وشهد منا صفّين، مع أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، سبعون رجلاً وما شهد منا مع أبي تراب إلاّ رجلٌ واحد، وكان ذلك الرجل على ما علمتُهُ أمرأ سوء..

فقال: منقبة والله..

قال: ومنّا نسوة، نذرن إن قُتل الحسين، أن تنحر كل واحدة منهن عشر قلائص وفعلن..

فقال: منقبة والله..

قال: وما منّا رجلٌ عُرِضَ عليه شتمُ أبي تراب ولعنُهُ إلاّ وزاد عليه ابنيه الحسن والحسين وأمّهما فاطمة..

فقال: منقبة والله..

وهكذا نرى كيف يجمع تاريخنا، بين النقائض، وكيف يقوم على الوضع

والإختلاف، تأييداً لمزاعم، وترويجاً لمذهب وإشاعةً لفاحشة، وتقرُّباً من سلطان، وطمعاً بجاه ومال، واستجابةً لعصبيّة ونحلة.

كذب على الله ورسوله، فهل يتورع من الكذب والتشنيع على علي وآله، وشيعته في العهدين الأموي والعباسي؟ وهم ـ أي آل علي الأحقّ بالأمر ـ والمطالبون به والمدافعون عنه!!.

وإذا اعتبرنا أنّ كل ما مرّ معنا من اختلافات المؤرّخين له طابع سياسي، فماذا عن الفقه، وعلمائه ومصنَّفاته ومظانّه، ورواته، ومذاهبه!!.

ماذا حفظ لنا التاريخ عن المذاهب؟ وعن فقه هذه المذاهب؟!

قسِّم الفقه الإسلامي المسلمين، إلى مذاهب متعددة، أبرزها أربعة عند معسكر أهل السنّة واثنان عند معسكر الشيعة، الإمامي والزيدي.

وإذا رجعنا إلى هذه المذاهب، نجد اختلافاً كبيراً بينهما بعضها في الأصول وأكثرها في الفروع..

فقد نجد الاختلاف في المسألة الواحدة، فهي عند بعضهم واجبة، وعند الآخرين جائزة، وعند زيد مستحبّة، ولدى عمر مستكْرهة...

ولقد حاول العلماء والفقهاء المخلصون تلافي هذه الإختلافات وتداركها، والتقريب منها، فوضعوا قاعدة اختلاف الأئمة وماذا فيه من الحكمة!!.

وقالوا: من اجتهد وأصاب فله ثوابان، ومن اجتهد وأخطأ فله ثواب، فكيف نعتبر الخطأ صواباً، ونبرِّر الخُطاة، ونلجأفي اجتهادناإلى التلفيق؟!..

ونتساءل: هل صلى رسول الله صلاتين مختلفتين؟ أو ثلاثاً، أو خمساً، أو أكثر، وهل توضأ على صورة أو أكثر؟ وهل صام على حالتين؟ أو أكثر؟ وهل عمل في اليوم وأخطأ ثم تداركه في ثاني الأيام، فأضاف إلى عمله شيئاً، أو أنقص منه أشياء؟!.

ومن أين جاء الرواة والفقهاء بهذه الإجتهادات المختلفة، وتلك

الرّوايات المتضاربة، وكلّها مسندة إلى رسول الله؟ وماذا تعني عنعنة الأحاديث، وتعدّد الرواة؟ وكيف نوثّق بعضهم، ونضعّف البعض الآخر؟!.

ومن يضمن لنا ارتباط هؤلاء الرواة بالصدق التام!! والإبتعاد عن تأثير السياسة والقبلية والموالاة للحاكمين!! أضف إلى ذلك صدق النقلة، ورواة الأخبار طوال هذه القرون..

من أصدق قولاً، وأوثق حديثاً، وأمتن سنداً من رواة المعسكرين؟؟ نحن مع كل حديث نُسب إلى رسول الله (ص) سواء كان معنعناً، أو مرسلاً، أو أحاديّاً، ضعيفاً أو قوي السند معدّلاً أو مجروحاً، إذا انطبق على ما في كتاب الله، أو على المقاصد العامة التي شرّعها الله لعباده، في كتابه المبين، الذي وسع حاجات الإنسان فرداً وأسرة وجماعة، وحدد له سلوكه، بما فيه من أوامر ونواهٍ، ومفترضات، فلماذا هذا الإختلاف؟؟

هل أراد محمد لأمّته أن تختلف في صلاتها، وصيامها، وحجّها، وزكاتها، وجهادها، ، وشؤون حياتها، وضوابط سلوكها؟؟ **﴿إنّ هذه أمتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**..

شرَعَ رسول الله المسلمين، أن يتقدمهم إمام في الصلاة ويقتدي به جماعة المصلين، فمن هو الأحق، والأجدر بإمامة المسلمين؟؟.

يجيب على هذا السؤال، الفقيه «محمد وحيد الجباري» من الفقهاء البارزين المعاصرين، ويرتب الأولى والأجدر، كما يلي:

١ ـ السلطان، ٢ ـ وليّه، ٣ ـ الأحسن خُلُقاً، ٤ ـ الأحسن وجهاً، ٥ ـ الأكثر بشاشة، ٦ ـ الأحسن صوتاً، ٧ ـ الأحسن زوجة، ٨ ـ الأكثر مالاً، ٩ ـ الأكثر جاهاً، ١٠ ـ الأنظف ثوباً، ١١ ـ الأكبر رأساً، ١٢ ـ الأصغر عضواً (ذكراً)[١].

---

(١) بدعة التعصب المذهبي، لمحمد عيد عباسي، ص ١٩٣، طبع دار الوعي العربي.

فما رأي المسلمين بهذا الفقيه؟، وهذا الفقه؟، وكيف يتمكن المصلون من اكتشاف الأحق والأجدر، والأولى بالصلاة وخاصة ما جاء في الأرقام/ ٧ و١١ و١٢/ ، وإذا تمكّن المصلون من تعيين الأكبر رأساً، فكيف يتمكنون من إيجاد إمامهم الذي يتمتع بالصفتين/ ٧ و١٢/ ، لندع للقراء أمر هذا الفقه وهذا الفقيه، وهذا التاريخ المملوء بأمثال هذه الترهات!! لكن، هذا الفقيه، لم يجتهد، ولم يورد ما أورده اجتهاداً ولكنه أورده اعتماداً على فقيه سابق، واستناداًإلى مراجع متداولة، وهامة، وأحد هذه المراجع هو كتاب (الفلاح شرح متن الإيضاح) للشيخ حسن الشرنبلاني ص ١٢٠، وهناك مسألة إعادة الزوجة المطلقة عند الآخرين، وتلك الإجتهادات الواردة حولها والأرآء الفقهيّة المنصبّة عليها وأكثرها، إن لم نقل كلّها خرجت عن المراد، وأصبحت عبثاً على المجتمع . .

وأرجو أن لا يأخذ القارىء العجب، ولا يُصاب بالذهول إذا علم أن بعض الفقهاء، اعتبر لفظة (أنّى) للمكان، لا للزمان في قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتُم﴾!!.

أثر السياسة في هذه المذاهب . .

لم ينتشر مذهب من هذه المذاهب المتعددة بناءً على قوة حجته، ورجاجة برهانه على غيره، ولم يتقلص مذهب منها لضعف سنده ودليله، أو خطأ اجتهاده، لأِن كل مذهب يستند على قول رسول الله وفعله، فكيف اختلفت فيما بينهما؟!.

هل جاء الرسول بأقوال وأفعال تناقض بعضها؟!.

هذا مردود ومحكوم باستحالته.

إذن، السياسة هي التي فعلت فعلها، وحقّقت غاياتها بما سنده (الوضّاعون) إلى رسول الله، تأييداً ودعماً لهذه السياسة، وهذه الأحاديث

المتضاربة والروايات المتناقضة أدّت إلى تمزيق وحدة الأمة، وتوزّعت إلى فِرَق ومعسكرات ونحلٍ وكل حزب بما لديهم فرحون.

فقهاء الأمصار جاؤوا في أواخر القرن الأول للهجرة، فأخذوا عن بعض الصحابة والتابعين، رواياتهم المأثورة وأحاديثهم الصحيحة المحفوظة عن الرسول، لقرب العهد به، وبأصحابه، لم تكن هذه المذاهب مقتصرة على أربعة فقط، كما هو الحال عند أهل السنّة، أو الإثنين، الإمامي والزيدي، كما هو الحال عند الشيعة، بل نشأ خلال قرنين عديد من المذاهب، كمذهب أبي حنيفة، ومالك، وسفيان الثوري، وسفيان من عيينة، وعبد الله المبارك، وأبو عمر الأوزاعي، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، والليّث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وداود بن علي، وأبي ثور، وابن جرير الطبري، وغيرهم، فكيف تلاشت هذه المذاهب ولم يبقَ منهما إلا أربعة هنا، واثنان هناك، وكيف تمّت هذه التصفية وحصل ذلك الإنتخاب والإنتقاء والإصطفاء؟!.

يقول ابن حزم: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطات، المذهب الحنيفي في المشرق، والمالكي بالأندلس ولكن كيف حصل هذا؟!.

بنو العبَّاس تبنّوا مذهب أبي حنيفة، ومكّنوا له ابتعاداً عن مذهب أستاذه جعفر بن محمد الصادق وإضعافاً له، لما بين العلويين والعبَّاسيين من خلافٍ على الحكم، وأمر الخلافة..

ولما ولي الرشيد، أبا يوسف، تلميذ أبي حنيفة القضاء أوعز إليه، أن لا يولي القضاء إلاّ من كان على مذهبه في كل بلاد الخلافة العباسية، فانتشر المذهب الحنفي وازدهر..

وأعرضت الأندلس عن مذهب أبي حنيفة، لأنه نشأ في ديار بني العباس.

ولما استولى الفاطميون على مصر، نشروا التشيُّع ومذهب إمامهم جعفر الصادق، وحملوا أصحاب المذاهب الأخرى على اعتناقه، وعمل صلاح الدين الأيوبي في مصر لما أزال الخلافة الفاطميّة عنها نفس العمل، فألغى التشيُّع

ومذهب جعفر الصادق، وأحلّ مكانه المذهب الذي اعتنقه فأقبل الناس على اعتناقه والناس على دين ملوكهم، وفي أيام الموحّدين، وخاصة أيام يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، أبعد فقهاء المالكية، وأحرق كتبهم ومنها (مدوّنة سحنون)، وكتاب (التهذيب) وغيرها. .

وكان الغالب على الشام مذهب الأوزاعي، حتى ولي القضاء فيها أبو زرعة، محمد بن عثمان، فأدخل المذهب الشافعي وتبعه القضاة، كما كان الغالب على أهل الأندلس مذهب الأوزاعي، وأول من أدخله إليها صعصعة بن سلام، وبقي فيها حتى زمن هشام بن عبد الرحمٰن، فنشر المذهب المالكي، وحمل الناس عليه بالسيف.

ويذكر محبّ الدين الخطيب، في تعليقه على كتاب المنتقى في منهاج الإعتدال، لابن تيمية، تلخيص الحافظ الذهبي (ص ١٩ و١٨) قائلاً: إن خدا بنده أحد ملوك إيران سنة ٧٠٣، وكان من أهل السنة، غضب من زوجته فطلّقها ثلاثاً، ثم ندم وأراد إرجاعها، فأفتى الفقهاء بأنه لا يجوز إرجاعها حتى تنكح زوجاً غيره، كما شرع القرآن، فأبى عليهم، ثم قال له أحد أنصاره: لِمَ لا تستفتي فقيهاً شيعياً، فاستقدم ابن المطهر من بغداد، فأفتاه بأن طلاقه غير واقع، لأنه لم يطلق بحضور شاهدين عدلين، وأعاد زوجته، فاعتنق الملك منذ ذلك الوقت المذهب الشيعي، وعمّمه في البلاد وأمر عمّاله، أن يخطبوا باسم الأئمة الإثنى عشر، ونقش أسماءَهم على نقوده، وتحوّلت الدولة إلى المذهب الجديد. .

فهل يدّعي المتعصّبون أن المذاهب وجدت وانتشرت بغير السياسة والأهواء، وحتى الرغبات الفردية أو النزوات، إن صح هذا التعبير. .

هذه الدوافع السياسية، هي التي استخدمت المذاهب وقسّمت المسلمين وضربت وحدتهم الدينية والسياسيّة والإجتماعية، وهذا التاريخ، الذي فتح صدره واتّسع لكل هذه الخلافات المذهبية، وكان مصدراً لإثارتها وانبعاثها،

في كل الأزمنة والأمكنة، ما موقفنا منه؟!، هل تبقى له هذه القداسة التقليدية، هل نظل نستقي من سمومه، ونتخبّط في وحوله؟، ونضيع في مهامهه ودياجيره، فيكفر بعضنا بعضاً، ونستحلّ دماء بعضنا ونبيح الأموال والأعراض، وندوس المقدّسات، فأين الإسلام من عملنا؟!.

لعل الغزالي، وبعده ابن تيمية، في طليعة من صال وجال، وطاول واستطال وشمّر وغبّر، في ميادين التفكير، ومضامير التبديع والتفسيق، فقسم المسلمين إلى مؤمنين وكافرين، ملحِدين ومارِقين وخارجين، إلى آخر هذه المنظومة، ي يجسدها هؤلاء الفقهاء باسم الدين، فإذا رجعنا إلى كتاب (المستَظهري) للغزالي، رأيناه يخرج من ربقة الإسلام، العدد الأكبر من المسلمين، ولا يبقى هناك إلا أبناء نحلته فقط..

فمن هو الغزالي؟ وما هو كتابُه؟ ولماذا كتبُه؟.

إسمه: محمد، ويكنى بأبي حامد، توفي سنة ٥٠٥ هجرية، ولد بالقرب من طوس في خراسان، ونشأ نشأة صوفيّة، ثم درس الفقه، والكلام، والفلسفة، ثم كفّر الفلاسفة وبدّعهم، في كتابه (تهافت الفلاسفة)، ومرَّ بمرحلة من الشك، قادته إلى الصوفيّة..

ونلاحظ، أنه نشأ صوفياً، والصوفيُّون، ما كانوا يوماً مع الشريعة، ويظهر ذلك من تكفيره للفلاسفة لأنهم يعتمدون العقل، في حين، يعتمد المتصوّفة العاطفة والذوق،، وقد كتب الفيلسوف القاضي، أبو الوليد، محمد بن رشد القرطبي الشرير، كتابه (تهافت التهافت).. رداً على الغزالي، واعتبر أن كل ما جاء في كتابه تهافتاً، وأنه جاهل شرير، وفي تعليق الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الجامع الأزهر السابق وعميد كلية أصول الدين، على كتاب الغزالي (المنقذ من الضلال) كثير من الغمز بالغزالي، والتشنيع على آرائه وسلوكه.

ويقول فيما يقول: فانقلب شيطان رعونته، والتخلق بالأخلاق الذميمة، إلى سكون النفس..

وينقل عن عبد الظافر بن إسماعيل، مؤرخ الغزالي والمتوفى سنة ٥٢٩ هجرية، قوله: زرتُه مراراً، وما كنت أحدِّث نفسي بما عهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة والنظر إلى الناس بعين ازدراء، والإستخفاف بهم كبراً وخيلاء واغتراراً، بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة وينتهي إلى القول: وإن الرجل أفاق من الجنون..

ويقول: ممّا نُقم عليه، ما ذكره من الألفاظ الفارسية المتبشعة في كتابيه (كيمياء السعادة) و(العلوم) وشرح بعض الصور والمسائل، بحيث لا يوافق مراسم الشرع وظاهر ما عليه قواعد الإسلام.

ويقول الغزالي عن نفسه: إنه استجرأ على الإرتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الإستبصار..

أما كتابه (إحياء علوم الدين)، فقد قال فيه أنصاره يكاد يكون قرآناً!!، في حين ردّ الحافظ العراقي أكثر أحاديثه، واعتبرها موضوعة، وأن أكثر آرائه شخصية لا تستند على دليل، أو برهان، مثل رأيه في المرأة، حيث يقول: إن لذة الجماع، لِتذكيرنا بلذة الجنة، وإن زهاد الصحابة، كانوا يفطرون على الجماع في رمضان، ومما جاء في إحياء العلوم للغزالي ص ١٢١ ج٣، قوله: وعلى الجملة فإن لعن الأشخاص خطر، فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره..

وإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو آمر به، قلنا: هذا لم يثبت فضلاً عن اللّعنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق!!.

ونحن بدورنا، نحيل هذه الأرآء، آراء حجة الإسلام للسيد عبد الحسين

مهدي العسكري، الذي يزعم أن أهل السنّة (حياديّون) في أحكامهم على فئات الشيعة..

هذا يزيد بن معاوية، قاتل الحسين، وسابي نساءه وذراريه، وناكث ثناياه، بمخصرته، وفاعل الأفاعيل، يزيد هذا، لا يجوز لعنه، لأِنه لم يثبت أنه قاتل الحسين أوْ أمر بقتله..

وإذا كان يزيد بريئاً من دم الحسين، فقد سقطت كل حُجّة للشيعة، ومنهم «عبد» الحسين[1].

وتبرئة يزيد من دم الحسين التي أوردها حجة الإسلام الغزالي، شبيهة من كل الوجوه بتبرئة اليهود من صلب المسيح التي أصدرها بابا الفاتيكان..

ويمضي الغزالي فيّ كتابه هذا، الذي اعتبره بعضهم وحياً، فيبرر عمل (وحشي) عبد هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، في قتل الحمزة عمّ الرسول، وأسد الله، فيقول: إن وحشيّاً قاتل حمزة عمّ الرسول، قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً...

فلا يجوز أن يُلعن، والقتل كبيرة، ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، ومرة ثانية، نحيل هذا القول إلى السيد عبد الحسين، فقد يرى فيه دليلاً على الحياد!!!.

ولو قتل المشركون قبل الإسلام، والأمويون والعباسيون في الإسلام، كل هاشمي، وكل شيعي، لوجد في رعيل العلماء، من يُبرِّر هذا القتل، ويفتي بعدم جواز لعن القاتل!!! وقد فعلوا..

---

(١) المحقق يقول: قلنا أكثر من مرة أن الشيعة لا تعرف شيئاً عن عبد الحسين مهدي العسكري المزعوم، والراجح الأقوى أنه الكاتب العراقي الشهير عبد الله سلوم السامرائي، وهي شنشنة أعرفها من أخزم لأِن المخابرات العراقية كانت وراء نشر هذا الكتاب.

وقد يبقى دليل الحياد عند السيد عبد الحسين قائماً ومرعياً، ويذكر أبو الوليد الطرطوشي: أن الغزالي انصرف عن طريق العلماء، وتصوّف، فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة، ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلّمين، وكاد ينسلخ من الدين، فلما تكلم في (الأحياء) في علوم الأحوال. . ورموز الصوفيّة سقط على أم رأسه. .

أما كتابه (المستظهري) الذي كتبه تقرّباً وزُلفى للخليفة المستظهر العباسي، انتصاراً له، وتدعيماً لخلافته وإمامته وانتقاصاً من خصمه وندّه المستنصر الفاطمي، وإنكاراً لخلافته وإمامته، وحطّاً من قدره ومقامه. .

هذا الكتاب، يعطينا الدليل، ويقيم لنا البرهان، على عمل السياسة، وهو أن العلم والدين والعلماء لدى أصحاب السلطة والسلطان، وانحرافهم وانجرارهم وراء الرغبات والأهواء والنزعات، وحبّ الثراء والتنكّر للقيم الأخلاقية والدينية التي جاء بها الإسلام. .

وإليك مقدمة الكتاب، وبواعث تأليفه، قال:

أما بعد، فإني لم أزل مدّة المقام، بمدينة السلام متشوقاً أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الإمامية، المستظهرية، ضاعف الله جلالها، ومدّ على طبقات الخلق ظلالها، بتصنيف كتاب في علم الدِّين، أقضي به شكر النعمة، وأتم به رسم الخدمة وأجتني بما أتعاطاه من الكلفة، ثمار القبول والزلفة. . ـ إلى أن يقول ـ: ، حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم بتصنيف كتاب في الرد على الباطنية، فرأيت الإمتثال حتماً والمسارعة إلى الإرتسام حزماً، وكيف لا أُسارع إلى أمر زعيم الأمّة وشرف الدِّين، أمير المؤمنين، لقول الله، ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾، وقد شُرِّفت بالخطاب من بين سائر العالمين، ورأيتُ المسارعة إلى الإذعان والإمتثال من فروض الإيمان. . . الخ.

كم في هذا الكتاب من الذلّة والإذلال والإذعان، والرضوخ لمتطلبات السياسة ورغبة السلطان مما لا يتناسب مع قدر الدِّين والعلم والعلماء..

وكم فيه من المبالغة، وإغداق الألقاب، على خليفة يستعديه ويستدرجه على الإيقاع بخصومه من المسلمين، فالخليفة العباسي، ذو مواقف مقدسة نبوية إمامية وهو شرف الدين، وأمره فرض كالصلاة، وغيرها من المفترضات، والغزالي خادم ممتثل للأوامر، مسارع للإجابة، وتحقيق الرغبة، تشرف بالخطاب من بين سائر العالمين..

لا نحاول في هذه المعالجة، تحليل هذا الكتاب، وأغراضه وبيان نفسية المؤلف من خلاله، وأكتفي بالقول: بأنه نموذج لسلوك ونفسية الفقهاء، والعلماء والمؤرخين، في ذلك الزمن، ومدى هوانهم وخضوعهم وخنوعهم للسطان، ومن هنا ندرك قيمة أثارهم وآرائهم ونصيبها من الصحة والحقيقة..

هذا الغزالي، وهذا هو كتابه، الذي شقّ به المسلمين وكرّس الشقاق والفرقة والإنقسام، حتى أطلق عليه الآخرون صفة الحمق والجنون والجهل، وفي طليعتهم الفيلسوف «ابن رشد»..

وردّ عليه أحد الدعاة الفاطميين باليمن، وهو الداعية محمد بن الوليد، المتوفى عام ٦١٢ هجرية، بكتاب عنوانه (دفع الباطل، وحتف المناضل) ويقول ابن الجوزي: إن الغزالي طوى بصوفيّته بساط الشريعة..

هذه بعض أقوال المؤرخين فيه، ولكن هذا التاريخ الصادق المدقق الممحص المتفق مع الحقيقة، يقول أيضاً: روى عفيف الدين، عبدالله اليافعي، بإسناده إلى القطب، شهاب الدين أحمد الصيادي الزبيدي، وكان معاصراً للغزالي، ومفتوناً به، قال: بينما أنا ذات يوم قاعداً ـ لاحظ أن الحادثة في اليقظة لا في المنام ـ إذ نظرت إلى أبواب السماء مفتحة، وإذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا، ومعهم خِلع خضرٌ، ومركوب نفيس، فوقفوا على قبر من القبور، وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع، وأركبوه،

وصعدوا به من سماء إلى سماء، إلى أن جاوزوا السموات السبع، وخرق بعدها ستين حجاباً، ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه، فسألت عنه فقيل: هذا الإمام الغزالي...

هذه الرواية، الملفّقة الساذجة، التي لا تجوز على الأطفال، تكادتكون مثلاً وصورةً لوثائق تاريخنا، ودليلاً على مدى صدقه، وتحرّيه عن الحقيقة العلميّة واستخفافه بالعقول والمدارك..

فهذه الصورة الكوميدية، لم تُراع القرآن، كتاب الإسلام والمسلمين، فهي تخرج الغزالي من قبره قبل يوم النُّشور، ونفخ الصور، وبعثرة القبور، وهذا المركب النفيس، الذي اقتادته الملائكة معها من السماء ما جنسه ونوعه، والمضحك أن صاحبنا، ظلّ يراقب الغزالي ورفاقه الأملاك، وهم يجتازون السموات سماءً سماءً، ويخترقون الحجب حجاباً حجاباً، وتمكن أن يبصرهم على الأبعاد والمسافات بقوة نظر، ويضبط السموات، والحجب عدّاً، وهو قاعد متأنّ لم يضطرب لفتح أبواب السماء، ولا لرؤية الملائكة، ولا لشقّ القبر، وخروج الأموات، ولكن من هم الذين سألهم حتى عرف منهم أنه الغزالي؟؟.

ما أصدق تاريخنا، وما أوثق مصادره، وما أوسع خيال كتّابِهِ، وما أجهلنا إن لم نعمل على تحطيم أمثالِ هذه الأساطير والألاعيب.

وابن تيمية! تجاوز ابن تيمية، السابقين واللاّحقين في تكفير القسم الأكبر من المسلمين في فتواه المعروفة عن الباطنية، والقرامطة، والخرمية، والخرمندينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة، والتعليميّة، ويضيف إليهم النصيرية، وغير ذلك من الأسماء والنحل، فيفتي بكفرهم وإباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ويحرّم ذبائحهم وأوانيهم وملابسهم وأكل الجبن المصنوع من أنفحة ذبيحتهم، ولا يجيز قبرهم في مقابر المسلمين، ولا الصلاة عليهم، ولا قبول توبتهم!! ثم لا يقف عند هذا الحد، بل يكفر العالم كل العالم من خلالهم، فيقول:

هم أكفر من اليهود والنصارى والمجوس وبراهمة الهند، والمغول والتتار، فمن أبقى بعد ذلك!! لا شك أنه أبقى فئة قليلة، وقليلة جداً تقول بقوله هذا، أهذا هو الإسلام؟!، أهذه هي مبادئه؟؟، أهؤلاء هم قادته؟؟، وفقهاؤه المسؤولون أمام الله عن جمع الكلمة ورأب الصيدع، اللهم لا!!.

اللهمَّ إنّا نبرأ إليك من هذه الأقوال، وأشباه هذه الأقوال، ومن كل قول ينال من الإسلام، ويحول دون توحيد المسلمين..

﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾، هذه الفتاوى، وهذه الكتب المشحونة بالطعن والتجريح والتُّهم بغية الفتنة، وقصد التفرقة، لم تزل متداولة حتى اليوم بين أبناء كل فريق، وتلقى القبول، مع أنها تتحدث عن فئات وطوائف وآراء لا وجود لها على سطح البسيطة، كما في كتاب (الملل والنحل)، والمستظهري، وفتوى ابن تيميّة، والتي تبدو لذي اللّب والعقل والدّين، وكأنها تتكلم عن خلقٍ آخرين في الكواكب الأخرى..

هذه الكتب، ظلّت غذاءً مناسباً للحكم والحكام، دأب كل حاكم على استغلالها لتثبيت سلطانه ولتحطيم عدوِّه ثم جاءت السياسات الأجنبية، فوجدت في هذه الفرقة خير وسيلة لتدخُّلها، وبسط نفوذها، ودعم سيادتها، وهذه الكتب هي التي شجّعت ومهّدت للمستشرقين ليكملوا الحلقة ببحوثهم التي تقوم على دسّ السموم، وزرع الفرقة والفتنة، وحتى انخدع بهم أولئك المستشرقون، وليس عهدنا بما كتبه السيد عبد الحسين مهدي العسكري ببعيد، والعلويون يفخرون بأنهم لم يكتبوا أمثال هذه الفتاوى على امتداد تاريخهم، وعلى تعدُّد المِحن التي أنزلها بهم إخوانهم وليس في تاريخهم ما يشعر بالفرقة، أو الحضّ على المشاقة، وكل ما يتميزون به، هو تشدُّدهم، وتمسُّكهم بآل بيت نبيهم وأنهم أحقّ بهذا الأمر من الأمويين والعباسيين..

إن الأسر التي حكمت باسم الخلافة الإسلامية، قروناً طويلة، كانت ترى في آل علي (عليه السلام) المعارض الوحيد الخطر عليها، فكانت تسيء إلى

شيعتهم وتستخدم الأقلام والألسنة والسيف ضدهم، حتى أوجدوا حول الشيعة كثيراً من الخلط، وكثيراً من التشويش وكان بإمكان أي مصلح يتصدّى للدفاع عنهم أن يدرأ عن المسلمين شر التفرق، ولكن القوة التي بيد الخلفاء سخرت الأقلام والضمائر ضدّ كل محاولة من هذا القبيل..

إنّنا نضيق ذرعاً بتلك الأقلام المأجورة التي لا همَّ لها، إلا نبش الماضي المتعفن، وإثارة العواطف البغيضة من عهد سعد القمي إلى الشهرستاني، وحتى عبد الحسين المهدي، مروراً بالغزالي وابن تيمية، ونوح الحامدي، وأبو موسى الحريري، وعبد الرحمٰن بدوي وغيرهم، ونحن على يقين بأن هذه الأقلام المفرقة لا تمثل الرأي السنّي ولا الشيعي، وأن للشيعة، وخاصة العلويين منهم آراء من الخلفاء الراشدين غير الآراء التي يركّز عليها هؤلاء الكتّاب، وأنّهم ليسوا روافض غلاة، كما لأهل السنة في أهل البيت بيت نبيهم آراء تخالف ما جاء في الكثير من هذه الكتب المضلّلة وأنّهم ليسوا نواصب قلاة!!.

ولنعد الآن إلى ابن تيمية، ونرى ماذا عمل، وأين مات،؟! مات ابن تيمية في سجن قلعة دمشق متّهماً بالفتنة وإثارة النعرات والخروج على الشريعة، فقد عادى العلماء والفقهاء من غير مذهبه، وتفرّد ببعض شواذّ المسائل التي أنكرها السلف، ومُنع نتيجةً لذلك من الإفتاء ولأنه أطلق عباراتٍ، أحجم عنها الأولون والآخرون، منها ما هو في الفقه، ومنها ما هو في العقيدة والكلام ومنها ما هو بالتصوُّف والفلسفة واتُّهم بأنه يرى المُجَسِّمة والمشبِّهة، لما ورد في المسألة الحموية المعروفة واستدعي من قِبَل السلطان للقاهرة، وعُقِد له مجلس من القضاة والعلماء وأدانوه، وحُبِس بالجبِّ، وأرسل السلطان إلى الشام كتاباً بالطعن عليه والحطِّ منه وبإلزام الناس، وخاصة أنصاره بالرجوع عن عقيدته، ونودي في هذا في الجوامع والأسواق، واشترط للإفراج عنه الرجوع عن عقيدته.

وأُفرج عنه، وأُعيد إلى السجن في الإسكندرية وأُرسل إلى دمشق، وتكلم بمسألة الحلف بالطلاق، وصدر مرسوم بمنعه من الفتوى، وشدَّد الفقهاء عليه النكير، وأُعيد إلى السجن. .

وجاءت فتوى(شد الرجال) فصدر مرسوم باعتقاله، واعتقال الكثيرين من أنصاره بأمر قاضي القضاة الشافعي وعذر بعض أصحابه، ثم رسم السطان بحرمانه حتى من الكتب وأدوات الكتابة، وهو في السجن. .

ونورد هنا بعض فقرات من أقوال العلماء الأعلام في الرد على ابن تيمية، واستنكار أقواله، فالسبكي المعروف بشيخ الإسلام التقي، والمجمع على إجلاله وصحة اجتهاده، وصلاحيته وإمامته كتب تصنيفاً مستقِلاًّ في الردّ على ابن تيمية، أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، ومما جاء فيه قوله:

وما وقع من ابن تيمية، فعثرة لا تُقال أبداً، ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً، وليس بعجيب، فقد سوَّلت له نفسه، وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم، سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة، حتى تجاوز على الجناب الأقدس المنزّه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره، وألزموا السلطان بقتله أو حبسِهِ، أو قهرِهِ، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البِدَع، وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، بل ﴿**ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**﴾، وقال محمد زاهد الكوثري في تكملة السيف الصقيل

(ص ١٥٦)، شذ ابن تيمية عن جماعة المسلمين ـ أي في تحريم، زيارة قبر النبي (ص) ـ.

وقال علي القارىء في شرح الشِّفاء: وقد فرط ابن تيمية، حيث حرَّم زيارة قبر النبي. .

وجاء في المذاهب الأربعة (ص ٥٩٠/ج١) بعد بسط القول في أن زيارة قبر النبي من أفضل المندوبات، وأوّل من رماهم ـ أي المسلمين ـ بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية، وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة في نفسه. .

ويقول ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي، المتوفى سنة ٩٧٣، في الجوهر المنتظم: ومن هو ابن تيمية، حتى ينظر إليه؟!. ويقول في شيء من أمور الدنيا عليه، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته، وقبائح أوهامه وغلطاته، كالعزّ بن جماعة، عبد أضلّه الله وأغواه، ، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوّأه من قوة الإفتراء والكذب، ما أعقبه الهوان، وأوجب عليه الحرمان. .

وجاء في الدُّرَر الكامنة لابن حجر العسقلاني، أنكروا ـ أي العلماء ـ عليه ما ابتدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة، والآراء المحدثة الشاذة، عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ونودي عليه بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية، حلَّ الله ماله ودمه. .

وكتب إليه الحافظ الذهبي ينهاه ويزجره (راجع تكملة السيف الصقيل للكوثري ص ١٩٠) وقد كتبه عن خط قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وهذا ما كتبه عن خط الحافظ أبي سعيد بن العلاء، وهذا ما كتبه عن خط الذهبي، وممن ردّ وأنكر واستقبح واستنكر على ابن تيمية من العلماء والفقهاء. .

١ ـ السبكي، في شفاء السقام.

٢ ـ قاضي قضاة المالكية، تقيّ الدين، في الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية.

٣ ـ تقي الدين الحصني، في دفع الشّبه.

٤ ـ تاج الدين الفاكهاني، في التحفة المختارة.

٥ ـ سليمان بن عبد الوهاب، في الصواعق الإلٰهية.

٦ ـ ابن حجر، في الفتاوى الحديثة.

٧ ـ القسطلاني، في المواهب اللّدنية.

٨ ـ الزرقاني، في شرح المواهب.

وكثيرون.. وكثيرونّ، ونحن لا نقول لمن اعتمدوا على ابن تيمية وفتاويه المضلِّلة في النصيرية، إلا: ﴿وشهِد شاهدٌ من أهلها﴾ ونسوق إليهم شهادات الأعلام في بِدَع الرجل وانحرافاته واضطراب عقله وعقيدته..

هذا هو ابن تيمية صاحب الفتوى المشهورة المعتبرة لدى عبد الرحمٰن بدوي، وعبد الحسين مهدي، وثيقة لإدانة ستين بالمئة من المسلمين، والحكم بمروقهم..

اللّٰهم أجزل ثواب ابن تيمية عن تلك الفتوى، وثواب من يعمل بها إلى يوم القيامة إن كانت حقاً، أو حاسبه بما يقتضيه عدلك، إن كانت جائرة بحق المسلمين حائدة عن كتابك، وسنة نبيك!!.

يصمُ كتَبَةُ التّاريخ العلويِّين بالغلوّ إضافة إلى مايصِمُونَهم به، ولقد عالج هذا الموضوع الأستاذ أحمد علي حسن في كتابه هذا: (العلويون في مواجهة التجني)..

هذا الكتاب الذي حدا بنا إلى كتابة هذه المقدمة المستفيضة والتي تعتبر مدخلاً لهذا الكتاب النفيس، وساق في رده على السيد عبد الحسين مهدي

العسكري، ما فيه الإقناع إلاّ للمكابر، وما يشفي، ولكن صدور قوم مؤمنين، هذا الغلوّ الذي ينطلق منه بعض الكتّاب، ويتخذونه ذريعة للوقيعة في بعض فئات الشيعة، لا وجود له مطلقاً عند العلويين، ولا يعتقدونه، ولا يقولون به، فإذا كان القول بأفضلية علي، والتغني بما يتمتع به من المزايا، ومن الأخلاق والسجايا غلواً، فاللهم إنّا غلاة أما إذا كان الغلو كما يزعم أخصامه، فنحن نبرأ من هذا الزعم..

الغلو الذي يتّهم به العلويون، جاء من أكاذيب وأضاليل وأباطيل، هذا التاريخ المشين، لم يعلمه ولم يقُبل به أحد قبل أسطورة عبد الله بن سبأ، هذه الشخصية الوهمية التي لا وجود لها، إلا في مخيلة سيف بن عمر التميمي، وقد نسجها في أيام هارون الرشيد وحوالي ١٧٠/هجرية، ولم تكن إلا وسيلة للدعاية، ضد علي وشيعته لرميهم بالكفر، وتعقبهم والقضاء عليهم..

وسيف بن عمر هذا، من واضعي الأسانيد، ومن الدسّاسين في التاريخ فهو يقول:

إن عبد الله بن سبأ يهودي أسلم في خلافة عثمان، وراح يدسّ الأخبار الإسرائيلية والروايات المختلفة، التي من شأنها زلزلة العقيدة الإسلامية بما أحاط به علياً (عليه السلام) من الروايات والأحاديث..

هذه الأسطورة التي وضعها سيف بن عمر التميمي الأسدي، لم يؤبه لها، ولم يأخذ بها أحد من المؤرِّخين حتى جاء ابن جرير الطبري، بعدما يقرب من قرن ونصف من وفاة سيف بن عمر، فنقلها، ولأول مرة في كتابه فبدأت من هنا وكأنها، قصة حقيقية، لشخص حقيقي، وبين وجود عبد الله بن سبأ - إن صحّ وجوده - وبين سيف بن عمر التميمي، الذي خلق الأسطورة والشخصية الوهمية، نحو قرن ونصف القرن، فلماذا لم يروِها أحد من المؤرخين طوال هذه المدة قبل سيف بن عمر وابن جرير الطبري نحو قرن ونصف قرن، فلماذا لم ينقل هذه الرواية على خطرها الراوون والمحدثون.

وهل يختلف سيف بن عمر في عمله هذا عن عمل أبي حيان التوحيدي، الذي وضع تلك المراسلات المخزية على لسان الخلفاء الراشدين، أبي بكر وعمر وعلي (رضي الله عنهم) وهي وإن دلّت على مقدرة فنية، فلا يجوز أن تجوّز أغراضها الخبيثة إلا على السذّج والبسطاء ولكن، إلا أن يستخدمها من لا يريد بالإسلام خيراً..

وأمثال سيف بن عمر وأبي حيان التوحيدي كثيرون في الأولين والمعاصرين..

قلنا: إن العلويين أبعد فئات الإسلام عن الغلو ولكنهم أكثر فئات الإسلام حبّاً لعلي وأبنائه، أما المغالون حقاً، فقد تجاهلهم السيد مهدي العسكري وهو أولهم..

إسمه عبد الحسين: وماذا تعني هذه التسمية؟ هل تدل على الغلو أم لا تدل؟، هل عرف الإسلام عبودية إلا لله، هناك الخالق، والرزاق، والقادر إلى آخر أسمائه الحسنى، ولكن هل الحسين من أسمائه الحسنى!!.

لم نسمع في المعسكر الآخر إسم عبد عمر، أو عبد عثمان أو عبد معاوية، لكن سمعنا في الجاهلية، عبد اللات وعبد العزى وعبد يغوث، فماذا يقول السيد عبد الحسين!! العلويون، يقولون بعصمة الأئمة، ولكن لا يغالون كبعض إخوانهم الشيعة، فيقولون بطهارة مراجع أبدانهم..

العلويون، لا يقولون بغلو ابن الفارض، والمتصوفين أمثال ابن عربي، والحلاج، والهمداني، والشبلي، والجبلي، وروزبهان، والعطار، وجلال الدين الرومي، وغيرهم وغيرهم من الذين غالوا واشتطّوا، وأنزلوا الله عن عرشه ليحل بهم، بالغوا في ذواتهم حتى ارتفعوا بزعمهم فصاروا آلهة..

هؤلاء؟ لا يتحدث السيد عبد الحسين عن غلوّهم، ولديه ألف دليل ودليل عنهم، ولكنه يتحدث عن غلو العلويين وليس لديه أي دليل، وأي

برهان، إلا دليل الإختلاف وقول أعدائهم . .

من هو شهاب الدين الموسوي (ابن معتوق) القائل بمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) . .

من رقى غارب النبي وأمسى معه قائماً بسبع طباق.

عالم الغيب والشهادة لا يغرب عنه مثقال ذر دقاق.

هل هو من العلويين من أبناء جلدة عبد الحسين مهدي العسكري، ومن القائل؟ ! :

متى حدثتُ عن قولي: أنا هي، أو أقلّ.

ـ وحاشا لمثلي ـ أنها فيه حُلّت.

هل هو من العلويين؟ أم هو سلطان الكاشفين ابن الفارض، ولا نورد له ـ شطحات المتصوفة ـ وأصحاب الأحوال، وما أكثرهم في تاريخ السيد عبد الحسين وتاريخ أصحابه . .

لقد أشبع هذا البحث الأستاذ أحمد علي حسن، فليرجع إليه من أراد الزيادة، والمضحك المبكي، هو استشهاد السيد عبد الحسين بأقوال السنة، ـ وهم حياديون على زعمه ـ على إدانة العلويين واحتجاجه واستشهاده بأقوال الشيعة فيهم، وهو من الشيعة، وثالثة الأثافي اعتماده على أقوال المستشرقين في باب التدليل على شذوذ العلويين عن الإسلام.

فيا سيد عبد الحسين، إذا اعتمدت آراء السنة بالعلويين فعليك أن تعتمد على أقوالهم بالشيعة عامة، وكذلك إذا اعتمدت رأي الشيعة بالعلويين، فالشيعة ليسوا كلهم من رأيك، ولا تمثل أئمتهم وعلماءهم . .

أما إذا اعتمدت رأي المستشرقين، فلم يبق شيعة ولا سنة ولا قرآن ولا إسلام ! !.

وأخيراً لنسأله: هل حقّق كتابه ما يرمي إليه من الأغراض وشفى ما في صدره من الأمراض؟؟.

لا هذا، ولا ذاك..

ولكنه عمل على إيقاظ الفتنة، والفتنة أشد من القتل..

حامد حسن

١٩٨١/٥/٣١

الغلوّ والغلاة

بقلم: الأستاذ أحمد علي حسن

وحبّاً ورغبةً في الزيادة من هذه التحف البديعة، نقدم بعضاً مما أتحفنا به العلامة الكبير والشاعر الفحل الأستاذ «أحمد علي حسن»، ابن قرية الملاَّجة - حمِّين - من محافظة طرطوس الغنية بالأدباء والشعراء، والفلاسفة، ورجال الدين الغيارى، حفظهم الله..

وهذا غيضٌ من فيض بحره الزاخر، نفعنا الله بعلمه وجزاه عن الدين الإسلامي الحنيف والمذهب الجعفري الشريف خير الجزاء.

وقد اقتطفنا أشهى الثمار اليانعة والزهور النضرة، من أقواله:

فنرجو أن يجد كل ضائع ضالته المنشودة، وأمانيه المفقودة، من خلال هذه المعارف السامية، والأحاديث الشيقة المنصفة، المجردة عن كل ميل أو هوى..

لِتُكْتَب على صفحات التاريخ بأحرف من نور ليهتدي بها أهل البصائر الحيّة الذين حجب الله عنهم غشاوة العمى وصنّفهم مع أهل الفوز والإرتقاء، واخترنا قسماً بعنوان (الغلو والغلاة).

جعلنا الله من أهل النجاة بمحمد وآله الثقات.

* * *

الغلو والغلاة

قال المؤلف في تمهيده لبحث الغلوّ والغلاة، وهو البحث الأول، الذي راح يهوي في منحدراته، ويضيع في متاهاته ضياعاً أبلهاً لا وجه فيه للإستبصار.

«الغلوّ، أسلوب من أساليب مقاومة الإسلام هدف إلى هدمه».

وهو ينسب هذا التفسير إلى الدكتور عبد الله سلوم في كتابه (الغلوّ والفرق الغالية)[1]، في الحضارة الإسلامية، ويتابع مستنداً إلى الكتاب المذكور فيقول:

هو من أخطر الأساليب، وأشدّها تأثيراً، ذلك لأنه يعلن تناقضه مع الإسلام..

وإذا بحثنا عن هذا التناقض الذي يزعمه عبد الله سلوم ويحتجّ به المؤلف، فلا نجده في غير خيالهما، أو من يستندان عليه في تسريح هذا الخيال، وكأنّ الإسلام ينحصر في المواصفات، التي يحدِّدها المؤلف، وعبد الله سلوم، وكل ما يخالف إسلامهما مردود ومتناقض مع الإسلام!!.

ونلاحظ، أنه جاء بهذا التعريف للغلوّ، لينتهي إلى بيان حالته أنه هدّام

---

(١) يقول المحقق: إنّ مؤلف كتاب(الغلو والفرق الغالية) الدكتور عبد الله سلوم السامرائي هو نفسه مؤلف كتاب (العلويون النصيريون) عبد الحسين مهدي العسكري، هذا ما حدثني به أحد الثقاة العراقيين.

وخطِر، وهذه هي الغاية التي يحاول أن يقنع بها القارىء. .

وماذا علينا؟ لو تساءلنا عن معنى كلمة(غلوّ)، هل هي وقف على توصيف، محبّي الإمام أبي الحسن؟ أم أن (الغلوّ) معناه الخروج عن الحدّ المعقول في كل الأشياء؟ فإذا كانت الأولى، فنحن والشيعة، بكامل فرقها سواء، وإذا كانت الثانية، فإنّ منكري حقه مغالين أيضاً، فلماذا يكون الغلوّ في حبّ الإمام هدماً في الإسلام، ولا يكون (الغلوّ) في معاداته، ومعارضته، وإنكارِ حقّه هدماً في الإسلام وخطراً عليه. .

ولكن المؤلِّف، وعبد الله سلوم، لم يفهما (الغلوّ)، إلاّ من جانب واحد، ولم يجدا (غلوّاً) خطراً وهداماً، إلا الغلوّ في حب الأئمة، المنبثقين من صميم الإسلام والذين هم حفظته والأمناء عليه. .

وأخطرُ محبّي الأئمة، هم العلويون، أو من يسميهم النصيرية، أما الغلوّ من جانب آخر فهو تركيز للإسلام ودعم له. . ونؤكد للسيد المؤلف: أن ما أورده عن ابن حزم في ملله ونحله، ليس من قول الغلاة، الذين يعنيهم سيادته، وليس هم الذين قالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضَل من الأنبياء والملائكة، وإنَّ من عرف الله حقَّ معرفتِهِ، سقطت عنه الأعمال والشَّرائع، وإنما الذي قال هذا، هم رجال الصوفيّة ومنهم ابن عربي، وهذا معروف عندهم في حال حصول الكشف. .

ثم أخذ ينسب أقوالاً إلى الغُلاة، ليست من أقوالهم، ولم يثبت عليهم، كالذين جَوَّزوا خروج أنبياء بعد محمد (ص) لأِنه روي عنه، أنه قال: (لا نبيَّ بعدي إلاّ ما شاء الله)، وعلى كل حال فإنّنا نؤكد للمؤلف أن العلويين لا يقولون هذا مطلقاً، ونتحدى من يثبت ذلك عليهم. .

كما نسب إليهم، العمل في نطاق المعتزلة، وفي نطاق الخابطية، أصحاب أحمد بن خابط، المتوفى سنة ٢٣٢/ هجرية، الذي قال: إن للعالم خالقين، قديم وهو الله تعالى، والآخر حادث، وهم كلمة الله عزَّ وجل،

المسيح بن مريم التي بها خلق العالم، تشبُّهاً بمقالة الثانوية. .

أو كالقول بتناسُخِ الأرواح، وبتحليل دِماغ الخنزير، وغير ذلك من الأباطيل التي أطلق بها خياله، وأيضاً يقول: إنهم ـ أي الغلاة ـ عملوا في نطاق الخوارج كالبدعة، الذين قالوا: إنَّ الصلاة، ركعتان بالعشيّ، وركعتان بالغداة، لقوله تعالى: ﴿وأقِم الصَّلاة طرفي النهار﴾. . .

وكالميمونية الذين أجازوا، نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الأخوة والأخوات، وقالوا: إن الله حرّم نكاح البنات وبنات الإخوة والأخوات، ولم يحرّم نكاح أولاد هؤلاء. . .

وقول الكعبي، والأشعري، عن الميمونية: إنكارها سورة يوسف من القرآن. .

وما كان لي أن أناقِش المؤلّف، وهو يُدلي بهذه المعلومات المنكرة، عن فرق معيَّنة من الغلاة، لو أنه التزمَ في موضوعِهِ ما التزمه عبد القاهر البغدادي في تعداد الفرق وتحديد أقوال كلٍّ منها واتجاهه العقائدي. . .

أماأن يبحث عن مساوىء فرق بعينها، ويزعم أنّها موزعة على الغلاة الّذين يعنيهم في بحثه، فهذا اجتهادٌ أخطأته فيه الإصابة، ولكنه غير مثاب عليه، إذا صحّ أن المجتهد يُثاب ولو أخطأ، بالإضافة إلى أنه يحوّله للزراية في أعين قرّائِهِ.

إنَّ العلويين، ولم تعد أحوالهم خافية على أحد ولم يعد اكتشافهم عملية شاقة لم يعملوا في نطاق أيّة فرقةٍ من الفرق التي ذكرها، ولم يوصَموا ـ إلاّ من قبله ـ بما يسيىء إلى العقيدة والأخلاق، ولا يخرجون ـ إلا في نظره ـ عن نطاق التشيّع الأصيل الصحيح، وهم معروفون بمزاياهم الإنسانية وتقيدهم بآداب أئمتهم وتعاليمهم الشرعية، فكيف أجاز هذا المؤلِّف لنفسه أن يصفهم بما يصف به الخابطية، والبدعية والميمونية، ﴿يا أيُّهاالَّذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. . .

لقد شهد لهم المؤرخون، الذين احتكوا بهم، أنّهم يتميّزون بصفات الإنسان العقائدي الشريف، وأن ما نسب إليهم، مكذوب عليهم، وأوّل من أشار إلى ذلك، صاحب ولاية بيروت، وأنهم لا يخرجون عن نطاق الشريعة المطهّرة سواء في مسلكهم الروحي أو الإجتماعي، وهذه مساجدهم وسجلات أحوالهم المدنية، تنطق بصحة ذلك، وتصفع أهل الكذب والإفتراء، وينبغي أن يعلم المؤلف، أن القرن العشرين، أظهر كل ـ الخفايا ـ، وفضح كل الريوب والشكوك، وإذا كان المؤلِّف اعتمد في تضليله ملفقات الحاقدين واتخذها منطلقاً له في إثبات ما هو مكلَّف بِه من جهاتِهِ المعروفة، فلا يمكن أن يخدع الناس طويلاً..

وأخيراً، لم يستطع إلا الجهر بالحقيقة، فقال: إلاّ أنَّ حركات الغلوّ، ركّزت على التشيُّع، وعمِلت في نطاقِهِ، ونحن نسأل المؤلِّف، لماذا اختير التشيّع، دون غيره لهذه الحركات؟!. ولماذا كان العمل في نطاقِهِ أكثر؟!. أليسَ لأِنَّ مبدأ التشيُّع يقود إلى الحقيقة الجوهرية وأنّ التشيُّع هو طريق الصواب..

وهل يُؤخذ على المتشيِّع، أن يتطلّع إلى معارف أسمى وأدقّ من خلال تشيُّعِهِ، ولو علم المؤلِّف أنّ هذا القول ينعكس ضِدّه لتريَّث في إيراده..

إنّه، لو رجع إلى مفسري القرآن من الشيعة، وإلى الذين كتبوا ونظّموا وناقشوا في قضيّة الإمامة، وتوسّعوا في تاريخ الإمام، وتعريف مناقبه، وصفاتِهِ، ومزاياه وأفعاله الخارقة، لأدرك أنهم هم الذين مهّدوا الطريق للغُلاة، وهم الذين ألقوهم في هذا الخضم، ثم جاؤوا يحاسبونهم على الإبتلال!!.

ولعمري ما أخذ العلويُّون شيئاً من عقائدهم، إلاّ عن علماء الشيعة وفقهائِها وأئمّتها، وهذه طقوسهم في صلواتهم، كلُّها تابعة لتقليد الشيعة، في الأخذ بمذهب الإمام الصادق (ع) وبالعلم في آداب الأئمّة، وما أثر عنهم من آداب وفقه وسلوك، بدءاً من أبي الحسن علي (ع) إلى قائم أهل البيت،

عجّل الله فرج المؤمنين به، وبعد هذا يقول هذا المؤلف الفحل: إنّ جميع الفرق الإسلامية، التي عمل الغلو في نطاقها، وعلى رأسها الشيعة الإثني عشريّة، والزيديّة، بريئةٌ من أفكار وآراء الفرق الغالية. . .

لقد أجاز المؤلف لنفسه اعتباطاً، أن يتحدَّث باسم الشيعة الإثني عشريّة، والزيديَّة ويعلن أنّهما يبرآن من أفكار وآراء الفرق الغالية. .

وإذا سلّمنا جَدَلاً، بتمثيلِهِ للشيعة الإثني عشرية، فهل يسلم بتمثيله للزيدية، وهل صحّ نسبه إلى زيد بن علي ليحق له ذلك بعد إمام اليمن المخلوع؟!. وأي شيء هو ذاك الذي يجعله يعلن باسمهم براءةً من فرقةٍ، أوْ ولاء لِأخرى؟!. وهم على ما يُقال، أبعد فرق الشيعة عن التشيُّع، وأنَّ زيداً استجاب لدعوة واصل بن عطاء ولم يستجب لدعوة أخيه محمد الباقر، فليصلح الزيديَّة ما بينهم وبين أبناء عمهم الشيعة ثم يتفقوا على البراءة من الآخرين. .

لقد قام المؤلف بهذا العرض المفضوح، لينفي علاقة الشيعة بهذه الفرق!!، وقد عدَّ العلويين من آخر هذه الفرق، لتشملهم براءة الشيعة والزيدية منهم، والعلويون لا ينتظرون فتوى من السيد عبد الحسين مهدي العسكري[1]، أو اعترافاً منه بتشيّعهم، فلن تُحسد الشيعة على مثله، يعمل في صرحها تقويضاً. .

وكم الفرق بينَه وبين السيد حسن مهدي الشيرازي، طيَّب الله ثراه، إذ أطلقها علنيةً: (العلويُون شيعة أهل البيت)، وأن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمة الإماميّة والجعفريّة، فكل شيعي هو علويّ العقيدة، وكل علوي هو شيعيّ المذهب. .

---

(١) يقول المحقق: إن السيد عبد الحسين مهدي العسكري لا يجوز أن يكون من علماء الشيعة، لأِنه لم ينزل من بطن أمّه قط، وهو إسم مستعار للكاتب عبد الله سلوم السامرائي.

إن الشيرازي، عطّر الله مرقده، كفانا بذلك تحجّر الآخذين بكلام القمي والنوبختي ومن تابعهما به إلى يومنا هذا. .

وليت صاحبنا المؤلف آمن بهذا النهج، وأراح نفسه من هذا العناء الأجوف.

إنّنا من شيعة علي، ومواليه، سواءٌ رضي بذلك المؤلف أو لم يرض، ونقول بإمامته وإمامة أبنائه من بعده حتّى القائم المهدي، ولو كرِه الحاقدون، أمثاله وعندما نعلن ذلك لسنا مرائين، ولا مخادعين، ولا مُستدرِّين لعطفِ غير عطفهم، ولا متظلِّلين بمظلةٍ غير مظلّتهم وإنّنا لا نستغلّ قضيّة الإمامة كما يستغلها هو، وحبّنا لآل بيت الرسول من خالص القلب ومحض الضمير، وشاعرنا هو الذي يقول:

وما لَنا إلاّ موالاتُنا لآلِ طَه عندهم ذَنْبُ

وكأنه تنبّأ بموقف المؤلّف، وأمثاله من حمقاء الشيعة بقوله من القصيدة نفسها:

قد بَدَت البغضاء منهم لَنا كما لهم منّا بدا الحبُّ

غريبٌ أمر هؤلاء الناس؟! نحن نتقرب إليهم بالمحبّة وهم يُعرضون عنّا كارهين، ونحن نعتبر موالاة آل الرسول زلفى ونجاة، وهم يحاسبوننا عليها كأنّها إساءة أو ذنب فهل هذا هو الهدى القريب؟ أم هذا هو الضلال البعيد؟ **﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾** . .

ثم أخذ المؤلف يتفلسف في تعريف الغلوّ، فقال: (الغلوُّ لغةً، التجاوز عن الحدّ والخروج عن القصد).

هذا تعريف لا نختلف مع المؤلّف عليه، وليتَه التزَم به ولم يشتَط، ونتمنى أن لا يكون غالى فيما كتب، حتى لا يكون أحد الأطراف الهالكة، ويبدو في نظره أن الهلاك لا يصيب إلا محبّي أمير المؤمنين، إن قصد الخبيث

الذي رمى إليه، لم يخرج عنه، ولكنّا نؤكّد له، أنه تجاوز الحدّ، حتى أصبح غلوّه في الحقد الأكمه مرفوضاً ومهلكاً. . .

وهل علم السيد المؤلف، أن الشيخ المفيد، وعبد الكريم الشهرستاني، على بُعْدِ عصريهما، لم يتعرّضا للغُلاة، بالشكل الذي يتعرَّض لهم به هو وكانا أرأف بالغُلاة، فلم يقولا، إنَّ غير المسلمين خيرٌ منهم، وأن عبد الكريم الشهرستاني لم يصف الغلاة بالتظاهر بالإسلام ولم يخرجهم من حظيرة المسلمين؟ وإنما اكتفى بأن قال: (وهم ـ أي الغالبية ـ على طرفي الغلوّ والتقصير)، وهو قول مقبولٌ منه إلى حدّ، وهو أشبه ما يكون برأي النظام المعتزلي في الإمام، ومثله كان رأي ابن خلدون، ولم يجيء ذكر الغُلاة في أي مصدر من المصادر بمعزل عن التاريخ الإسلامي، فذكرهم مرتبطٌ به دائماً ـ بقسميه ـ الشيعيّ، والسنيّ، حتى النوبختي على ما التزم به من أفكار سعد القمي، فقد عدّهم من بين فرق الشيعة!! فإلى أين يذهب هذا المؤلِّف البصير؟!

ولا ندري ما إذا كان المؤلف، يعتبر شاعر النيل حافظ إبراهيم، من الغلاة بعُمر وعليّ معاً، عندما قال بقصيدته العمريّة المشهورة:

وقـولـةٍ لعلـيٍّ قـالَهـا عمـرٌ أكـرِم بسـامِعِهـا أعْظِـم بملقِيَهـا

إلى أن قال:

فـاذكُـرهُمـا، وتـرحّـم كُلّمـا ذَكَـرُوا أعـاظِمـاً أُلّهـوا فـي الكـون تـأليهـاً

فماذا يعني شاعر النيل بكلمة (أُلّهوا)، و(تأليهاً) فهل هي من باب المبالغة الشعريَّة؟ أم فيها نفحة من نفحات الغلوّ، أو اعتراف، أنّ هناك من يقول بعمر؟ مثل ما هناك ، من يقول (بعلي)؟! أم ماذا؟. .

وحتى لا يبقى الغلوّ صفة مجرَّدة في المُغالي، فقد ربَطَ به آراء يقول بها الغلاة، منها. .

١ ـ الحلول، ٢ ـ التناسخ، ٣ ـ التأويل.

واعتبر هذه الأقوال، مآخذ كبيرة ضدّ من يعنيه أمرهم، ونحن بدورنا نسأل المؤلف: هل كلّ الغُلاة؟ وقد عدّد منهم فرقاً كثيرة، أخذها عن صاحبه البغدادي، هل كلّ هؤلاء يقولون بهذه الآراء؟ ويلتزمون بهذه الأقوال؟! أم أن فرقة واحدة تقول بها؟! فإذا كانت من مشتملات عقائد الجميع فلماذا يصم بها فرقة دون أخرى؟!.

إنَّ الذي نعلمه أن الحلول فكرة، قالت بها فئةٌ من المتصوفة، وأن التناسخ فكرة، يقول بها غير الغلاة...

وإنَّ التأويل فكرة، لم يسلم منها، حتى أبو حامد الغزالي، حجّة الإسلام، في كتاب (الإحياء)، (راجع تأويله لكوكب إبراهيم)[1] وحتى ابن عربي في نصوص الحكم، فإذا كانت هذه الآراء وهذه الأفكار، مما يوصم به الغُلاة، فهي أيضاً ظاهرة معروفة في غيرهم، عند كثير من رجالات الفكر، وليسوا هم مخترعوها ولا مبتدعوها..

وهل كان سلطان العاشقين، عمر بن الفارِض، يريد الإساءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عندما وصفه بالتأويل في البيت التالي من تائيته الكبرى، حيث قال:

وأوضحَ بالتّأويل ما كان مُشْكَلاً علـيٌّ بعلـمٍ نـالَـهُ بـالـوصيَّـة

فإذا كان علي (ع) فارس علم التأويل، بوصيَّةٍ من رسول الله (ص) فأي حرجٍ على الغُلاة إذا مارسوه فيما يعود إلى تثبيت ولايته؟!.

وانسياقاً مع البحث نعرض إلى كل قول من هذه الأقوال بالمناقشة

---

(١) راجع كتاب (إحياء علوم الدين) المجلد الرابع، الجزء الحادي عشر (كتاب ذمّ الغرور)، بحث الغرور عند الصوفيّة، فقد قال: إنّ المراد بالكوكب والشمس والقمر اللّواتي رآهنّ إبراهيم أنواراً، هي حجب الله عزّ وجل، وأنهما صاحب تلبيس إبليس أنه من قول الباطنية..

الموضوعية على حدة، ونبدأ بالحلول. .

مناقشة الحلول:

القول بحلول الذات الإلٰهية في عليّ بن أبي طالب بالنسبة للعلويين، قول مرفوض تماماً، ويختلفون مع قائله وربّما يقولون: بأنّه يصلح مكاناً لتجلي القوى الإلٰهية بالنسبة إلى ما وصف به، وما ظهر منه، وصدر عنه من خوارق، يحتجّ بها كل علماء الشيعة، وهم لا يجدون في غيره مَنْ ولا ما يصلح لذلك، خلافاً لابن العربي الذي يقول: إن الله يتجلّى في الحجر، والشجر والحيوان، حتى الكلاب، وخلافاً لعبد الغني النابلسي الذي يرى أنه يحل في أحقر الحشرات، خلافاً لصاحب النفحات الأقدسية، بهاء الدين البيطار، الذي يقول:

(وما الكلب والخنزير إلاّ إلٰهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيسة)، ربما يكون المقصودعند ابن العربي والبيطار التجلّي معناه الحلول، ونحن نرى أن التجلّي غير الحلول، فالتجلّي في الشيء غير الحلول به، وربما كان ابن الفارض أقرب منهم إلى إعطاء صفة التجلّي بالموصوفات ذات الجمال، دون الموصوفات ذات القبح، وسمى ذلك ظهوراً ومظاهر تلبيسيّة، فقال:

وتظهر للعشّاق في كلّ مَظهرٍ — من اللَّبسِ في أشكالِ حسن بديعة
ففي مرّةٍ (لُبْنىٰ) وأخرى (بثينة) — وآونةٍ تدعى (بِعزّةٍ) عزّتِ
ولسن سواها، لا ولاكنّ غيرها — وما أن لها في حسنها من شريكة

إنّ هذه الأقوال ـ على ما فيها ـ وهي مريةٌ ولا شكّ، مقبولةٌ مصطلحاً وعرفاً من ابن العربي، والبيطار، والفارض، وغيرهم من رجال الفكرالإسلامي، والعقيدة الإسلامية، وهم في نظر المؤلّف وغيره من حجج الإسلام، ومن شيوخ المسلمين الكبار، أما إذا قيل عن العلويين ما يشابه هذا في شخصيّة مميّزة عن جميع النّاس، فهم كفرة حلوليون، وإذا قالوا: نحن نقدّس عليّاً تقديساً مميّزاً، فهم خارجون، مارقون عن الإسلام، حتى لكأنّ

حبّ علي معصية، لا ينفع معها إيمان!!.

ولا ندري ماذا يقول المؤلّف، إذا قلنا له: إنّ الإمام أشار إلى نفسه في النهج بصفتين ظاهرة، وباطنة، فقال: ظاهري إمامة، وباطني غيبٌ منيعٌ لا يُدرك...

فإذا كنّا عرفنا: أنّ ظاهرةُ الإمامة، وآمنّا بهذا الظّاهر، بقي علينا أن نتصوّر معنى هذا الغيب؟ ولماذا جعله منيعاً لا يُدرك، حتى عند شيعته، وأحِبَّائِهِ ومواليه؟!.

ومتى كانت (لُبنىٰ) و(بُثينة) و(عزّة) مظاهر شريفة صالحة لتجلّي الذات أكثر من علي بن أبي طالب؟!..

ومتى كان الكلب والخنزير آلهة يا سيّد عبد الحسين، إلاّ في نظر هذه الفئة الحائرة التي تبحث عن الله في الجماد والشجر والحيوان، وعقلك الكبير يتّسع لكل هؤلاء، مهما كانت مقولاتهم، ويضيق بالعلويين؟!..

ولا يملّ السيدالمؤلف، من بذل الجهد والتقصّي، فقد أخذ يعدّد بعضاً من هذه الفرق، ذوات الآراء المختلفة، لينتهي إلى النصيرية (أحبابهِ)وإلى إبن نصير (صديقه الحميم) فيطعن على هؤلاء بقولهم ـ على زعمه ـ بحلول الإله في (عليّ) وعلى ذاك بقوله: ولو كان كذباً في (ربوبيّة) أبي الحسن، وليت جهده وتقصّيه استظهر حقيقة هذه التُّهم؟ وكيف يكون ذلك منه، وجهده وتقصيه منصرفان إلى تأكيد هذه التّهم وتثبيتها؟ (ولا أعرف سبباً لهذا العداء بينه وبين ابن نصير، فهو يغدق عليه التُّهم بغير حساب، ويكيل له الشّتائم بموازين مختلفة، وأظن كل المبالغة، وكل هذا (الغلو) في العداء ليس لأِنّه ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان[1] بل ليجعل منه منفذاً إلى تحقيق هدفه

(١) جاء في الإحتجاج للطبرسي، قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي =

وغايته في تكفير العلويين وتأليب الشيعة، والعالم الإسلامي ضدهم. . .

وبعد أن بحث(الغلو)، وأسبابه، ومصادره، مستخرجاً منه أفكاراً وآراء غريبة، تحارب الإسلام، وتكيد له، رجع إلى القول. .

قد اختلف الباحثون في تحديد المصدر الذي استمدت منه فرقُ الغُلاة، فكرةَ الحلول، فرأى البعض، وليس هذا البعض إلاّ هو، إنَّ الفكرة أخذت من الفرس الذين اعتادوا أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من صلب الآلهة، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى (عليٍّ) وذريّته، انتهى. .

هذاما حبلت به عبقرية هذا المؤلف، وهذا ما تمخّضت به معرفته المريضة ولكن الجنين جاء مشوّهاً فصاحب هذه الفكرة وصَمَ بها الشيعة عموماً وليس الغلاة وحدهم. . إنَّ توقير (عليٍّ) وذريّته، ليس مقصوراً على العلويين وحدهم، فهو في كلّ طوائف الشيعة، وما العصمة التي يخلعونها عليهم إلا نوع مميَّز من التوقير. .

وإذا كان الأمر كذلك، وينتقل التوقير بالوراثة فالعرب في جاهليتهم، كانوا يتعبدون للأصنام ولكنهم عملاً بهذه القاعدة نقلوا هذه التعبّدات لله الواحد الأحد. . .

وعلى هذا المقياس فهل نعتبر أنّ عبادة الله الواحد في العرب المسلمين اليوم من مخلّفات عبادة الأصنام في جاهلية العرب، ونقلاً للتوّقير الوثني من الأصنام إلى الله سبحانه وتعالى. .

ومتى كانت الشيعة الإمامية والزيديّة يمتنعون عن توقير عليّ وذريّته؟!.

وهل كان توقير علي وذريّته في عموم الشيعة، منقولاً عن توقير الفرس

= (عليهما السلام)، فلما توفي أبو محمد، ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان، أنه صاحب إمام الزمان وادّعى له البابية، أن ابن نصير لما بلغه ما بلغه من غضب أبي جعفر جاءه ليعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.

ـ الجمهور الأكبر في الشيعة ـ لملوكهم المنحدرين ـ كما تقول ـ من أصلاب الآلهة؟!.

وهل لا تزال هذه المزايا مرعيّة عند الفرس، وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا أطاحوا بالشاه؟ وحطموا عرشه؟!.

دليلك في هذا التخريج سقط بك في معثرة يا سيّد عبد الحسين، فماذا تصنع؟

ثم يقول:

ويرى آخرون: إن الفكرة، مسيحيّة، ويجب أن ترتبط بها في تأثير الغنوصية المسيحية في الفكر الإسلامي، هذا وقد أنكر علماء الإسلام، فكرة الحلول، ووصموا أصحابها بالكفر والزندقة، لأنها تؤدّي إلى نفي عقيدة التوحيد، التي هي الركن الأساسي في العقيدة الإسلامية. . .

رأيان. . من بعض. . ومن بعض آخر. . يلتقيان ولكن، ليس في اعتبار التوقير (لعليّ) وذريّته من شمائل المسلمين، ولا الشيعة خاصة، وإنّما هي من شمائل الفرس، والمسيحيين!!. .

ونسب إلى علماء المسلمين إنكار فكرة الحلول، واتّهام أهلها بالكفر والزندقة لأنّها تؤدّي إلى نفي عقيدة التوحيد. .

ونسأل حضرة المؤلِّف، من قال من علماء المسلمين: أنّ ابن العربي ـ وهو من أصحاب فكرة الحلول ـ كافر وزنديق؟!، ومن منهم قال: عن ابن الفارض ـ وهو أيضاً من أصحاب هذه الفكرة ـ أنه كافر وزنديق؟!. .

إنّنا نستثني الحلاّج، فقد حوسب هذا على ما نسب إليه من كفر وزندقة وليس على قوله بالحلول فقط، وإنما لأمور أخرى لا مجال لذكرها الآن، ولكن جاء في هذا العصر من قال: إنه سبق زمانه، وطلب من أحد الكهنة إقامة قداس عن روحه في إحدى البيع، ولماذا؟!. لأنه قال:

علــى ديــنِ الصَّليــبِ أُريــدُ مــوتــي   فــلا البطحــا أُريــدُ ولا المــدينــة

ولا يستبعد أن يكون (لويس ماسينيون) اعتبر هذا البيت بمثابة الوصيّة الشرعية ولذلك طلب من أحد الكهنة إقامة قداس عن روحه في إحدى البيع بباريس، بعد مُضي ألف سنة على وفاة الحلاج[1] واستطراداً مع بحث الحلول:

ليت السيِّد المؤلف، ذكر لنا من هم علماء الإسلام الذين أنكروا الحلول، لا لأننا نقول به، ولكن ليتسنّى لنا معرفة مدى الإحتجاج بهؤلاء العلماء. . .

إن الفرق التي تقول بالحلول، أكثر من الفرق التي تنكره ـ إذا صحّت رواية البغدادي ـ وقد تقدّم معنا ذكر أسماء بعض كبار علماء الإسلام المفكِّرين الذين يقولون به، ولم نجد من تعرَّض لهم سلباً. .

والحلول، يعلم كل من له معرفة بأحوال العلويِّين، أنهم ينكرونه، وقدَّمنا: أنهم يختلفون مع القائلين به، وشاعرهم هو الذي يقول:

وأنكــرُ مــن ليلــى الحلــول بحِلّــة   تــرحُّلُهــا عنّــا مَطــايــاالمنيّــة

وهو الذي ردَّ على الحلاج القائل:

يــا جملــة الكــلِّ لســت غيــري   فمــــا اعتــــذاري إذنْ إلــــيَّ

فقال شاعرناردّاً على ذلك:

حــاجــج لمــن قــال: أنــا أنــت   بــالضــرب والشتــم أو الصَّــكِّ

فــإن أبــىٰ ذا منــك قــل: مِلــتَ عــن   تــوحيــدِكَ المحــضِ إلــى الشــركِ

وفيلسوفنا المتصوف حسن بن حمزة الشيرازي، هو الذي يقول: واجب الوجود لذاته، يمتنع أن يكون تبعاً لغيره، فوجب أن يمتنع عليه الحلول. .

وقد امتاز شاعرنا المكزون السنجاري برفض نظرية الحلول في أكثر من موقع من شعره فهو يقول في مكان آخر من شعره:

تعــــالَــــتْ ذات مــــولاي   عــــن الحيّــــز والــــوصــــف

---

(١) راجع مقدمة ديوان الحلاج للدكتور كامل مصطفى الشيبي.

وعمّا حلَّ في الشكلِ   وما يُلحظ بالطرف
وعن قولِ حلوليّ   حوى المقصود في الوصف

ملاحظة:

يبدو أن عبارة الشيرازي في الحلول الممتنع على الذات الإلٰهية التي أثبتناها آنفاً وجدت مناخها الفكري عند السيد حيدر الحسني الحلي، وكأنه شاء أن يتوسَّع بها، فأضاف ما يلي:

فواجب الوجود لِذاته، يمتنعُ أن يكون واجب الوجود لغيره، إذن ينتفي عند انتفاء ذلك الغير، والحلولية وإنما يكون الشيء في محل، وذلك الغير والمحل لا يكونان إلا مركّبين، والمركّب يحتاج إلى من يركِّب جزئيّاتِهِ، أو أجزائه، وهذا محال لأِنه خلاف الفرض لكون واجب الوجود استحالة انقلابه إلى الغير.

أمّا واجب الوجود لغيره فيمكن أن يوجد الشيء كونه واجب الوجود لغيره، وذلك لكونه يوجد بوجود علّته التامّة، ويمتنع عند انعدام علّته التامّة، فيمتنع ما كان يحتاج إلى العلّة التامّة لوجوده واجب الوجود لِذاته لموضع صفة الإحتياج التي هي من صفات ومميِّزات الإمكان والحدوث. كذا إدراك صفة الحلوليّة بالوجود الذهني محال، لأِن الذات الإلٰهية صرف الخارج وما كان صرف الخارج فماهيّته عين باطِنِهِ أي كمن لا ماهية له فتدبَّر..

ثم ننتقل بعد الحلول إلى مقولة التناسخ..

التناسخ ومصادره[1]

يقول السيد عبد الحسين مهدي العسكري:

---

(١) إن مفاهيم التقمّص أو تناسخ الأرواح قديمة قدَم الإنسان نفسه، فالمصريّون القُدماء والهندوس والبوذيون والسيخ والبراهمة والأفلاطونيون الحديثون والرومان واليهود وأصحاب مذهب العرفان الغنوص المسيحي منهم فِرَقاً كانوا يستترون بالتنسيق وتناسخ الأرواح.

والقول بالتَّناسخ، سِمة مشتركة بين فرق (الغلاة) جميعها، وقد استمدت هذه الفكرة، من مصادر مختلفة، فارسيَّة، وهنديَّة، وإغريقيّة. .

هذه هي المصادر الثلاثة، التي حصر بها المؤلف فكرة التناسخ!!

ويلاحظ: أنّ المؤلّف عندما أشار إلى هذه المصادر، ذكر في أولها الفرس ذكر الفرس، لا لأنّ هذه الفكرة، ذات خطر على الإسلام والمسلمين، ولكن ليقول: إن العلويين ـ كغلاة ـ يقولون بهذه الفكرة، لا لأنّها فكرة ذات مضمون علمي، بل رجوعاً بها إلى عقائد الفرس القديمة، وليتم له ما يريد من (تفريس) العلويّين أصلاً ومعتقداً. .

ولو كان ذلك معقولاً، لكان أحرى بالفرس أنفسهم أن يتبنوا هذه الفكرة. . وهم أقدر على ذلك!!.

وأظنه قبل حصول الخلاف بين سلطة العراق وسلطة إيران، لم يكن ليبحث عن مثالب الفرس القديمة متناسياً أن جامعة النجف قامت على علمائهم ومفكِّريهم، وأنَّ الرسول الأعظم (ص) قال:

لو كان العلم في الثريّا لناله رجال من فارس. .

وأظنّه قبل هذا الخلاف القائم بين بغداد ودمشق ما كان ليتعرّض إلى النصيريّة أو العلويّين بشكل خاص، وبمثل هذا التعرّض الخالي من صفات وشمائل المفكِّرين المنصفين!! ولكان استبعد رواية سعد المخجلة عن محمد بن نصير وتوقف متأملاً في رواية أبي الخطّاب الأنباري، وأبي نصر هبة الله بن محمد، هل يعلم المؤلف أن القائلين بالتناسخ في دولة الإسلام قسمان، كما يقول صاحب (الفرق بين الفِرَق).

منها من يقول بتناسخ الإلّه في الأئمة؟!. .

ومنها من يقول بتناسخ أرواح الناس؟!. .

فالَّذِينَ يقولون بتناسخ روح الإلّه هم: السبائية والبيانية، والجناحية والخطابية، والراوندية، والذين يقولون بتناسخ أرواح النّاس، هم: الخابِطية، نسبةً إلى أحمد بن خابط المعتزلي، وأحمد بن أيوب، ومحمد بن أحمد القحطي ـ وهو معتزلي أيضاً ـ وعبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة..

لا شكّ أنّ هؤلاء جميعاً، لا يسري عليهم حساب المؤلف، ويسري على العلويين فقط، ولو كان ليس بين هؤلاء من يمتّ بصلة إلى العلويين، لأِن الخطورة على دولة الإسلام ليست من طواغيت الصهيونية ودول الإستعمار، وإنّما من هنا، من العلويّين، ولماذا؟ لأِنّهم يُنسب إليهم، القول بالتناسخ!!..

التناسخ ـ كما نعلم ـ يقول به الملايين من الناس، من مسلمين، وغير مسلمين، غُلاة وغير غلاة، شيعة وغير شيعة..

قال أبو العلاء المعرّي: التناسخ مذهب عتيق، يقول به أهل الهند، وقد كثر في جماعة الشيعة..

ويقول كامل كيلاني، شارح رسالة الغفران: وقد شاع في الهند هذا المذهب ـ يعني التناسخ ـ كما شاع فيها غيره منذ أقدم أزمنة التاريخ، ثم عرفه العرب في أواخر القرن الأول، ودان به الشيعة (أنظر) كما دانوا بمذهب الحلول والرجعة وغير ذلك من المذاهب القريبة منها!!..

فإذا كان أبو العلاء وشارح رسالته كامل كيلاني قد أعادا مذهبي التناسخ والحلول، الأول إلى جماعة من الشيعة، والثاني، إلى الشيعة جملة..

كما أعادا مذهب التناسخ إلى الهند، دون الفرس، فأحْرِ بالسيد المؤلف أن يدفع عن ملّته هذه التهمة، لا أن يتّهم بها الآخرين، وأن يسعى لتصحيح معلوماته بدلاً من أن يرسلها على خطيئتها بلا بصيرة..

ونحن على ثقة، من أنه لم يجهد نفسه بهذه الأباطيل إيماناً منه بخطورتها على العقيدة الإسلامية، وليس من حرصه عليها، وإنّما ليسيء إليها، عن طريق الإساءة إلى فئة من أبنائها، لهم فيها جذور عميقة وعريقة، متعاوناً بذلك باسم الغيرة على الإسلام، مع أعداء الإسلام والعروبة!! ماذا يقول لأبي يعقوب السجستاني[1] الذي احتجّ على انتظار الأجساد في أجداثها، والأرواح في مستكنها إلى يوم النشور، وتساويها مع موتى ذلك اليوم، وكيف يتساوى في العدل الإلٰهي، المنتظرون كلاً بين السنتين في أجداثهم مع موتى فترة النشور بدون انتظار!!.

إن التناسخ فكرة تطلّ من خلال عقل الإنسان أكثر مما تطلّ من خلال الشريعة، ولكن القول بها في بعض الأحيان لا يؤذي الشريعة ولا يسيء إلى وحدانية الله، مادام القرآن قد أذن للعقل والفكر أن يعملا في كل ما هو منظور، وملحوظ[2] لاستظهار ما وراءهما من المستبطنات ولو كانت من العبرة في الملامح المنظورة، لاكتفي بالعين المجردة عن حركات الفكر والعقل عن تحريك المواد الساكنة، وكان وجود الفكر والعقل، لغواً لا حاجة إليه!!.

هذا شاعر، يستعين برؤية عينه المجردة في الإستدلال عن طريق الحركة الملحوظة في الشمس على صحة التناسخ بهذا البيت من الشعر:

لمشرقِ شمس الحبِّ بعد غروبها   بعينيَّ في عينيَّ صحَّ التناسخُ

لقد فكّر هذا الشاعر بحركة الشمس التي يراها تشرق وتغرب يومياً، وهي

---

(١) أبو يعقوب السجستاني، صاحب كتاب الإفتخار وأحد الدعاة الفاطميين.

(٢) العقل هو وسيلة تحصيل المعرفة بالله وبالوجود ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق..﴾ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...﴾.

هي على حالها لم تتغير، ولم تتبدل، فكيف لا تكون دليلاً على الإنسان الذي يعيش تحتها؟!.

ومثل ما يكون الإشراق بداية يوم، والإغراب نهايته، كذلك يكون موت الإنسان نهاية حياة، وبداية حياة جديدة، وهكذا كانت فكرة التناسخ مستلهمة عند هذا الشاعر من سيرورة الحياة في النظام الشَّمسي؟!..

فماذا يقول السيد عبد الحسين عندما يعرض عليه العقل والفكر أموراً كهذه، هل ينزع إلى تعطيلهما توفيقاً لرأي فقيهٍ معيَّن!! أم ينساق معهما مستهدياً بإشراق المعرفة التي ليس لها حدود؟!..

وهل يجد في أفلاطون، مؤسس هذه النظرية غبياً وجاهلاً؟! أم يرى به معلِّماً وحكيماً؟!..

وهل يجد في محمد بن زكريا الرازي طبيباً مغفَّلاً؟!. أم يرى به عالماً عارفاً مفكراً؟!..

كل هؤلاء على الرغم مما عرفوا به منذ أقدم التاريخ من آراء صائبة يجهلون تعارض التناسخ مع حكمة الخلق والإنشاء، ويعرفه آخرون من الناس؟!..

وماذا يرى في أبي العلاء المعرّي هذا الفيلسوف الذي سلّط أضواء شكوكه على كل الشرائع وعلى كل الآراء المحنطة، هذا الفيلسوف الذي لم يرفض التناسخ ولم يجزم ببطلانه، وهو القائل:

تقادم شخص مضى فأحدث عنه البدل
وما صحَّ إلا امرءً تصرَّف ثم انجدل

إن القارىء البصير يدرك: أن ليس ممن ذكرنا من صحَّ القول به، أنه نصيريٌّ، أو علويّ، ولم نعرف أنَّ أحداً نادى بتكفير أي منهم، أو شعر بخطره على دولة الإسلام بهذا السبب؟!.

وهذا جبران خليل جبران، وهو مسيحي، لا تؤمن عقيدته بالتناسخ، وهو من أهل الفكر الذين عاشوا أوائل هذا القرن، يقول عنه أحد معاصريه الأستاذ ميخائيل نعيمه[1]، وهو من أهل الرأي والفكر بين الأحياء المعاصرين، يقول عنه: إنه كان يؤمن أوثق الإيمان بالتقميص؟!. ولم يقل عنه أبناء ملته: أنه أساء إلى عقيدتهم أو لِديانتهم، أو أنّه هدّد دولة المسيح بالخطر؟!..

ولكن يبقى عند المؤلف التناسخ عند العلويين، وعند العلويين فقط، هو الخطر وهو الذي يهدّد دولة الإسلام، فيا أُولي الأبصار ما هذا الإبصار؟!.

بقيت مقولة التأويل، وماذ يُراد منها؟!.

التاويل والغُلاة:

يعلم كل من اطّلع على مذاهب الفِرَق الإسلامية، أن التأويل لم يكن مقصوراً على الغُلاة، وأن علماء المسلمين من شيعة وسنّة قالوا به..

لقد استعمله أبو حامد في كتبه، كما تأوّل علماء الشيعة في حق عليّ وذريّته كثيراً من آيات القرآن، ومن يقرأ تفسير الكاشاني للقرآن يجد الشيء المذهل!..

وما كانت الإشارة في القرآن إلى التأويل تنعكس ضدّ وجوده، بل تؤكد على وجوده، وأن الراسخين في العلم، الذين قالوا: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا، يعني القرآن والتأويل، وحديث: ستقاتل على تأويله، متفق عليه عند الشيعة.

ولكن المؤلّف، لا ينظر إلى هذا كله، فكل التأويل مقبول، ومنسجم مع الإسلام ولا يهدد دولته، إلا من العلويين؟!. فهو مرفوض، ومكفّر، لأن

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران لميخائيل نعيمة.

تأويلهم نابع من تأويل علماء الشيعة، وهو يعرف في هذا التصرف ماذا يريد؟!. إنّه يريد النصيريّة، ويستهدفهم بشكل خاص ويطعن عليهم بشكل أخصّ؟!. فهو يقول:

وكانت النصيريّة، أشدّ إيغالاً في تأويل الباطن من سائر فِرَق الغُلاة!!..

ولا ندري من أين هرف إلينا بهذه المعلومات، ولا نعْرِف متى كان النصيرية أشدّ إيغالاً في التأويل من غيرهم، من بقية الفِرق الباطنية، ومن الشيعة أنفسهم وكان عليه، وقد وصفهم بشدّة الإيغال في الغلوّ أنْ يُشير، ولو إلى مثال واحد من هذا الإيغال الشَّديد إذا كان صادقاً أو واثقاً مما يقول!.

لقد تصدّى أبو حامد الغزالي لفرقة الباطنية، وألّف كتاباً في فضائحها ـ كما يزعم ـ وخصَّص الباب الخامس منه لمناقشة تأويلاتهم التي اعتبرها فاسدة، ولكنَّه لم يشر بكلمة واحدة في هذا الكتاب إلى النصيريّة، ولا إلى إيغالهم الشديد في التأويل، فلو كانوا على هذه الشدّة من الإيغال لكان سلّط عليهم لسانه السليط سيّما وأنه كان يستند على سلطة المستظهر بالله العبّاسي؟!..

ونحن بدورنا، نسأل المؤلف، وهو على موقفه هذا من التأويل ومن القائلين به:

من تأول، أن الشجرة الملعونة في القرآن؟ هم بنو أميّة؟!..

ومن تأوّل في قوله تعالى: ﴿قُل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾، إنه عليّ بن أبي طالب؟!..

ومن تأوّل في تفسير قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها﴾، فقال: الشمس محمّد، والقمر علي؟!..

ومن تأوّل في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله حبَّب إليكم الأيمان، وكرّه إليكم

الكفر والفسوق والعصيان﴾، فقال: الإيمان هو (عليّ) والكفر والفسوق والعصيان هم الذين نازعوه واغتصبوا حقه من الخلفاء؟!..

ومن الذي قال في تفسير: من جاء بالحسنة.. الخ: الحسنة هي معرفة الولاية، وحبّ أهل البيت، والسيّئة: هي إنكار الولاية وبغض أهل البيت؟!..

وأخيراً، من الذي روى عن أخطب خوارزم عن عبد الله بن مسعود أنّ الله عزّ وجل قال مشيراً إلى (عليّ بن أبي طالب) أقْسَمتُ بعزّتي وجلالي، أن أُدخل الجنة من أطاعه، وإن عصاني، وأقسمتُ بعزّتي وجلالي، أن أُدخل النار من عصاه وإن أطاعني (راجع إرشاد القلوب للديلمي، ص ٢١٠)..

لقد تأول العلويون، ولكن ليس بأكثر من هذا، وأوغلوا ولكن ليس إلى أكثر من هذا الحد..

إن المؤلف يمرُّ متغافِلاً على مثل هذا التأويل، لأنه ليس من النصيريّة، أو العلويين؟!. أما إذا قاله العلويون، أو وافقوا عليه، فهذا إيغال في التأويل مؤدٍّ إلى الكفر والعياذ بالله، ولو كان مأخوذاً عن كبار مفسّري القرآن من علماء الشيعة الإمامية المعتدلة..

وما أشبهه بموقفه هذا بأستاذه ابن تيمية، صاحب الفتاوى المشهورة، يسأله شيخ الإسلام عن النصيريّة فيُحمّلهم تبعة أفعال القرامطة؟!..

لقد ظهر التعسُّف عند ابن تيمية، والإشكال في معرفة الفرق، وما ينسب إلى كلٍّ منها ـ وهو من هو عند مقدِّريه ـ فكيف لا يظهر عند هذا (العبد) الغاضب المهووس الذي لا يبالي، وإن أخرجه غضبه عن الصواب والحق..

ليت المؤلف[1] يدري: أن بذور التأويل، لم تنبت في أذهان النصيريّة

---

(١) يقول المحقق: الحق أنّ المؤلف ليس من الشيعة الإمامية وإنما هو على مذهب ابن تيمية وإن تستّر باسم شيعي، فهو وصاحبه من غلاة النواصب.

نباتاً، وإنما بذرها فيهم إخوانهم علماء الشيعة، قبل أن يكونوا نصيريِّين، وبعد أن كانوا، وإلى الآن.. فهم لا يستندون في تأويلاتهم إلاّ على ما جاء في كتب الشيعة ومصادرها والغلوّ الذي اعتبره المؤلف نافذة إلى المقولات الثلاث، الحلول، التناسخ، التأويل. العوامل الهدَّامة في دولة الإسلام، إنْ هو إلاّ من روافِد كتبهم ومعطياتها..

وطبعاً إنَّ تحديد معنى كلمة (غلوّ) هو القول المبالَغ فيه بالنسبة إلى شخصية الإمام أبي الحسن (ع) ومزاياه المثالية، هذا الغلوّ أربَكَ أبا إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام المعتزلي، فأطلق عبارته المشهورة التي أبدى رأيه فيها بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقال:

إنَّ علي بن أبي طالب، محنة على المتكلِّم، إن وفاهُ حقه غلا، وإن بخسه حقه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادة الشأن صعبة المرتقى..

النظّام المعتزلي، الذي يقول عنه المؤرخون، إنه أنكر المعاجز النبوية وأنكر الإعجاز في القرآن، وأرسل من الآراء المتطرفة ماجعل صاحب كتاب (الفرق بين الفِرَق) يحصي عليه من الفضائح ما يزيد على الإثنتين وعشرين فضيحة، هذا المعتزلي الذي كان جريئاً، في نقد الصحابة، والذي بلغ من جرأته، أنه طعن في تصرّف عمر بن الخطاب، وعابَ أموراً شتَّى على عثمان...

هذا المعتزلي الزنديق، يمرّ ساخراً وناقداً ومفنِّداً، بجميع أهل الرأي والفقهِ والمعرفة من الرجال المسلمين، يقف حائراً أمام عظمة علي بن أبي طالب ويعتبره محنة على المتكلم، ويعتبر هذه المحنة تلقيه بين خَشْيَتَيْن، خشية الإفراط، الذي يؤدِّي به إلى الغلوّ، وخشية التفريط الذي يؤدي به إلى الإساءة بحقه وهو يدرك أن هناك منزلة وسطى، ولكن هذه المنزلة كل ما يعلمه عنها أنها دقيقة الوزن، حادَّة الشأن، صعبة المرتقى، فيقف عاجزاً عن إدراك حقيقتها...

وبماذا يُجيبُنا هذا المؤلّف؟ لو سألناه: ماذا يعني هذا القول من هذا المعتزلي الرافض، وماذا يُراد به؟ وهل يشكّل بحدّ ذاته في نظره إيغالاً في الغلوّ بمن يعتبر الغلوّ في حبه جريمة؟!..

وماذا يقول في طبيعة هذا الحق الذي آمن به هذا المعتزلي واعترف أن الوفاء به يؤدّي إلى الغلوّ، وأن البخس به يؤدي إلى الإساءة...

وكيف يصوِّر لنا هذه المنزلة الوسطى التي ارتسمت صورتها في ذهن هذا المعتزلي، واكتفى بأن يصفها، بأنها دقيقة الوزن حادّة الشأن، صعبة المرتقى؟!.

أليس من الواضح، أنه في هذا الوصف أشار إلى عجزه المطلق عن معرفة كنه هذه المنزلة، فقطع على المتسائلين عنها كل طريق للسؤال؟!.

فمنزلةٌ هذه صفاتُها يتعذر على كل باحث معرفة ما وراءها وهي وسطى فكيف لو كانت فوق الوسطى؟!..

وعلينا وعلى كل قارىء، أن يسأل: متى كان الوفاء بالحق غلواً يحاسب عليه الموفي والحق كما نعلم، ويعلم كل مسلم أنه من أسمائه تعالى، وهو أحق أن يتبع، قال سبحانه في سورة لقمان: **﴿ذلك بأنّ الله هو الحقّ، وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾**..

فما الذي جعل هذا المعتزلي يتحرّج من الوفاء بالحق، خوفاً من الغلوّ وهو يعلم أنّه حق؟!. أظنه أدرك بسابق حدسه أنه سيجيء بعده من يحاسبه على الوفاء بالحق من أنصار الباطل كالسيد عبد الحسين، ويتّهمه لهذا السبب بالغلوّ...

ويُهِمُّنا في هذا المنطلق، أن نعلم: ما إذا كان التأويل هو الذي أدّى إلى الغلوّ، أم أن الغلوّ هو الذي أدّى إلى التأويل؟! وما هي الروابط السببية بينهما؟!..

وهل نستطيع، أن نقول: إن عبد الحميد المدائني، كان أكثر جرأةً من النظّام؟!

فعبد الحميد قال في أمير المؤمنين: ما قنع به عقله. أما النظّام المعتزلي، فقد اكتفى بأن يشير إلى جو هذه القناعة وما يمكن أن يترتّب عليها..

يعلم كل من قرأ علويات عبد الحميد، أنه رسم بها طريق الغلو علانية، وجعل من الغلو نشيداً مموسقاً يتغنّى به المتغنون، فهو لم يقُل (بربوبية) الإمام ولكنه أعطاه أفعال (الربوبيّة) عن رتبة المربوبيّة وعذر من شكّ بهذه الرتبة، فهو يقول:

تقيّلْتَ أفعال الربوبية التي عذرتُ بها من شكَّ أنك مربوبُ

وكما أعطاه أفعال الربوبية في البيت الآنف، فهو يخلع عليه صفة من صفات الله في البيت الآتي:

علاّم أسرار الغيوب ومن لهُ خُلِقَ الزّمانُ ودارتِ الأفلاكُ

إنَّ عبد الحميد المدائني الذي أعطى هذه الصفة لعلي بن أبي طالب (ع) لا يمكن أن يكون لا يعلم أن الله وصف بها نفسه في كثير من آيات القرآن، قال الله عزَّ من قائل في سورة المائدة: **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتُمْ، قالوا لا علم لنا إنَّك أنت علاّم الغيوب﴾**، وقوله في السورة نفسها: **﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم، أأنْتَ قُلتَ للنّاس اتّخذوني وأمي إلَهَيْن من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علِمته تعلمُ ما في نفسي، ولا أعلمُ ما في نفسِكَ، إنك أنت علاّم الغيوب﴾**، وقال تعالى في سورة التوبة: **﴿ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرَّهم ونجواهم، وأن الله علاّم الغيوب﴾**، وقال سبحانه في سورة سبأ: **﴿قُل إن ربي يقذف بالحق علاّم الغيوب﴾**. وبعد هذا يروي الطبرسي صاحب (الإحتجاج) أنه فيما خرج عن

صاحب الزمان (ع) جواباً لكتاب كُتِب إليه على يد محمد بن علي بن هلال الكرخي رداً على الغلاة، كما يقول، هذا نصُّه:

يا محمد بن علي، تعالى الله وجلّ عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركَتْ أسماؤه: ﴿قُل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾، أنا وجميع آبائي من الأولين: ﴿آدم ونوح وإبراهيم وموسى﴾ وغيرهم من النبيين ومن الآخرين، محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة (ع) إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عز وجل، إلى أن يقول فأشهد الله الذي لا إله إلا هو، وكفى به شهيداً ورسوله محمد (ص) وآله وملائكته وأنبياءه (ع) وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا أني بريءٌ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنّا نعلم الغيب ونشاركه في ملكه، أو يحلّنا محلاً سوى المحل الذي رَضِيَهُ لنا، وخلقنا له. انتهى.

تعالوا لنقف عند هذا الكتاب قليلاً، صاحب الزمان يقول: هو وجميع آبائه من الأولين من آدم إلى موسى وغيرهم، ومن الآخرين من محمد وعلي بن أبي طالب وغيرهم ممن مضى من الأئمة إلى مبلغ أيامه ومنتهى عصره لا يعلمون الغيب..

وهذا جدُّه علي بن أبي طالب (ع) يقول: أنا المطّلع على أخبار الأولين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين، سلوني عن أسرار الغيوب، فإني وارث علم الأنبياء والمرسلين وهو الذي يقول: والله لو شئتُ أن أُخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت..

فهل يتّفق هذا مع ما جاء في كتاب صاحب الزمان أو هل يُخالف صاحب الزمان فعالَة أبيه، لا ريب أن عبد الحميد الذي رافق نهج البلاغة في كل خطبه وعباراته أدرك أن صاحب عبارة (سلوني) يعرف ماذا يعني، والذي قال في خطبه (أنا) يعرف من هو على وجه الحقيقة، ولا غرابة إذا جلجلت في نفسه

صرخة الحق، فلم ينكفىء على نفسه كالنظّام، ولم يخشَ من الناس ما خشيه النظّام، ولذلك انطلق يتغنى في بيتٍ تلوَ بيْت، وفي قصيدة تلو أخرى، وفي كل قصيدة يعرج على ذخائر معرفتِهِ وكنوز معارفه فيغرف منها ما يغرفه وانتقل من التلويح إلى التصريح بجرأةٍ عارمةٍ خلافاً للنظّام الذي ارتبك في حيرتِهِ، قال عبد الحميد يصف من هو أمير المؤمنين!!.

هو الآية العظمى ومستنبط الهدى | وحيـرة أربـاب النُّهـى والبصـائـر

وعرّف صفات أمير المؤمنين تعريفاً دقيقاً مكثّفاً فقال:

فـاتُـكَ أسمـاءٌ وذاتُـكَ جـوهـرٌ | بريء المعاني، من صفاتِ الجواهر
يجلّ عن الأعراضِ، والأين والمتى | ويكبـر عـن تشبيهِـهِ بـالعنـاصِـرِ

لقد شاء المؤلف أن يفسّر غلوّ ابن نصير، بأنه ينزع من ورائه للإنتقام من الإسلام لأنه قضى على دينِ أجداده الفرس وهو احتمال يعرف أنه يكذب به على نفسه، فكيف يصدقه به القارىء، وكيف يتقبله الناس؟!..

وإذا سلّمنا به جدلاً، فبماذا يفسّر نزوع هذين المعتزلين ـ النظّام وعبد الحميد ـ إلى الغلوّ، ولأيِّ دين يريدان أن ينتقما!!. وهما اللّذان لا يريان بأساً في إمامة المفضول على الأفضل!! وهل تتجلّى ملامح الإعتدال من خلال الأقوال التي أوردناها!! أم يتجلّى الغلوّ بكل سِماتِهِ ومعانيه؟!..

ومن يدري، فربما أصبح ابن أبي الحديد، في يوم من الأيام، هدفاً لرشق سهام هذا المؤلف وأمثاله، ويفسّر هذا الغلوّ منه تجاوباً مع نزعة فارسية دفعه إليها حنينه إلى إعادة عرش كسرى في عاصمته المدائن، وشوقه إلى أصله القديم؟!.

وربما أصبح كلّ أنصار الشيعة والتشيّع، من شعراء ومؤرّخين ومؤلّفين غُلاة، إذا كثر المعتدلون أو العادلون عن الحق، أمثال هذا المؤلف بين صفوف الشيعة؟!.

وربما وجد من يفتي بتكفير ـ مهيار ـ والكميت، والسيد الحميري ودعبل الخزاعي، وحتى الإمام الشافعي، لأنهم يقولون بسموِّ شمائل الإمام المرتضى على شمائل البشر...

وعلى ذكر الإمام الشافعي وما أُثِر عنه، وما نُسِب إليه من شعر يتفجّر إيماناً وتشيُّعاً هو بالمستوى الذي يوصفُ به ابن أبي الحديد، ونورد له هذين البيْتَيْنِ كدليلٍ على ذلك وهمَا لهما صفة الحوار:

قيل لي: قُلْ في عليٍّ مَدَحاً ذِكْرُهُ يُخمِدُ ناراً موقَدَهْ
قلتُ: لا أُقدِمُ في مدحِ امرِءٍ ضَلَّ ذو اللبّ إلى أن عبده

وتكاد تكون كبيرة هذه من الإمام الشافعيّ، لولا أنه يعرف محلّها، وهو في هذا الرأي الصّحيح الصّريح، رجع إلى لبّه ـ وهو من أولي الألباب ـ فصدع قلمه بهذه الحقيقة الصارخة، التي شاطره بها شاعرٌ إمامي آخر فقال:

ولم يغلُ فيكَ المسلمونَ جهالةً ولكِنْ لِسرٌ في عُلاكَ مغيَّبُ

وعلى هذا المبدأ الذي نوّه به هذان الشاعران، فما هو ذلك (السرّ) المغيّب الذي أشار إليه هذا الشاعر، والذي كان سبباً في تبرير الغلوّ فيه عند سائر المسلمين ـ كما يُفهم من البيت ـ وليس عند الشيعة وحدَهم، وليس عند الغُلاة الّذين يصمهم المؤلّف به، الغلوّ في حبِّ أهل البيت الطاهرين المطهَّرين...

إذا كان أهل اللُّب ـ كما رأينا بالمدائني والشافعي ـ أدّى بهم ما يرونه في الإمام (ع) إلى الحيرة والضياع، فما هو حال في من لم يرتفع بهم المستوى العقلي إلى ما لا يعصمهم من الضياع!! من المقارنة بين ابن أبي الحديد والإمام الشافعي، نلاحظ أن درجة الغلوّ عند كليهما بمستوى واحد..

فالأول: يعذر الشاكّين بمربوبيّتِهِ!!

والثاني: يعتذر لمطالبيه في مدحِهِ، لأِنه لا يستطيع مدحاً لمن صفاته

أدّت إلى عبادته عند أصحاب العقول . .

أما الشاعر الأخير، فنلاحظ أنه يقرّر بمنتهى القناعة، بينه وبين نفسه: أن هذا الغلوّ فيه من المسلمين، ولم يقل من الشيعة وحسب؟! لم يكن عن جهل ولا عن تعاطف غير مدروس؟ وإنما يُمليه سرّ عظمته وعلاء مغيَّب لا يدركُه الناس!!.

إنَّ هذا الشاعر، قد ارتفع فوق الشَّاعرَيْن الأولَيْن بمظهر القناعة فيما رأى فيما قال، فهو لم يتحفَّظ، ولم يتردَّد بالتعبير عن قناعته الشخصية، وردَّ في الوقت نفسه على الطّاعنين بالغلوّ، وبالمسلمين المغالين، واعتبر أن هذا الغلوّ في عليّ (ع) من المسلمين لم يكن جهلاً بمعنى الغلوّ، وإنّما هناك في هذه الشخصيّة الفريدة، ما يُمليه ويوجبه!! . .

فإذا كان هؤلاء المفكِّرون العُقلاء، بلغت بهم الحيرة إلى هذا الحدّ وصارحوا الناس في غلوّهم، وفي تبرير هذا الغلوّ، وظلَّ غلوّهم حتى الآن غير مُطارد، وغير ملاحَق من المؤلف وأمثاله، لأنه لا خطر به على الدّين، ولا على الحضارة العربيّة، فلماذا بقيَ العلويون وحدهم، يتحمَّلون تبعة الغلوّ وتبعة التأويل، وظلّوا وحدهم - في نظر المؤلّف - المسؤولين عن تدمير الحضارة العربية، وهدم الإسلام!!.

ولا يرضى المؤلف، أن يغيب طويلاً عن ابن نصير، عدوّه اللّدود، تضامناً مع سعد بن عبد الله وأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، وفي نفسه شحنة من المطاعن والزرايات لا يشفيه إلاّ أن يفرغها على ابن نصير، رضي بذلك الآدب أم أبى، وإليك أيها القارىء الكريم ما سمح له ذوقه الرفيع بإيراده عن الرجل، قال:

فقد كان ابن نصير، يقول: بإباحة المحارم، ويحلّل نكاح الرِّجال، بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلّل في المفعول

به، وأنه من الفاعل، والمفعول به إحدى الشهوات والطيِّبات، والله لم يحرِّم شيئاً من ذلك؟!.

فما رأي القارىء الكريم، بهذا التعريف الفاجر، يسوقه المؤلف بغير حياء أو حشمة، وهو يتقمّص شخصيّة القميِّ والنوبختي ومن تجاوب معهما في هذا المنطق السفيه، مُتجاوزاً كلَّ ما يخالف ذلك من أقوال المؤرِّخين، غير عابىءٍ باللَّعنة التي قذف الله بها الكاذبين!!.

وما رأي المؤلِّف نفسه؟ هل أساءَ بهذا إلى ابن نصير؟، أم إلى إمامه الحسن العسكري[1]، الذي اتّخذ من ابن نصير صاحباً وهو على هذه الصفة!!.

وتأمّل أيها القارىء الكريم، كيف يتَّقي الله ويخشاه أولئك الذين يتحفظون فيما لم يثبت لديهم بدليل قاطع..

هذا صاحب (الفرق بين الفِرق)، وهو من أهل السنَّة، والمؤلف لا يجهل ذلك، لم يقُل هذا عن ابن نصير، ولم يورد شيئاً منه، وهذا معناه أنه لا يثق برواية القميِّ..

صاحب (الفرق بين الفرق)، يقول، حُكِي عنه ـ أي عن النُّميْري ـ أنه ادّعى في نفسه: أن الله تعالى حلّ فيه..

فتأمّل كلمة(حُكي) ماذا تعني؟ وكم بها من تحفظ.. أنها رُفعت عن عاتق عبد القاهر البغدادي، وهو من مؤرِّخي القرن الرابع الهجري، مسؤولية هذا القول، وأبقى تبعته على الذي حكاه!! وتأمل فإنه لم يتعرض لذكر إباحة المحارم، التي تغني في وصفها السيد المؤلف، وكأنه عليّ بن الجهم يتغزّل بحسناوات بغداد بين الرصافة والجسر..

---

(١) يقول المحقق: إن المؤلّف عبد الله سلوم السامرائي، هو الإسم الحقيقي لعبد الحسين مهدي العسكري الإسم المستعار، لا يقول بإمامة الحسن العسكري (ع) وهو من غلاة النواصب، فتأمّل.

وعبد الحميد المدائني، لقد عفَّ لسانه عن ذكر إباحة المحارم لأِنه لا يثق برواية سعد بن عبد الله ولا بإبن خاقان، واكتفى بأن قال:

المقالة المعروفة بالنصيرية، وهي التي أحدثها محمَّد بن نصير النميري، وكان من أصحاب الحسن العسكري..

إنّ شارح النهج، أثبت الصحبة، ونفى عنه ادِّعاء النبوّة، والرسالة، والألوهية، وإباحة المحارم، وأغفل البراءة والتحذير من الإمام الحسن العسكري، فماذا يقول المؤلِّف؟!.

وعبد الكريم الشهرستاني، صاحب الملل والنحل، فقد ذكر النصيريين بين الغلاة، ولم يتعرّض لذكر النميري مطلقاً ولا إلى الصِّفات التي أطلقها عليه أصحاب أبي جعفر محمد بن عثمان ولا عبرة لما جاء في تعليق شارحه الشيخ أحمد فهمي، فقد توسع بمعلوماته حباً بالظهور...

بعد كل هذا.. هل يجد السيِّد المؤلف، في هؤلاء المؤرِّخين الكبار ما يدفعه إلى محاكمة أرائه، فيعدل عن تجنيه المفضوح على هذا الفقيه، ويدرك أنه فقد ذوقه الأدبيّ والفقهيّ عندما رضي بعرض هذه المثالب على ذمَّةِ الرُّواةِ المشبوهين، وفي اعتباره مسؤولاً عن طائفة من الشيعة، ليس عندها شيء مما ذكر، وتبرأ إلى الله ممن يفعلونه..

وهل كان أكثر دقَّة في تحرِّيه عن ثقاة الشيعة من العلاَّمة محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار وشيخ الإسلام بدار السلطنة في أصفهان، هذا العلاّمة الذي استهلّ مجلّده الثالث والخمسين من كتابه الموسوعة بحار الأنوار برواية المفضل بن عمر في باب الإمام الثاني عشر، حيث قال: روي في بعض مؤلّفات أصحابنا عن الحسين بن حمدان عن محمد بن إسماعيل، وعلي بن عبد الله الحسني، عن أبي شعيب محمد بن نصير عن عمر بن الفرات عن محمد بن المفضل عن المفضّل بن عمر، قال: سألت مولاي الصادق (ع)... الخ..

ولا والله ما كان المجلسي (قدّس الله سره) ليأخذ هذا الخبر وبين أسناده ابن نصير والحسين بن حمدان، لو كان ما ينسبه إليهما الآخرون حقّاً وصدقاً. . فاللّهمّ إنّا نعوذ بكَ من مُضِلاّت الفتن. .

* * *

أهداف الغلو

وينتقل المؤلف، من الغلوّ وسوء القول فيه، إلى أهْدافه التي عيَّنها هو، فقال:

أهداف الغلوّ التي برزت من ثنايا أفكار الغُلاة، الّتي نادوا بها، يمكن إرجاعها إلى هدفَيْن رئيسيّيْن..

١ ـ هدم الإسلام..

٢ ـ إسقاط سلطته..

هذه خلاصة ما تبحّرت به عبقرية هذا المؤلّف التافه، في كتابه هذا..

وهذه حصيلة ما شَنْشَنَ به هذا الأخزم، في كل أبحاثه..

وهدفُهُ في تحديد هذَيْن الهدفَيْن، لا يخفى على ذي بصيرة، فهو يرمي إلِي تمزيق جماعة المسلمين، وتبديد المتبقي من صفوفهم، وتحويل أنظارهم عن العدوّ المشترك إلى بعضهم بعضاً، وهذا ما يريده منه موجِّهُوهُ، وهو أمين على تنفيذ هذه الإرادة!!.

إن الغلوّ الذي يتفلسف في تعريف أفكاره، وفي بيان نتائجه وأغراضه، وفي تحديد أهدافه، ليس هو وليد الساعة وليس هو وليد عصر المؤلف..

فقد ظهر الغلوّ منذ بداية التاريخ الإسلامي، ووقف ضدّه خصوم، وظهر له معارضُون، كانوا أكثر لدادة من المؤلِّف، ورغم ذلك، فقد بقي قائماً،

وفضح مزاعم أولئك الخصوم، وأثبت ارتباطه بالإسلام ـ شكلاً ومضموناً ـ ارتباطاً لا يتزعزع، بالرغم من هبوب الأعاصير حوله..

ولو كان ما توجس به منه أعداؤه صحيحاً، لظهرت آثار خطره خلال الفترات التي مرَّ بها؟!!..

وأين هو الغلوّ الذي يراه المؤلف، هادماً للإسلام، ومسقطاً لسلطته؟، وفي أي فرقة من فرقه يتجلّى؟!..

فقد عدَّد فِرَقاً من الغُلاة تكاد تعادل بمجموعها، ثلث المسلمين إذا لم نقل نصفهم، ولم نجد واحدة من تلك الفِرَق لم تكن مع الإسلام، ولم تستمدّ أصولها منه، ولم تعتزّ بالإنتساب إليه..

وهذه الفِرَق أيضاً، نجد ـ كما يقول المؤرِّخون ـ أكثرها منحدراً من الشيعة الإمامية؟!..

ورغم تنكّر الشيعة الإمامية لها، أو لأكثرها، فقد بقيت محافظة على الوشائج التي تصلها بها!!..

ولقد ثبت عند المؤرِّخين جميعاً من عرب وأجانب، أنَّ التشيُّع هو طريق الغلوّ.

وهو الذي ركّز المؤشِّرات الإستدلالية لمن ضلّ عنه، فإذا كان يرى في الغلو خطراً على الإسلام فمن أين يعالج هذا الخطر؟!.. وكيف يبدأ بمعالجته؟!.. إذا كان التشيّع هو طريقه وأساسه، وإذا كانت الشيعة هي طوائفه، وهي جماهيره، فهل يستطيع إزالة التشيُّع من رؤوس الناس؟!. وهل يستطيع إزالة الشيعة من بين جماهير المسلمين ليستطيع أن ينجو من خطر الغُلاة..

يتحدّث المؤلّف عن الغُلاة، والغُلوّ، لا بما يستطيع معرفته هو، بل بما كان تحدَّث به غيره من أصحاب الغايات المشبوهة...

وإذا كان هو على شيء من المعرفة بِه، فإنّه لا يبالي أن يكذب على معرفته، ما دام يستند على رواة ولو كانوا غير صادقين. . .

سبق أن كتب عبد الرحمن بدوي، وتحدَّث عن الزنْدقَةِ والإلحاد ولكن بروحيّة، غير روحيّة هذا المؤلف، وحصر الزنادقة والملحدين في أشخاص، لا في فرق، وتعرَّض للغلاة كمؤرِّخ يكتب ما يُقال، لا كمجرِّح ومكفِّر، ولمْ يجبُن أمام ابن تيمية كما جبُن المؤلف أمام رواة أخبارِهِ، فقد لاحظ على ابن تيَمية خطأً ارتكبه. .

أما السيد المؤلف فإنه يتمسك برواته ولو كانوا مخطئين؟!. .

إنه لم يستطع الفصل بين المفهوم المعمق في الغلوّ وبين الإنكار والرفض في الزندقة!! ولا بين الراوندي وابن أبي العوجاء، وبين ابن نصير في المقالة!!.

فهو لِغاية في نفسه وليست في نفس يعقوب، وللأمر الذي من أجله جدع قصير أنفه، أبى إلا أن يجسِّد في تابعيه، كل مظاهر الخطر على الإسلام، دون بقية سائر الفرق، واكتفى وحده برعاية هذا الدِّين، وبالحفاظ على دولته وحماية سلطاته؟!. .

وحين تعلم أيّها القارىء الكريم، أن هذا المسلم المتمسك بإيمانه الصَّحيح أكثر من إسعاف النشاشيبي يدعى عبد الحسين مهدي العسكري، تدرك من خلال هذه التسمية أنه شيعيّ أصيل من عبيد مولانا الحسين[1]، وموالي أبيه، وأبنائه. . .

(١) يقول المحقق: إن الشيعة لا تعبد الحسين (ع) ولا غيره من الأئمة، وإن تسمية عبد الحسن، وعبد الحسين هي مجازية وهو كثير في اللغة وإن كانت الشيعة لا تنكر عبودية الطاعة لهم (ع).

ولكن هذا المسلم الشيعي الأصيل[1]، أبى إلا أن (يزنْدق) الغُلاة جميعاً ليتوصل من وراء هذا كلِّه إلى العلويين أو النصيْرية، ويكتشف بما عنده من ألمعيّة زنديقة أنَّ زَنْدَقِيّة هؤلاء خطرها جسيم على الإسلام، وعلى الحضارة العربيّة، وهي أخطر من زنْدقة أبي شاكر ميمون بن ديصان وابن الراوندي وكتابه الدامغ..

ويبدو أنّه لم يلاحظ: أنّ عبد الرحمن بدوي، قال: إن اصطلاح كلمة (زنديق) كان يُطلق على من يؤمن بالمانوية، وانتهى أخيراً إلى من يخالف مذهب أهل السنة، وإذا صحَّ هذا القوْل، فلا فرق بين الشيعة المعتدلة وغلاتها، ولا يستطيع المؤلف أن يقول: إن الشيعة لا تخالف مذهب أهل السنّة، فكلهم بالنسبة لهذا الإعتبار زنادقة، ومنهم سيادته، والخطر الذي يهدِّد الإسلام فسيادته شريك به...

وإن التأويل، والتحريف، والتشويه، في مضامين القرآن الكريم، منسوب إلى الجميع!!..

فلماذا ينفرد هذا (العبد) بمظهر المسلم الحرّ، الحريص على الدِّين الحنيف رياءً وتملُّقاً، إذا لم أقُل: تظاهراً ونفاقاً؟!..

وإنّه لا يجهل أن كل مظاهر المجاملة بين الشيعة والسنّة لا تغني عن الحق والواقع شيئاً، إلاّ إذا نسينا يوم السقيفة وبيعة الغدير.. وشطبنا على سليم بن قيس العامري، والفضل بن شاذان، وبحار الأنوار، وإرشاد القلوب، وغيرهم من كتب الشيعة.

وأحِبُّ أن أُلفِتَ نظره، إلى أن ما ورد على لسان جمال الدين الأفغاني،

---

(١) ليس عبد الله سلوم السامرائي من الشيعة الأصلاء، وهو ناصبي عميل لسلطة بغداد.

جاء بحق المتصوّفة، وليس بحقّ الغَلاة، إلاّ إذا كان يضم جماهير الصوفيّة، إلى جماعة الغلاة.

وأُلفتُ نظره أيضاً، إلى أن كل ما يقوله هو في الغلوّ والغُلاة، يقوله الطرف الذي سمّاه (محايداً) في الشيعة والتشيُّع[1]. . .

وأظنه يدرك: أن أحمد أمين، وهو مؤرخ مصري معاصر، هو الذي يقول: والحق أنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كلّ من أراد هدم الإسلام، هذا ما يقوله أحمد أمين. .

أما التاريخ الشيعي فهو يقول:

أوّل من لجأ إلى التشيُّع أربعة، وهم: أبو ذر، وسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، والمقداد. . .

ويقول هذا التاريخ أيضاً: أن أبا ذرّ رابع المسلمين أو خامسهم وعلى رأي أحمد أمين يكون لجوء هؤلاء الأربعة إلى التشيُّع، غايته هدم الإسلام وليس إقامة بُنيانه. .

فهل يوافق صاحبنا على رأي أحمد أمين ونحسم المشكلة بيننا وبينه. .

أظن هذا المسافر لن يدرك صنعاء وإن طال سفره. .

---

(١) يقول محمد حسين الذهبي، الأستاذ في علوم الحديث والقرآن، في كتابه (التفسير والمفسرون) في معرض حديثه على الشيعة نقلاً عن كتاب (التبصير في الدين) للإسفراييني، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن، ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى (ص)، ويزعمون أن لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماماً يسمونه المهدي، يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا على شيء من الدين، وليس مقصودهم هذا الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلمة تكليف الشريعة عن التبرير حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ثم يقول ولا مزيد على هذا النوع من الكفر ولا بقاء فيه على شيء من الدين. .

إسقاط سلطة الإسلام

كان سبق لصاحِبِنا أن حصر أهداف الغلو في هَدَفَيْن رئيسيين، هما: هدم الإسلام، وإسقاط سلطته..

وفيما مرّ ناقشنا مفهومه المغلَّط عن الهدف الأول..

ونناقش الآن مفهومه الأكثر غلطاً عن الهدف الثاني..

يقول المؤلِّف:

إنَّ إسقاط السلطة ـ يعني سلطة الإسلام ـ كان هدفاً رئيسياً لحركات الغلوّ، إذا كان هذا قوله؟ فماذا يكون جوابه، إذا قلنا له: أنه جاهل بالتاريخ، والتاريخ وحده يفضح جهله!!..

التاريخ يحدِّثنا أن عبد الله المهدي، وبعده الفاطميين كانوا غُلاة، وتنتمي إليهم أعرق وأكبر طائفة مغالية، هم طائفة الإسماعيليين، وعنهم وعن بَنِيهِم انطلقَت عناصر الباطنيّة، ودُعاتها، وأنَّهم بالرغم من الدَّور الذي لعِبُوه لم يسقطوا سلطة الإسلام، وإنما بنوا فيه ممالِكاً، وعزَّزوا سلطاناً، وعملوا على تأصيل فكره، فبنوا دولته في المغرب العربي، ونقلوها إلى مصر، وبالرغم من محاولة طمس آثارهم فلا تزال آثارهم، حتى الآن شاهدة على تعميق الروح الإسلامية فيهم، وأكثر ما تكون تجلياً في الجامع الأزهر، وجامع الإمام الحسين والسيدة زينب..

إنَّ الجامع الأزهر الشريف، لا يزال مركزاً للإشعاع، لا في مصر وحدها وإنما في العالم الإسلامي بطولِهِ وعرضِهِ، وعلى امتدادِ رقعته، وخريجوه هُمُ الّذين حفظوا التراث الإسلامي إلى زماننا هذا!! . .

فلماذا لم يهدموا الإسلام، ولم يسقطوا سلطته يوم كان بمقدورهم أن يفعلوا . . ولا ندري ماذا يقول إذا سألناه عن معنى الحرب العراقية الإيرانية، القائمة في أيّامنا هذه، أهِيَ لإسقاط سلطة الإسلام!! أم لتدعيم هذه السلطة؟! . .

وهل الإسلام في العراق، غير الإسلام في إيران؟! . .

وهل يرى في الإمام الخميني، مسلماً مغالياً ينبغي محاربته؟! . وأن الشاه كان أكثر إيماناً منه بالإسلام، وأحرص على سلطته؟ كان (مسيلمة) فيما سلف، ، ولكن تقمّص في هذا العصر بهذا المؤلف على رغم منكري التقميص . . .

حكم المؤلف على الغلاة

يحكم المؤلف على الغلاة: أنهم خارجون على الإسلام ومعارضون له.

وهذا الحكم الذي يصدره ضدّ الغلاة، لم يسْتَوحِهِ من وقائع ثابتة، ولا من قوانين شرعية، وإنما استلهَمَهُ واستوحاهُ من التاريخ المكذوب، المكتوب بأيدٍ مفرقة وتتناقله الأيدي المفرقة كـ (رشدي عليان) و (قحطان عبد الرحمن، ومحمد علي ناصر) الذين تفتقت عبقريتهم عن وضع كتاب (أصول الدين الحنيف)..

ونحن ننصف هؤلاء، فهم عيال على من جاء قبلهم من رواة الأخبار، ولكننا نتّهمه هو، فقد أسرى حكمه على الغلاة بما حكموا به هم، على الكفار والمنكرين.

وإذا كان سيادة المؤلف، لا يفرّق بين الغلوّ والإنكار والكفر، فإننا نحيله إلى مراجعة القواميس العربية!!.

يقول المهتمُّون بشؤون الغلاة:

إنَّهم فرقة مسلمة، تأوّلت بأكثر مما تعرفه العامة[1] ....

---

(١) التأويل بأكثر مما تعرفه العامة، يقول به موسى بن ميمون، أعظم فلاسفة اليهود في دائرة الثقافة الإسلامية في كتابه (دلالة الحائرين) قال: وإنما الغرض أن أبين مشكلة الشريعة وأظهر حقائق بواطنها التي هي أعلى من أفهام الجمهور، (راجع الموسوعة =

فسَمُّوا غُلاة، وليسوا كفاراً ولا منكرين. .

لأن الكفر هو جحود الإيمان. .

والإنكار عدم التصديق بمزاياه وبما يتعلّق به، هذا ما قاله سيد أمير علي في كتابه (روح الإسلام)، فماذا يقول صاحبنا بهذا القول؟ إنّه طبعاً يرفضه، لأنه يرفض التكفير وإلقاء وقذف الغلاة خارج الإسلام. .

وليس من باب التعصُّب للشيء، نقول لصاحبنا: إنّنا نجد كل صفات الإيمان التي حدَّدها في فقرة (الحكم على الغلاة) متوفِّرة عند أهل الغلو الذين يعنيهم بنودُها الثلاثة، وهذه آراؤهم وأفكارهم، كلّها شاهدة على ذلك وناطقة به من خلال كُتُبهم ومصنفاتهم، ومن خلال سلوكهم الإسلامي ونعود للقول:

إنَّ جميع الفرق الغالية هي من الشيعة، لأنَّ الشيعة هي (أيديولوجية الغُلاة. .

وإنَّ التشيُّع الذي انطلق منذ حدوث مؤتمر السقيفة، هو سبب الخلاف في تصديق وإنكار، أو إثبات ونفي ما أثر عن الرّسول في العهد بالخلافة إلى (علي بن أبي طالب)، وهذا ما عليه جمهور المؤرِّخين. .

فمن هو المصدِّق؟ ومن هو المنكر لهذا العهد؟!. .

وهل يعتبر منكرو هذا العهد غُلاة كافرين؟!. أم معتدلين مؤمنين بنظر المؤلِّف؟!.

قال ابن أبي الحديد في شرح عبارة (هَلَكَ فيَّ اثنان):

قال رسول الله (ص): «لولا أني أشفق أن تقول طوائفُ من أمّتي فيك، ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيكَ اليوم مقالاً، لا تمرُّ بأحدٍ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة». .

= النقدية للدكتور الجفتي).

ويقول ابن أبي الحديد: ومع كونه (ص) لم يقل فيه ذلك المقال، فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة في الدنيا، فماذا يعني هذا القول من رسول الله (ص)، وماذا يُفهم من التصريح، أليس يعني أن في هذا الإمام العظيم مزايا لا تُقال وقد نبّه إليها الناس؟!. فازدادوا به تعلُّقاً!.

إن أصول الدِّين جميعها ترتكز على الإعتقاد بوجود الله الواحد، وبجميع صفاتِهِ الثُّبوتية، الراجعة إلى اتّصافه بالكمال، وإلى تنزيهه عن كل نقص، وعلى الإعتقاد بأنبياء الله ورسله عامة، وبنبوة محمد بن عبد الله خاصّة..

وعلى الإعتقاد بالبعث والنشور، وبالثواب والعقاب، فهل يستطيع المؤلف أن يثبت أنَّ شيئاً من هذه الأصول لا يؤمن بها الغُلاة الذين يعنيهم؟!، أو أهل الغلوّ الذين يتعرض لهم بكتابه!!..

لم يؤخذ عليهم أنهم ينكرونها، ولكن ربَّما أخذ عليهم أنهم يتأولونها بأكثر مما هو معروف عند العامة عملاً بمقولة (سيد أمير علي)..

وبالنسبة إلى ما يتعلق بالنصيرية، أو العلويين موضوع كتاب السيِّد، الذين استهدفهم دون غيرهم، بالطعن والتكفير، فإنّنا نقول له: إنَّ هؤلاء وكأنهم تنبّأوا أن من بين أصحاب الأغراض، من يتطاول عليهم، فأصدر رجال الدّين فيهم منذ عشر من السنوات تقريباً، وعلى التحديد بتاريخ (١١/ ذي القعدة/ ١٣٩٢ هجرية) بياناً ينصّ صراحة على اعتقاد العلويين بالأركان الإسلامية التي عليها جمهور الجعفريين من الشيعة، وكأنَّ هذا لم يَرُق للمؤلِّف، فقال: (مظلّة وتظاهر)...

وحيَّ الله السيد حسن مهدي الشيرازي، لقد ندَّد بالذين يهملون قول الله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلام لست مؤمناً، تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾..

ثم قال: ألفت أنظارهم إلى أنه قد انتهى عصر التقاطع الذي كان يسمح بالتراشق بالتُّهم، وجاء عصر التواصل الذي لا يسمح بمرور الكلمة إلاّ عبر الأضواء الكاشفة..

إن المؤلِّف أعرض عن كل هذا، عن قول الله عز وجل وعن لفت النظر الذي أرسله السيِّد الشيرازي، من خلال هذا البيان ورفض أن تمر الكلمة إلاّ مِن خلال الدّياجير المظلمة ورفض إلاّ أنْ يشهر السيف على الذي يلقي إليه السلام!!..

كان ينبغي على صاحبنا، أن يكون أكثر تفهُّماً للأقوال التي يتوكّأ عليها في تجنِّيه، فيعلم أن التعريفات التي جاءت على لسان الغزالي، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، هي تعريفات عامة، يتدرج في لفائفها كل مسلم، وهي الإيمان بالله، والإيمان برسوله، والإيمان باليوم الآخر، وكل ما عدا هذا، فهو فروع..

ويأتي حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي، فيقول:

وأعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلا..

وقد توافق الغزالي، وآل كاشف الغطاء على تحديد إسلام المرء بأركان ثلاثة:

١ ـ التوحيد. ٢ ـ النبوة. ٣ ـ المعاد.

وبما أن الإيمان بالله يعني الركن الأول، والإيمان برسوله يعني الركن الثاني، والإيمان بالمعاد يعني الركن الثالث، وهذه باتفاق علماء السنة والشيعة كما هو واضح من الكلام الذي تقدم، وما خرج العلويون عن كونهم طائفة مسلمة تنتمي إلى الشيعة صرحت عن اعتقادها بكتاب جرى توزيعه في العالم الإسلامي جميعه دفعاً لكلِّ تخرّص يجيء به كاتب من هنا ومرتزق من هناك.

ولن يستطيع صاحبنا المؤلف بمحاولاته الفاشلة أن يثبت أن العلويين،

أو النصيريّة ـ كما يريد أن يسمّيهم ـ لا يؤمنون بهذه الأركان، لا في ماضيهم، ـ ولو رجع إلى محمَّد بن نصير ـ ولا في حاضرهم، وبعد أن سموا علويين. .

وهو عاجز عن إثبات كونهم ينكرونها أو يكفرون بها، ولو استعان على ذلك بالباطل وأهله في التاريخ. .

وأظُنّه عندما يعود إلى صوابه سيرى أن الخطورة التي يتصوَّرها في العلويين على الإسلام هي من أوهامِهِ التي يتخبَّط بها. .

ومؤسف جداً أن نراه جنَّد كل ما لديه من إمكانات أدبيَّة وتاريخيَّة، في سبيل تنفيذ حكم جائر، أصدره مُفْتون أغبياء ومؤرِّخون مهووسون، على طائفة من شيعته، بحجة أنها تقول بالحلول، والتناسخ والتأويل، هذه المطاعن الثلاثة:

لأنَّ الحلول: ـ كما يقول ـ إنكار لِلْألوهيّة، وإفساد للنبوّة. وإنَّ التأويل: أفساد للوحي الإلهي. وإن التناسخ: إنكار للحياة الأخرى. ولا ندري من أين استنبط هذا المؤلف كل هذه (الإفسادات) المزعومة، إذا لم يكن استنبطها من فساد عقله وضميره. .

غاية صاحبنا واضحة في هذا الجنون الفقهي، فهو يرمي من وراء ذلك كلِّه إلى أن القول بالحلول والتناسخ والتأويل مبطل للإيمان بالتوحيد، والنبوّة، والمعاد، الأركان الثلاثة التي يجتمع فيها المسلمون كلّ المسلمين، ولكنَّه نسي أنه بهذا أخرج كل الفكر الإسلامي من دائرة هذه الأركان. .

كنَّا قدَّمنا، وتقدم معنا مناقشة هذه الأقوال الثلاثة، وأشرنا إلى أنَّ هذه الأقوال لا ينفرد بها الغلاة، وإنما يقول بها أكبر رجالات الفكر الإسلامي، ومنهم الغزالي، وابن عربي، وابن الفارض، وعبد الغني النابلسي، وغيرهم وغيرهم، وأن جمهور الشيعة كلّه يقول بالتأويل، فبماذا يحكم صاحبنا على هؤلاء!!. .

هل يحكم بأنّ أقوالهم أفسدت الأركان الثلاثة، أم زادتها قوة ورسوخاً في إحياء الناس..

ويخلص المؤلف في هذا الباب ليجد في سعد القميّ المتوفي سنة (٣٠١ هجرية) مُنَفِّذاً للحكم بتكفير العلويين الذين يعيشون معه في المئة الرابعة بعد الألف..

وغريب أنَّ كلَّ الأحكام، تسقط بتقادم العهد، إلاَّ هذا الحكم ضد العلويين الصادر منذ أكثر من ألف سنة فهو يتجدَّد دائِماً طبقاً لرغبات الأشخاص، وأهل الأغراض ويطلب تنفيذه من دوائر مظلمة معيَّنة..

إنَّه يتخذ من هذا الحكم وسيلة لإقناع القارىء البسيط من جمهور المسلمين، ولإدخال الريبة في نفسه بعقائد هؤلاء القوم؟!..

وينشرح صدره للنوبختي في (فرق الشيعة) وهو يتحدث عن ابن نصير، بما تحدَّث عنه القمي تماماً، وحتى لا يكون القميُّ موضع استرابة عمد إلى تعريفه للقارىء بما يلي، قال:

سعد القمي من كبار محدِّثي الشيعة الإمامية وأقواله معتمدة لدى علماء الفرقة، لقي الإمام الحسن العسكري وعاصر محمد بن نصير، وألَمَّ بنشأة النصيرية..

وأحال القارىء على ترجمته في مطلع كتاب (المقالات والفرق) بقلم محقِّقِهِ الدكتور محمد جواد مشكور..

ونحن قبل أن نحيل القارىء إلى مطلع كتاب (المقالات والفرق) ندلي هنا بترجمته الَّتي جاءت في كتاب (الإحتجاج) لأِبي منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري، وقد وضع تعليقاته وملاحظاته عليه السيد محمد باقر الموسوي، جاءت ترجمة سعد بهذا الكتاب كما يلي:

سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي: ـ

قال الشيخ في باب أصحاب العسكري (ع) ص ٤٣١: وعاصره (عليه السلام) ولم أعلم أنه روى عنه...

وقال العلاّمة في القسم الأول من الخلاصة ص ٧٨: يُكنّى أبا القاسم، جليل القدر، واسع الأخبار، كثير التصانيف، ثقة، شيخ هذه الطائفة وفقيهها، ووجيهاً، ولقي مولانا أبا محمد العسكري (ع)..

قال النجاشي: ورأيتُ بعض أصحابنا يُضعّفون لقاءه لأبي محمد، ويقولون: هذه حكاية موضوعة عليه، والله أعلم، توفي سعد سنة ٣٠١ هجرية، وقيل سنة ٢٩٩ هجرية.

هنا في هذه الترجمة خبران يتناقضان مع ما يريد صاحبنا المؤلف أن يبرز فيه سعد القميّ، كمحدِّث كبير، وأقواله معتمدة وأنه لقي الإمام الحسن العسكري (ع)..

الخبر الأول، قول الشيخ: أنه لا يعلم أنه ـ أي سعد ـ روى عنه، أي عن الإمام..

الخبر الثاني، قول النجاشي: رأيتُ بعض أصحابنا يضعّفون لقاءه لأبي محمد، ويقولون: هذه حكاية موضوعة عليه...

فإذا كان الشكُّ بهذا المحدِّث الثقة ورد عن طريقين وترجح أن لقاءه لأبي محمد حكاية موضوعة..

فهل يجوز بعد ذلك أنْ يُتّخذ هذا الثقة حجة في الحكم على آخرين أكثر منه أصالة وأصدق منه خبراً؟، وإليك أيُّها القارىء الكريم حكاية سعد القميِّ الّتي يحتجّ بها المؤلف على هذه الفرقة المؤمنة، قال والكلام لسعد:

شَذَّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوّة

رجل، يُقال له محمد بن نصير النميري، كان يَدَّعي أنه نبيّ رسول، وأن علي بن محمد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالرُّبوبيّة، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً. . .

هذه هي حكاية سعد القميّ عن ابن نصير، وأننا نعرضها أمام الخبر الوارد في (الإحتجاج) ليرى القارىء أن المؤلِّف أراد شيئاً غير التاريخ فأبى التاريخ إلا أن يفضح مزاعِمه وخزاياه. .

جاء في حاشية الطبرسي عن محمد بن نصير ما يلي، قال:

قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد، قال: كان محمد بن نصير النميري، من أصحاب أبي محمد، الحسن بن علي (عليهما السلام)، فلما توفي أبو محمد ادَّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزَّمان وادَّعى له البابيّة، فماذا يُستفاد من رواية ابن نوح هذه؟!. .

أليس يبدو جليّاً أن ابن نصير كان من أصحاب أبي محمد الحسن (عليهما السلام) وأن الخلاف على البابيّة حصل بعد وفاة أبي محمد، وكان خلافاً بين ابن نصير وأبي جعفر على البابية عند محمد بن الحسن (القائم) وليس على بابية أبي محمد، في حين أن صاحبنا المؤلِّف ينسب ادِّعاء البابية والربوبيّة وغيرها من المنسوبات بهتاناً، كان ذلك في عهد أبي محمد الحسن، ولما كانت هذه الروايات حول ابن نصير متضاربة فمن حقِّنا أن نرفض الأخذ برأي القميّ لوقوع الشبُهات عليه وتضعيف ما روي عنه ونُسب إليه؟!. .

يتبيَّن من كل ما مرَّ أن رواية هذا المحدّث الكبير المعتمد عند السيد عبد الحسين غير معتمدة عند الشيعة الإمامية، وأن حديثه غير موثق، وكنا نتمنَّى على هذا المؤلف أن لا يجعل من هذه الثقة أبا هريرة جديد وإذا سلَّمنا برأي آخرين من الرواة، ولقي الإمام العسكري كما يقول المؤلف، فهل جاء في معتمد أقواله أن العسكري أبلغه شيئاً عن ابن نصير يستند عليه في معلوماته هذه ليكون الأخذ بها قائماً على حجة مقبولة؟!. .

ويشير المؤلف في ترجمة هذا المحدِّث الكبير، أنه عاصر ابن نصير!! فهل تعني هذه المعاصرة، أنه يعرفه وكان يجتمع به ويستمع إلى آرائه، أم أن هذه المعاصرة تعني أنه عاش في عصره وحسب؟!..

إنَّ المعاصرة تشمل جيلاً كاملاً من الناس، أما المعاشرة فإنها تقتصر على أشخاص معيّنين..

فإذا أخذنا هذه المعاصرة بمعنى المعاشرة والمعرفة، فهل قال، إن ابن نصير، صرّح له بشيء مما عزاه إليه أو حاوره بشيءٍ من ذلك؟؟!..

وإذا كان عنده إلمام بنشأة النصيرية ـ كما يقول صاحبنا ـ فأين هو هذا الإلمام؟! إذا كان مقصوراً على المطاعن الرخيصة، والمعلومات الشائنة السفيهة؟!..

ونُلاحظ ويُلاحظ معنا القارىء: أنَّ إلمام هذا المحدِّث الكبير، قد انحصر ـ كما قلنا آنفاً ـ في تعيين أقوال يصمُ بها ابن نصير، كادِّعائه النبوّة والرسالة بأمرٍ من علي بن محمد العسكري!!..

وكالقول بالتناسخ، وكالغلوِّ في أبي الحسن، وأخيراً بإباحة المحارم، كتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً.. وأن فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد شذَّت باتّباعها هذا الرجل...

يسوق هذه المعلومات على أنها حصلت كلها في حياة الإمام!! ولو علم هذا المحدِّث الكبير ما يترتَّب على أقواله هذه من إساءة إلى الإمام بالذَّات لرفض أن يتحدّث بها.. وغريب في أقواله هذه أن يجمع بين الغلو في أبي الحسن وبين إباحة المحارم فيما وصف به ابن نصير!!..

فهل يعني أنَّ الغلوّ في أبي الحسن عند المحدِّث القميِّ يؤدي إلى إباحة المحارم؟!!

ومن الكبير على عبد الحسين، أن لا يعلم أن القول بالإمامة معناه

الإعتراف والتصديق بها، وأن الإعتراف والتصديق بها، يعني قبول اجتهادها وآدابها؟!..

فكيف تصحّ نسبة الشُّذوذ لهذه الفرقة التي حافظت على ولائها الكبير للإمام حتى الآن، وحافظت على التمسك بآدابه وآداب آبائه (عليهم السلام)..

وكبيرٌ على هذا الأشعريّ، وعلى من اعتمد أقواله تصديق هذه الأقوال المشينة عن ابن نصير وعن أتباعه، ما دام كان الإمام لا يزال بينهم، وعنه يأخذون أن ادّعاء النبوة والرسالة لم يرد إلا على لسان سعد، وبلا سند، وأغفله باقي المؤرِّخين!! ولو كان صحيحاً، لما أغفلوه!!..

بالإضافة إلى أن كُتُب النصيرية، وقد اطّلع المؤلف على كثير منها ـ كما يقول ـ لا تشير إلى ذلك بمختلف مظانّها ومصادرها!!..

وأن ما نُسِبَ إلى ابن نصير من القبائح ـ اعتماداً على سعد ـ فهو مرفوض جملةً وتفصيلاً، ولا يقصد به إلا التشهير الرخيص الذي لا يليق إسناده بهذا المحدث، الثقة!!.. إذا صحّ أنه ثقة..

وربّما أُريد بهذه الأقوال زعزعة الثّقة في ابن نصير لتقليل أتباعه، وصرفهم عنه بحجَّة اتِّهامه بفساد الأخلاق، لأنّه لا يُعقل أن تقبل أية فرقة من الفرق القائلة بإمامة العسكري بإباحة المحارم والعياذ بالله، وبالأخص على هذا الشكل القبيح.. وممّا يضاعف الإقبال على رفضها، والإشتباه بمروِّجها ادّعاء حصولها في عهد الإمام (عليه السلام)..

ولما كان أصبح جليّاً، أن الأقوال التي استند عليها المؤلف غير مستلهمة من نفوسٍ صافية، وغير صادرةٍ عن مظان تحمل القارىء على الثقة بها، فإنّنا نعيذ العقلاء من إخواننا الشيعة أن يعتمدوا من الأقوال غير المستلهمة من ضمائر المؤرِّخين المنصفين وغير المستوحاة من الأفكار الواعية المحقَّة، ونَرْبأ بهم أن يتراكنوا إلى معلومات لا تمليها ضمائر مخلصة للإسلام أولاً وللتشيُّع ثانياً، وإنما تمليها عوامل حاقدة ومفرقة وهدّامة، تعمل بوحي من أعداء

الإسلام وأعداء التشيُّع في آن واحد منطلقة من هدف (هَلَك فيَّ اثنان) هذا الشِّعار الذي لم يبقَ للنّجاة إلا واحداً من المسلمين. .

هلك فيَّ اثنان وإشكالاتها:

واستتباعاً لهذا البحث لا بدّ وأن نشير إلى أول حكم صدر بموضوع الغلوّ عن الإمام أبي الحسن (ع) عندما بلغه اختصام المسلمين به، فأطلق قولته المشهورة: «هلك فيَّ اثنان محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ»، هذه المقولة التي يتذرع بها المعتدلون ضدّ الغُلاة أكثر ممّا يتذرّعون بها ضدّ القالين، متشبثين بالمحدود الضيّق من فهمها وها نحن نعرض لها في هذا البحث لإزالة المغاليق التي أحكمت حولها. .

ابن أبي الحديد شارح النهج، رواها في شرحه على هذا الشكل: «هلكَ فِيَّ رجلان، محبٌّ غالٍ ومبغضٌ قالٍ»، قال: قال رسول الله (ص): «لولا أني أشفق أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالته النّصارى في ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً، لا تمرّ بواحد إلاّ أخذ التراب من تحت قدميك للبركة»، هذا ما أورده ابن أبي الحديد وهو يتحدَّث عن هذه العبارة، أن عبارة الإمام (ع) جاءت تفسيراً لعبارة الرسول (ص)، فكأنّه يقول بسبب هذا الذي تريد أن تقوله فيَّ هلك في المحبّ الغالي والمبغض القالي، والذي يؤخذ من كلمة الرسول (ص) أنه كان يعلم أن أمّته ستؤول إلى طوائف وهو الذي يدعو إلى التوحيد عقيدةً وأُمّةً. .

وبحثتُ عن تفسير (هَلَكَ) فلم أجد لها هذا المعنى الخارق الذي يخرج الغالي عن مضمون الولاية والإقرار ويجعلها مساوية في مقارنتها بحدود الكفر والإنكار وهيهات أن يكون الإقرار والإنكار بمنزلة واحدة. .

القاموس يفسر الهلاك: يعني الموت، وعلى هذا التفسير يكون معنى هلك فيَّ محبٌّ غالٍ، لا يعني كفر، وإنما ينصرف معناها إلى أن المحب الغالي

رضيَ أنْ يموت مصرّاً على حبّه وموالاته، كما رضي المبغض القالي أن يموت مصرّاً على بغضِهِ وكراهيَّتِهِ..

الهلاك ومعناه في القرآن:

جاء في سورة النساء: ﴿**يستفتونك، قلِ الله يفتيكم في الكلالة، إن امرءٌ هلك ليس له ولدٌ وله أخت..**﴾ الآية، جاء في التفسير هَلَكَ أي مات..

وجاء في سورة المائدة: ﴿**قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح آبن مريم وأمه**﴾ أي يُميت..

وجاء في سورة غافر: ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شكٍّ مما جاءكم به، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً..**﴾..

وجاء في سورة الأنفال: ﴿**ليهلك من هَلَكَ عن بيّنةٍ ويحيى من حَيَّ عن بيّنةٍ**﴾، يعني يموت من يموت ويحيى من يحيى عن بينة..

وجاء في سورة يوسف: ﴿**قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين**﴾ أي الموتى..

إن التفسير في كل كلمات الهلاك الواردة في القرآن لم تخرج عن معنى الموت سواء أكانت بحقّ الناس أو بحق الأنبياء ولم نجد لها أي معنى من معاني الكفر، ولا ندري لماذا أخذت كل هذا البعد عند إخواننا الشيعة في كلمة الإمام وأُعطيت هذا التفسير الذي يجعل مُحبَّه ومُبغضه في درجة واحدة، حتى أصبحت (كلمة هلك فيَّ اثنان) مستنداً للتكفير والخروج من الإسلام ولكن ليس لمبغضيه وإنما لمحبيه[1]!!.

---

(١) جاء في كتب الغيبة الكبرى للسيد محمد صدر: أخرج النعماني عن محمد مسلم الثقفي عن الباقر أبي جعفر (ع)، أنه سمعه يقول: إن للقائم غيبتين، يُقال في

مأثورات وأقوال محرِّضة للغلوّ:

نقل صاحب كتاب (التشيع والتصوُّف) عن كتاب (طرائق الحقائق) قال، قال سلمان في علي: لو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين (ع) لقالت طائفة منكم: هو مجنون وقالت أخرى: اللهم اغفر لقاتل سلمان، وجاء في الكتاب نفسه: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله»...

ونقل عن زيد بن حارثة بروايته عن رسول الله (ص) أنه قال: قال رسول الله (ص): إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله، وعلي بن أبي طالب، وإنَّ علي بن أبي طالب هو أفضل لكم من كتاب الله لأِنه يترجمه لكم أي يترجم كتاب الله...

فإذا كان علي بن أبي طالب أفضل للنَّاس من كتاب الله، فماذا بقي للقرآن الذي هو كلام الله، وإذا كان القرآن بحاجة إلى مترجمين بعد نصاعة بيانه فماذا تنفعنا تلاوته بيننا وبين أنفسنا، أليس معنى هذا أنَّ في القرآن أشياء فوق احتمالات الظاهر منه، نحن بحاجة إلى معرفتها؟؟. وإلاَّ فأي حاجة للترجمة وهو عربيٌّ مبين..

ولماذا استندت مهمة الترجمة إلى علي من قِبَلِ من كان يتلقَّاه من حكيم حميد؟؟. أليس الرسول (ص) كان أولى بها؟؟..

وقد جاء في كلام الإمام (ع) بحق الغُلاة ما ينفي التصوُّر القائم الذي يذهب إليه الناس في كلمته الأولى: هَلكَ فيَّ رجلان، من ذلك ما ورد في نهج البلاغة من قوله: «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي»..

= أحدهما: هلك ولا يدري في أي وادٍ سلك.. فهل تنصرف كلمة (هلك) هنا إلى معنى الكفر..

وجاءت في كتاب إرشاد القلوب بتعبير آخر كما يلي:

روي عن الشيخ المفيد (ره) عن الأصبغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين (ع) في نفر من الشيعة، وكنت فيهم، فجعل ـ يعني الحارث ـ يتأود في مشيتِهِ، ويخطُّ الأرض بمحْجَنَتِهِ وكان مريضاً، فأقبل على أمير المؤمنين، وكانت له منه منزلة، فقال أمير المؤمنين (ع) كيفَ تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين، وأرداني عليلاً اختصام شيعتك ببابك!! فقال: وفيمَ خصومتهم؟ قال: في شأنِكَ والبَلِيَّةُ من قبلك، فمن مفرط غالٍ ومن مقتصد قالٍ ومن متردِّد مرتاب لا يدري أيقدم أو يحجم؟ فقال: حسبك الله يا أخا همدان، ألا أنَّ خير شيعتي النمط الأوسط إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، قال: لو كشفت ـ فداك أبي وأمي ـ الريب عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا؟ فقال: فإنَّهُ أمرٌ ملموسٌ عليك، إن دين الله لا يعرف بالرِّجال بل بآية الحق، واعرف الحقّ تعرف أهله»، انتهى.

عند استعراض هذين النصَّيْن يقتضينا الموقف أن نتأمّل كيف ورد النصّ الأول في نهج البلاغة «نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي»، مشيراً به إلى نفسه وإلى أهل بيته باعتبار أنَّه قال: نحن، وقال يرجع الغالي إليها ولم يقل يرتحل عنها، وكيف ورد النصّ الثاني برواية الشيخ المفيد «ألا أنَّ خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق القالي» مشيراً به إلى شيعته، لا إلى نفسه، وأهل بيته، ونسأل أيُّ النصَّيْن أولى بالإعتبار؟؟..

وتأمل، فإنه لم يقل: يرجع الغالي إلى الكفر، وإنما قال: يرجع إليه، وهيهات أن يرجع الكافر به إليه..

وتأمّل جوابه لأِخي همدان عندما شكى إليه اختصام الشيعة ببابه، وانقسامهم إلى مفرِّط ومقتصد، وقوله له بعد الحاجة على الكشف: إنَّ دين الله لا يُعرف بالرجال، بل بآية الحق واعرف الحق تعرف أهله.

وتأمّل، فهل في كلمة أمير المؤمنين الأخيرة: نحن النمرقة الوسطى، ما يتلاءم مع كلمته الأولى (هلك فيَّ اثنان؟؟) وهل تنصرف بمفهومها إلى قذف الغلاة خارج حظيرة الولاية أم تترك لهم نافذة يطلُّون منها على دنْيا الإسلام والولاية؟؟..

وتعجب من اتِّخاذ كلمة (هلك) بحقِّ الغُلاة يعني الكفر والمصير الجهنميّ، وكيف إنها بحق يوسف بن يعقوب وبحق أبيه يعقوب ترك لها معنى الموت فقط، والكلمة واحدة لم تتغير لفظاً ولا كتابةً[1]..

ومن غرائب ما نحن فيه، أن ينقلوا عن أمير المؤمنين غلوّه في نفسه، ويستنكرون الأخذ بهذا الغلوّ عند آخرين، ويتمحّلون له التفسير المغالط الذي يذهب بعيداً عن القصد في القول.. جاء في كتاب الإختصاص للشيخ المفيد ص ١٦٣:

روي أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة، فقالوا له: حدِّثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويْحَكُمْ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلى العالمون، فقالوا: لا بدَّ من أن تحدّثنا، قال: قوموا بنا، ندخل الدار، فقال: أنا الذي علوتُ فقهرتُ، أنا الذي أُحيي وأحييتُ، أنا الأول والآخر، والظاهر والباطن، فغضبوا وقالوا، كفر، وقاموا، فقال علي صلوات الله عليه للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أَقُلْ لكم: إن كلامي صعبٌ مستصعبٌ لا يعقله إلا العالمون..

إنَّ لهذا الحديث تتمة من التفسير المغالِط الذي هدَّاً به أمير المؤمنين

---

(١) الغريب أن بعضهم حتى في هذا العصر يفسر كلمة (هلك) بمعنى (كفر) ومنهم الأستاذ علي سليمان يحفوفي في كتاب (الرسل والرجالات) ولا ندري من أين جاؤوا بهذا التفسير الذي لم يرد في معاجم اللغة.

ثائرة هؤلاء الجماعة الذين أصرُّوا على استماع حديثه رغم إفهامه إيَّاهم أن كلامه لا يعقله إلا العالِمون. .

ونتساءل في هذا الموقف، هل كان طلب الجماعة منه (ع) أن يحدِّثهم عن نفسه أم عن أمور أخرى؟؟. .

ويبدو من قوله لهم: قوموا بنا، ودخوله الدَّار، أن الحديث المطلوب، كان يتعلق بالأمور الخاصة به، وإلا فماذا عليه لو حدَّثهم بالمسجد. .

وماذا تعني غضبتهم منه واتِّهامهم إيَّاه بالكفر، وقيامهم من مجلسه؟؟. حين أفضى إليهم وإنكار ذلك عليه. . ولكنَّه حين قال للباب استمسك، فاستمسك أذعنوا وسلّموا لأنَّ الذي يذْعن خشب الباب لإرادته لا تعجزه الأشياء الأخرى ويستحقّ أن يقول به السيد الحميري:

يمحـــوا ويثبــتُ مــا يشــاء وعنــده   علم الكتاب، وعلمُ ما لم يكتب

وعلى كلٍّ فمن سياق الحديث يتبيَّن أنه (عليه السلام) لم يكن خافياً عليه ما ظهر له منهم، ولكنَّه استجاب لإصرارهم على الحديث ليؤكِّد لهم مصداقية قوله: «إن كلامي صعب مستصعبٌ لا يعقله إلا العالمون»، وليقنعهم أنهم ليسوا من أولئك. .

وبعد هذا فليسامح الله مفكِّري موالي أمير المؤمنين، فإنهم لا يعلمون. .

وممّا يتوافق مع ما أسلفنا نقله عن كتاب الإختصاص هذا القول الذي جاء في بعض خطب أمير المؤمنين (ع) وكأنَّه يخاطب به الجماعة الذين دخلوا عليه المسجد، قال (ع): «والله لو شئتُ أنْ أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ، ولكن أخاف أن تكفروا في رسول الله (ص) ألا وإني مفضيه إلى الخاصَّة مِمَّن يؤمن ذلك منه». .

إنه (ع) خاف على هؤلاء الذين يخاطبهم أن يتعرضوا للحالة التي تتعرض لها جماعة المسجد فأمسك عن الكلام بموضوع الغيْبات التي تتعلق بهم،

ولكن بقيتْ هناك عبارة لا بدَّ من الوقوف عندها، وهي عبارة «ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصَّة مِمَّن يؤمَن ذلك منه» فماذا تعني كلمة (الخاصّة) وهل كان له خاصة بين شيعته تختلف عن العامة (خاصَّةً) يفضي لها، و(عامة) يحجب عنها، إن هذا لأَمْر مُرْتَج . .

أمير المؤمنين (ع) يقول: إنه يعلم الغيب ويقول: سلوني عن أسرار الغيوب وبعضهم ينفي ذلك عنه على لسان صاحب الزمان[1]؟؟ . .

* * *

(١) يقول المحقق: لا منافاة على الإطلاق، فكِلا الحديثين صحيح لأنَّ الغيب الذي صحَّ روايته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس من عندياته وإنما هو يخبر عن عن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله، أولسنا روينا عن الإمام (ع) أنه قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله، من العلم ألف باب من كل باب يفتح لي ألف باب»، وأما ما روي عن صاحب الزمان المهدي المنتظر، عجل الله فرجه، فهو حق، وروي الكثير منه عن جدّه الإمام جعفر الصادق (ع) حتى قال الصادق (ع): «لعن الله من زعم عنا أنا نعلم الغيب»، وفي الحديث الصحيح عن الرِّضا (ع) أن رجلاً من شيعته رآه في المنام، فسأله، قال: يا ابن رسول الله، كم أعيش من العمر، فأشار إليه (ع) بأصابع كفه الخمس، فلم يعلم فجاءه في اليوم الثاني وقصَّ عليه الرؤيا، فقال (ع): أحلتك إلى القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث،ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس بأيّ أرضٍ تموت وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾.

العلويون
شيعة أهل البيت (ع)

بيان عن عقيدة العلويين أصدره الأفاضل من رجال الدين المسلمين (العلويين) في الجمهوريتين السورية واللبنانية

شهادة المرحوم العلامة
السيد حسن مهدي الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِوليّه، والصلاة والسلام على نبيّه، والأطهار من عترته.

وبعـــد:

لقد وفّقني الله تعالى لزيارة إخواننا المسلمين (العلويّين) في الجمهورية العربيّة السوريّة من ٣ ـ ٧ شعبان ١٣٩٢هـ، ثم زرتُ إخواننا المسلمين (العلويين) في طرابلس ـ لبنان، وذلك على رأس وفد من العلماء بأمر من سماحة الإمام المجدِّد المرجع الدينيّ أخي: السيد محمَّد الشيرازي ـ دام ظله ـ فالتقيتُ بجماعة من أفاضل علمائهم، ومثقَّفيهم، وبجموع من أبناء المُدُن والقُرى في جوامعهم ومجامعهم، وتبادلنا معهم الخطب والأحاديث، فوجدتُهم ـ كما كان ظنّي بهم ـ من شيعة أهل البيت الَّذين يتمتعون بصفاء الإخلاص، وبراءة الإلتزام بالحق.

وهذا البيان الذي أجمع عليه الأفاضل من علمائهم، خبر يصدِّق الخبر، فمن خلاله يرفع أخواننا المسلمون (العلويون) رؤوسهم فوق ما تبقَّى من ضباب الطائفيّة نيقولوا كلمتهم عالية مدوّيّة: إننا كما نقول، لا كما يقول عنا المتقولون.

هذا البيان الذي يقدِّمه إلى الرأي العام أصحاب الفضيلة من شيوخهم هو واضح وصريح لأداء دلالتين:

الأولى: إن العلويين هم شيعة ينتمون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، كسائر الشيعة الذين يرتفع انتماؤهم العقيدي إلى الإمام علي (ع) وبعضهم يرتفع إليه انتماؤه النسبيّ أيضاً.

الثانية: إن (العلويين) و(الشيعة) كلمتان مترادفتان مثل كلمتي (الإمامية) و(الجعفرية)، فكل شيعي هو علويّ العقيدةِ، وكل علويّ هو شيعيّ المذهب.

وأودُّ هنا ـ كأي مسلم له حق الحِسبة ـ أن أُلفت أنظار الذين يهملون قول الله تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن ألْقى إليكم السلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾**[1]، أُلفت أنظارهم، إلى أنه قد انتهى عصر التقاطع الذي لا يسمح بمرور الكلمة إلا عبر الأضواء الكاشفة.

وأسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين كافة على ما فيه خيرهم ورضاه تعالى، إنه وليُّ التوفيق..

حسن مهدي الشيرازي

لبنان ـ بيروت

١١ ذي القعدة الحرام، ١٣٩٢هـ

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.

رأي العلامة المنصف المفتي الجعفريّ الممتاز
الشيخ عبد الأمير قبلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله على نبيّه محمَّد وعلى آله الميامين الذين أذهب عنهم الرجس، وطهَّرهم تطهيراً، وجعل كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى.

إنّ مرض الأمة ومصابها الوحيد هو تفرُّق جمعها وتشتُّت شملها، وهذا ما يحزُّ في النفس ويزيد من ألم الجرح، ولهذا نرى أمتنا الكريمة تتقلب في أحضان الجهل والتخلُّف، وتتجرع وجبات الهزيمة والإنكسار. .

وكأنَّ هذه الأمّة غريبة عن تعاليم دينهاوعن كتاب ربها، الذي يقول: ﴿كُنتُم خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾، تلك أمة قد طبَّقت نظام العدل وملأت الدّنيا إيماناً وعِلماً ونوراً، وأنَّ من أهم الأسس التي بُنِيَ عليها قانون العدل وتطبيق أحكام الله، كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وأن التخلُّف والتدهور والإنحطاط الذي أصاب أمتنا الإسلامية العظيمة بعد ذلك العمران والإزدهار ـ والتقدّم ـ فقدان وغياب الأسس الأساسيّة والصحيحة التي بني عليها أساس الدعوة، وهما كلمتا التوحيد وتوحيد الكلمة.

فالفرقة والتجزئة وكثرة الأهواء والأراء التي لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة، فهي من أهمّ عوامل وأسباب هذه الحالة المحزِنَة التي تعيشها أمتنا المنكوبة، وأن هذا التفرق هو بسبب عدم التركيز على كلمة التوحيد وما يحتويه مغزاها ومدلولها، ولا نذيع سرّاً إذا قلنا: بأنّ أعداء الأمة من الداخل والخارج قد لعبوا أبشع الأدوار وأحقرها في تفتيت وحدة الصفّ وتمزيق شمل الأمة وإثارة النّعرات الخبيثة المختلفة بين صفوفها وتلفيق الإتّهامات الكاذبة وبثّ الدّعايات المسمومة زوراً وبهتاناً لتحقيقِ أهدافهم المنحطّة وأغراضهم الدّنيئة.

فما أحرانا اليوم وبعد أن تنبّهنا لِخُطط الأعداء وأهدافهم أن نبذل غاية الجهد وخالص النيّة لنجمع كلمتنا ونوحّد صفّنا ونعيد إلى أمتنا سابق عزّها وسالف مجدِها وكرامتها وتقدُّمها، حتّى نُفوّت على الإنتهازيِّينَ مخطَّطاتهم الدنيئة وألاعيبهم الملتوية...

وإيماناً مِنّا بقدسيّة الهدف وإخلاصاً للغاية الّتي ندعو إليها ونعمل من أجلها، قرّرنا نشرَ وتعْميم هذا البيان الإسلامي الواضح، وهذا النّداء الإيماني الخالص لجمهرة من أفاضل إخواننا وأهلنا العُلماء العلويِّين، لغرض إزالة الشُّبهات العالقة في أذهان العامّة بالنِّسبة لعقيدة العلويِّين ومذهبهم، ولتعريف أبناء الأمّة بمضمون التصريح الصّادق بأنّ هذه الطائفة الكريمة لا تختلف عن بقية الطّوائف الإسلامية في المعتقد والمبدأ الأساس، بل هي شيعيّة المذهب بكل معنى الكلمة، وكما أنّ الطائفة العلوية شيعية المذهب، فإن الشيعة الإمامية علويّو الهُدى والمشرب، فكل منهما جناح مكين لهذا المذهب الإسلامي الأصيل، فلا فرق بينهما إلاّ ما صنعته الأيدي الآثمة والمنحرفة المغرضة..

وكان لسماحة الإمام السيد موسى الصّدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، واستمراراً لدوره المميّز الخالص في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم، الفضل الأكبر في تفهُّم كُلّ ما يعاني منه المسلمون، فبادَرَ

سماحته إلى تعيين المفتي العلوي الجعفري لمدينة طرابلس فضيلة الشيخ علي منصور لتأكيد هذه الوحدة المذهبيّة ولكسر طوق العزلة الذي فرضه الأعداء والمنحرفون عل الأخوة العلويّين، ودار الإفتاء الجعفريّ استجابَةً منها للمسؤولية الإسلامية تقدِّم هذا البيان الموضّح لعقيدة العلويين راجية من الله تعالى أن يحقق به الغرض المرجوّ ويجْمع الكلمة على الحق عملاً بالآية الكريمة: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

المفتي الجعفري الممتاز

عبد الأمير قبلان

نـص البيان

﴿هذا بلاغٌ للناس ولِيُنذَروا به وليعلموا أنما هو إلَهٌ واحد وليذَّكَّرَ أولوا الألباب﴾[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه، نستعينُ به ونَستهديه، ونؤمن به ونتوكّل عليه، والصَّلاة والسلام على محمَّد بن عبد الله سيِّد النبيِّين وخاتمَ المرسلين، وأزكى سلامه على سادتنا الأئمة الهُداة المهديين الذين أذهبَ الله عنهم الرِّجس وطهَّرهم تطهيراً.

أما بعد: فإنّ أكثر ما يفرِّق بين الناس جهلهم بحقيقة بعضهم البعض، واتّباعهم لما تزيِّن لهم أهواؤهم، واعتمادهم في التحدُّث عن سواهم على الأقاويل دون تمحيص أو تثبُّت، وهذا الجهل المفرِّق بين الناس أعطى تأثيره السيىء في الماضي والحاضر:

١ ـ في الماضي:

جعل الناس يتراشقون بالتُّهم أبان التخاصم السياسي، فكان كل فريق يسجِّل على الآخر ما يتَّهِمه به في دينِهِ ودُنْياه..

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٥٢.

٢ ـ في الحاضر:

لا يزال المتزمّتون والمغرِضون يتناقلون التُّهم المسجَّلة في الماضي على أنها حقائق تاريخيَّة، ويروِّجها أعداء العرب والمسلمين من يهود وغيرهم، حتى لتكاد تقطع كلَّ صلةِ رحم دينيَّة، إن لم تكن قطعتها.

والعرب والمسلمون اليوم ـ في محنتهم السياسية، وفي يقظتهم الحاضرة ـ مدعوون أكثر من أي وقتٍ مضى إلى تمحيص تلك التُّهم ونَبْذها، وهمْ مدعوون إلى التَّسامح الإسلامي في الخِلافات حول الفروع، وإلى الأخذ بما يقرُّه العقل والدِّين، لا بما يتقوَّله أو يسجله الجهلاء والمغرضون..

ومصلحة جماعات العرب والمسلمين في هذا الظرف الحرِج تقتضي من عُقلاء كلّ جماعة اليقظة والحذر من التشنيع على الغير بما عند جماعتها مثله أو شبيه به.

ولا يخلو أيّ مجتمع من انحرافات دخيلة، صار بسببها عرضةً للتشهير والتَّحامل، والمصلحة كلّ المصلحة في المبادرة إلى إصلاحها والتخلُّص منها، بدلاً من الإستمرار في التشهير بأخطاء الآخرين والتنديد بها.

ولقد كان مجتمعنا، نحن المسلمين العلويِّين، مستهدَفاً لأِقسى أنواع التشنيع في الماضي، ولا تزال النفوس المريضة تَنْبش من الماضي، وتردِّد ما يختلقه أعداء الإسلام والعروبة، لا يردعها دين ولا يثنيها كتاب ولا خُلُق.

وإنّا لنحذِّر ـ والعدو حولنا يتربّص بنا ويكيد ـ والأمم بلغت الأجواء من التَّحامل والتنديد، والله سبحانه أوعد المشنِّعين بأشدِّ العذاب، **﴿إنَّ الَّذين يحبُّون أن تشيع الفاحشةَ في الَّذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾**[1].

وإلى السادرين في الإختلاق والتشهير نتوجه بقوله سبحانه: **﴿يا أيُّها**

---

(١) سورة النور: الآية ١٩.

الَّذين آمنوا لا تكونوا كالَّذين آذوا موسى فبرَّأهُ الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾[1].

وما من خطة للإصلاح أجدى من الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿أدْعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظَةِ الحسنة، وجادِلْهُم بالَّتي هي أحسن، إنَّ ربَّك هو أعلم بمَن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهْتدين﴾[2].

وما من سبيل للقاءِ أجدى من النَّشر والإصلاح والتمحيص فتزول حُجَجِ المفترين وذرائع المغرِضين، وانطلاقاً من هذه المفاهيم القوية، وحفاظاً على الأخوّة الإسلامية، وحرصاً على الحقيقة أن تشوِّهُها النُّفوس السقيمة، كان لعلمائنا مواقف نبيلة في مناسبات اختلقها الأجنبيّ للتفريق بين أبناء الأمَّة الواحدة، ونحن نقتصر هنا على غيض من فيضها على سبيل الإشارة والتذكير لا على سبيل الإحصاء والحصر. .

أ ـ في بداية الإحتلال الفرنسيّ للبلاد السوريّة، وأحداثه «دولة العلويين المستقلّة» قام الأجنبي بمحاولة لئيمة، كما فعل بالمغرب العربي، حيث أثار هناك قضية الظهير المغربي المشهورة، محاولاً فصل البربر عن العرب، بأن يحكم البربر حسب أعرافهم وعاداتهم، لا بموجب الشريعة الإسلامية، وكذلك أراد أن يكون للمحاكم المذهبيّة العلويّة هنا تشريع خاص، مباين للتَّشريع الإسلامي، وقد رفض ذلك قُضاتنا العلويُّون، وأعلنوا بإصرار وقوّة أنهم مسلمون وتشريعهم إسلامي جعفريّ، فتراجع الأجنبي، وحكم قضاتُنا في الزّواج والطّلاق وغيرهما ـ بمقتضى مذهبنا الإسلاميّ الجعفريّ ـ لا زيادة بذلك ولا نقصان، وبهذا أفسدوا على الأجنبي خطّته، التي كان يرمي بها إلى إبعاد

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

هذه المنطقة عامة والمسلمين (العلويين) خاصة، عن حظيرة العروبة والإسلام، ليوطّد فيها حكمه وينفّذ غاياته . .

ب ـ وفي سنة ١٩٣٦ نشر علماؤنا في كرّاس قراراً من بندين:

البند الأول:

(كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة).

البند الثاني:

(كل علوي لا يعترف بإسلاميّته، أن ينكر أن القرآن كتابه وأن محمد (ص) نبيه، لا يعد في نظر الشرع علوياً، ولا يصحّ انتسابه للمسلمين العلويين).

وقد أردفوا هذا بمذكرة إضافية عن عروبتهم ودينهم جاء فيها بالحرف:

(إنَّ العلويين شيعة مسلمون، وقد برْهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم قبول كلّ دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم).

وجاء فيها:

(إنَّ العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وما الإمام عليّ سوى ابن عمِّ الرسول (ص) وصهره ووصيُّه وأول من آمن بالإسلام، ومَن مكانه في الجهاد والفقه والدِّين الإسلاميّ مكانه، وأن القرآن الكريم هو كتاب العلويين).

وجاء فيها:

(وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربيّة التي ناصرت الإمام علياً (ع) فوق صعيد الفرات). .

ج ـ وفي مناسبة أخرى أثارها الأجنبي أيضاً سنة ١٩٣٨، وقع علماؤنا (في ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ) جواباً عن سؤال قُدِّم إليهم، ونكتفي من

الجواب بهذه العبارات ننقلها بالحرف: ﴿إنَّ الدِّين عند الله الإسلام﴾[١]، ﴿ومَن يَبْتَغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٢]. .

(إنَّ مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق والأئمَّة الطَّاهرين (ع)، سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيِّدنا محمّد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يقول: «إنّي تاركٌ فيكم ما أن تمسَّكْتم به لن تضلُّوا بعدي: الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعتْرتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يرِدا عليَّ الحوض». .

هذه هي عقيدتنا نحن العلويين وفي هذا كفاية لقوم يعقلون)[٣]. .

د ـ وفي المناسبة ذاتها أصدر علامة الشعب الشيخ سليمان أحمد، الفتوى التالية، وقد وقَّعها العلاَّمَتان ـ الشيخ صالح ناصر الحكيم، والشيخ عيد ديب الخيِّر):

﴿قولوا آمنّا بالله﴾ ـ آمنّا بالله ـ الآية[٤]، رضيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّد بن عبد الله رسولاً ونبيّاً، وبأمير المؤمنين عليّ إماماً، برئْتُ من كل دين يخالف دين الإسلام، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

هذا ما يقوله كل علويّ لفظاً واعتقاداً، ويؤمن به تقليداً أو اجتهاداً.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) وقد وقع هذا الجواب كل من أصحاب الفضيلة: الشيخ يوسف غزال المفتي في قضاء الحفّة، والشيخ علي حمدان القاضي المذهبيّ في طرطوس، والشيخ كامل صالح ديب، والشيخ عيد ديب الخيِّر، والشيخ صالح ناصر الحكيم، والشيخ يونس حمدان، والشيخ حسن حيدر القاضي المذهبي في اللاذقية، والشيخ علي عبد الحميد المفتي في قضاء جبلة، والشيخ محمد حامد القاضي المذهبي في مصياف. .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

وقد جُمِع أكثر ما كُتب في هذه المناسبة في كُتَيِّب عنوانه (تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله) أصدره صاحب السيادة والفضيلة ذو الشرف المشرق العلاَّمة الشَّريف عبد الله آل الفضل أعزَّه الله، وطبع في مطبعة الإرشاد باللاذقيّة عام ١٣٥٧هـ.

هـ ـ وأخيراً نُسجل الفتوى التالية التي كان قد أصدرهاالعلامة الشيخ سليمان أحمد، منذ ما يزيد على خمسين عاماً، بمناسبة اختلاف إخوانه المشايخ الأجلّاء حول جواز الجمع بين البنت وعمَّتها أو خالتها، وهذه الفتوى هي خاصة بالعلويِّين ولا تقية بينهم، وهي لا تدعْ مجالاً للرِّيَب في تمسُّكهم بالمذهب الجعفريّ وفيها تنبيه من أخذ منهم بالتقيّة إلى العودة إلى الأصل.. وهذا نصّ الفتوى:

(ليس لدى العلويِّين مذهب مستقل للعبادات والأحكام المبيَّنة على معرفة الحلال والحرام، والمعاملات كالمواريث وغيرها، وذلك اعتماداً منهم على المذهب الإماميّ الجعفريّ، الذي هو الأصل، وهم فرع منه، فرجوعهم إليه في أصول الفقه وفروعه هو الواجب الحق الذي لا مندوحة عنه، وهو لم يترك شاردة ولا واردة إلا وذكرها).

(وهذه الصِّلة: وإنْ تكن انقطعت ـ بواسطة السياسة ـ من مئات السنين حتى انتُبه إليها في عصرنا هذا، فقد بقيت من هذه الفروع مسائل يتوارثها الخلف عن السلف تقليداً لاجتهاد سابق، وقد أدركتُ في عصري من المشايخ الأجلّاء مَنْ جمع البنت وعمتها أو البنت وخالتها أيضاً).

(أما الإخوان الَّذين ينكرون ذلك فلا يرجعون فيه إلى أصل يعتمدون عليه إلاّ ما حكمت عليهم به التقيّة، إذْ أخذوا الإرث وآداب الشريعة (أخيراً) على أهل السنّة بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة لهم من أئمَّتهم حسبما يسمح به التأويل).

(وبما أنّنا نعتقد أن ائمتُنا هم هُداتنا وقادتُنا وسبُلنا إلى الله وهم لا

يفارقون الكتاب ولا يفترقون عنه، فيجب علينا الأخذ بحجزهم وترك أقوال من خالفهم من الفقهاء، كائناً من كان، هذا ما أراه، وأقول به وأعتقده، والسلام على من عرف الحق وأهله وكان لله قوله وفعله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم).

وخلال عام ١٩٥٢م، استصدر علماؤنا مرسوماً تشريعياً رقم ٣ في ١٥/٦/٥٢، وقراراً من مفتي الجمهورية السورية رقم ٨ في ٢٧/٩/١٩٥٢م، بعد مناظرات ومناقشات طويلة مع سماحة المفتي العام، ومراجعات استمرّت ٢٠ يوماً في دمشق، وقد تألفت بموجب هذا المرسوم لجنة من أفاضل علمائنا قامت بفحص من تقدَّم إليها من شيوخ جعفريِّين في سوريا، وأجازت بعضهم وسمحت لهم بارتداء الكسوة الدينية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي رقم ٣٣.

ونحنُ اليوم حِرصاً مِنّا على تمتين الصِّلات بإخواننا في الدِّين والوطن، ووقاية لهم من الإنخِداع بما يدُسُّه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفترون والحاقدون من شائعات تفرِّق وتهدم بما توقظ من فتن، وموقظ الفتنة معروفٌ نصيبه من الله ورسوله.

وتنفيذاً لما يمليه علينا روح الدِّين الإسلامي من واجب (البلاغ المبين) والتزاماً بما كان عليه أئمتنا الأطهار من غيرة على تبيلغ رسالة النبي العربيّ محمد (ص)، وبما عليه فقهاؤنا الذين يتتبعون خُطى الأئمة المعصومين في الغيرة على دين الإسلام وتوحيد كلمة نبيّه. .

عملاً بهذه الأهداف الإنسانيّة الالهية. .

وانسجاماً مع ما سبق لسلفنا الصَّالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمة بإعلان الحقيقة وإزالة كلّ إبهام وإيهام. .

واستجابة لتوصية أصحاب الفضيلة علمائنا لدى اجتماعهم التاريخي في ٢٤/٨/١٣٩٢هـ، بتتبع خطى أعلامنا وثقاتنا. .

وبناءً على رغبتهم بمد بحرهم السَّائغ شرابه بما هو مغترَفٌ منه:

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه.

وإيذاناً بإشراق فجر اليقين ماحياً بنوره سدفات الأباطيل.

وإظهاراً للحقِّ ولحقيقة ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتاً من أنفسنا، وإعلاءً لِكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وقربةً إليه تعالى، ونفعاً للمؤمنين من خلقه.

فقد عمدنا إلى اقتفاء أثر سلفنا الصَّالح، وترجيع ما ارتفعت به أصواتهم وتجديد ما سجلته أقلامهم موجزاً مما نُدين الله به في سِرِّنا وعلانيتنا، ونحنُ بعملنا هذا لا نضيف جديداً إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنَّه تجديد لإقامة الحجّة وإيضاح المحجّة وتأكيدٌ لما كنَّا ونكون عليه، كما نؤكد في صلواتنا يومياً تجْديد العهد مع الله ورسوله، فنشهد مرات (تسعاً على الأقل) أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحكمة الله بالغة في إلزام المؤمنين لتجديد العهد مع الله كل يوم عدداً من المرات.

والله وحده نسأل أن يكون عملنا هذا قبساً يفيء إلى نوره كل جاهل أو مشكِّك، وهدياً تطمئن إليه كل نفس.

عقيدتنا

الدِّيـــن:

نعتقد أنّه ما شرّعه الله سبحانه لعباده على لسان رسول من رسله، وآخر الأديان الإلٰهية وأكملها هو الإسلام: ﴿إنَّ الدِّين عند الله الإسلام﴾[1]، ﴿ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

الإســـلام:

هـو الإقـرار بـالشهـادتيـن (أشهـد أن لا إلٰـه إلا الله وأشهـد أن محمـداً رسول الله)، والإلتزام بما جاء به النبيّ، صلّى الله عليه وآله، من عند الله.

الإيـمان:

هو الإعتقاد الصَّادق بوجود الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله مع الإقرار بالشهادتين..

أصول الدين:

نعتقد أن أصول الدّين خمسة: التوحيد، والعدل، والنبوّة، والإمامة،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

والمعاد، ويجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد..

التوحيد:

نعتقد بوجوب وجود إله واحد لا شريك له، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، خالقٌ للكائنات كليِّها وجزئيِّها، **﴿لَيْسَ كمثْلِهِ شيء وهو السَّميعُ البصير﴾**[1]، وهو كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى: **﴿قُل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾**[2].

العـدل:

نعتقد بأنَّ الله تعالى عدلٌ منزَّهٌ عن الظُّلم **﴿لا يظلِمُ ربك أحدا﴾**[3]، ولا يحبّ الظالمين، وأنه تعالى إثباتاً لعدله **﴿لا يُكلِّفُ الله نفساً إلا وسْعها﴾**[4]، ولا يأمر النّاس إلاّ بما فيه صلاحهم، ولا ينهاهم إلا عمّا فيه فسادهم **﴿مَن عمِل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليْها وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيد﴾**[5].

النبـوّة:

نعتقد بأنّ الله سبحانه، لطفاً منه بعباده، اصطفى منهم رُسُلاً وأمدّهم بالمعاجز الخارقة، وميَّزهم بالأخلاق العالية، وأرسلهم إلى الناس **﴿لِئَلاَّ يكون للناس على الله حُجَّة بعد الرسل﴾**[6] لتبليغ رسالاته، حتى يرشدوهم إلى ما فيه

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.
(٢) سورة التوحيد.
(٣) سورة الكهف: الآية ٤٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٥) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٦) سورة النساء: الآية ١٦٥.

صلاحهم، ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدُّنيا والآخرة **﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾**[1].

والأنبياء كثيرون وقد ذُكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أوَّلهم أبونا آدم وخاتمهم سيِّدنا محمّد بن عبد الله، صلّى الله عليه وآله، وهو نبيّ ورسول أرسله الله للعالمين كافة بشيراً ونذيراً، وشريعته السَّمحة آخر الشرائع الإلهية وأكملها، وهي صالحة لكلِّ زمان ومكان..

ونعتقد أنَّ الله عصم الأنبياء من السهو والنسيان وارتكاب الذنوب عمداً وخطأً قبل النبوّة وبعدها، وجعلهم أفضل أهل عصورهم، وأجمعهم للصفات الحميدة..

الإمامـة:

نعتقد أنها منصب إلٰهي اقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة..

ونعتقد أنَّ اللُّطف الإلٰهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنصّ القاطع والصَّريح **﴿وربُّكَ يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾**[2]، وأن يكون الإمام معصوماً مثل النبيّ عن السهو والذنب والخطأ لكي يطمئنَّ المؤمنون بالدّين إلى الإقتداء به في جميع أقْوالِهِ وأفعالِهِ، والأئمة عندنا إثنا عشر، نصَّ عليهم النبيُّ وأكّد السابق منهم النصّ على إمامة اللاحق..

ونعتقد أن الإمام الذي نصَّ عليه الله تعالى وبلَّغ عنه رسوله الأمين في أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عبد الله وأخو رسوله وسيِّد الخلق بعده.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٨.
(٢) سورة القصص: الآية ٦٨.

وجاء النصّ بعده لإبْنَيْه سيّدَيْ شباب أهل الجنّة الحسن والحسين (عليهما السلام) وبعدهما للتسعة من وُلد الحُسين: الإمام زين العابدين عليٌّ بن الحسين، فابْنه الإمام الباقر محمد بن علي، فابنه الإمام الصَّادق جعفر بن محمد، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فابنه الإمام الرِّضا علي بن موسى، فابنه الإمام الجواد محمد بن علي، فابنه الإمام الهادي علي بن محمد، فابنه الإمام الحسن بن علي الملقّب بالعسكري، فابنه الإمام الثاني عشر صاحب الزَّمان الحجَّة المهديّ، عجَّل الله به فرج المؤمنين، وسيظهره الله في آخر الزمان فيملأ الدُّنيا قسطاً وعدلاً، كما مُلِئَت ظلماً وجورا.

الميعـاد:

نعتقد أنَّ الله سبحانه يبعثُ الناس أحياء بعد الموت للحساب **﴿وأن السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾**(١) فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته **﴿ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾**(٢)، و**﴿يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيْراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرّاً يره﴾**(٣).

وكما نؤمنُ بالمعاد فإننا نؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح من أخبار البعث والنشور والحشر، والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصِّراط والميزان، وما إلى ذلك **﴿ربَّنا آمنَّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾**(٤).

---

(١) سورة الحج: الآية ٧.
(٢) سورة النجم: الآية ٣١.
(٣) سورة الزلزلة: الآية ٥٣.
(٤) سورة الزلزلة: الآية ٦ ـ ٧.

أدلّة التشريع عندنا أربعة:

١ ـ القرآن الكريم:

نعتقد أن المصحف الشريف المتداول بين أيدي المسلمين هو كلام الله تعالى لا تحريف فيه ولا تبديل **﴿وإنّه لكِتابٌ عزيز، لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد﴾**[1].

٢ ـ السنّة النبوية:

وهي عندنا ما ثَبُتَ عن النبيِّ من قول وفعل وتقرير، وهي المصدر الثاني للتشريع ونعتقد أنّ من أنكر حكماً من أحكامها الثابتة فهو كافر مثل من أنكر حكماً من أحكام القرآن، لأنّ السنّة النبويّة لا تتعارض مع الكتاب الكريم إطلاقاً ويلحق بها ما ثبت عن الأئمة الطاهرين قولاً وفعلاً وتقريراً.

٣ ـ الإجمـــاع:

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدِّين، وفيهم الإمام المعصوم فهو دليل قطعيّ، ولو خفيَ علينا مستنده من الكتاب والسنة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما..

٤ ـ العقـــل:

الدليل العقليّ حجّة إذا وقع في سلسلة العلل أو كان من المستقلات العقلية ويقتصر استعمال الدليل العقلي في الفقه عندناعلى المجتهد، وهو من حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلّتها التفصيلية، والمرجع المقلَّد عندنا هو: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالِفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه)،كما ورد عن الإمام العسكري (ع)..

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤١ ـ ٤٢.

فروع الدِّيـن:

نعتقد أنها كثيرة، وكنا نؤثر أن نكتفي بذكر بعضها رغبة في الإيجاز، محيلين المتطلع إلى المعرفة، والمرجف، والجاهل، والمتعنِّت، إلى كتب علمائنا المبثوثة في المكاتب فهي تفصِّل عقائدنا بوضوح، ولكنَّنا انسياقاً مع خطَّتنا الَّتي رسمناها في هذا البيان، رأينا أن نتعرض لذكر بعضها بكثيرٍ من الإيجاز، وخصوصاً العبادات منها:

الصَّـلاة:

نعتقد أنها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾[1]، وأنها عمود الدِّين، وأهمّ العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده، وأحبّ الأعمال إليه «إنْ قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإنْ رُدَّت رُدَّ ما سواها».

ونعتقد أنَّ الصلوات المفروضة يومياً خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ومجموع ركعاتها سبع عشرة ركعة، تقصَّر الرُّباعية منها إلى النصف في حالات السفر والخوف.

ونعتقد أنَّ من الصلوات الواجبة: صلاة الجمعة والعيدين مع استكمال شروطها وصلاة الطواف الواجب، وصلاة الميِّت و. . و. . الخ. .

كما نعتقد أنَّ من الصلوات المستحبة النوافل، أو السُّنن، ومجموع ركعاتها أربع وثلاثون ركعة في الأوقات الخمسة، وتعرف عندنا بالرواتب اليومية ويجوز الإقتصار على بعضها كما يجوز تركها جميعاً.

ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبَّات، وبعدم العقوبة على ترك فعلها.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

الأذان والإقامة:

نعتقد باستحبابهما قبل الدخول في الصَّلاة، وفصول الآذان عندنا ثمانية عشر فصلاً، وفصول الإقامة سبعة عشر.

أما الشهادة لعليٍّ (ع) بالولاية فنعتقد استحباب ذكرها فيهما بعد الشهادة لمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم، بالرسالة. كما نعتقد أنَّ عدم ذكرها لا يؤثر في صحَّة إقامتها.

الصَّــوم:

نعتقد أنّه من أركان الدِّين الإسلامي، ويجب على كل مكلَّف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام**﴾[1].. وهو شرعاً الإمساك عن المفطرات من أوَّل الفجر الصَّادق إلى المغرب الشرعي مع نية القربة، ويجب في شهر رمضان وفي موارد أخرى مذكورة في كتب الفقه.

الزّكــاة:

نعتقد أنها من الأركان التي بني عليها الإسلام ولها شرائط عديدة مذكورة في كتب الفقه،، وتجب في النقدين: الذهب والفضة، والأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، والغلاَّة الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وتستحب في موارد أخرى..

الخمــس:

نعتقد بأنّه حقٌّ واجب فرضه الله بقوله تعالى: ﴿**واعلموا أنَّما غنمتم من شيءٍ فإنَّ لله خُمُسه**﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤١.

الحـــج:

نعتقد بأنه واجب لقوله تعالى: ﴿ولله على النّاس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[1]، ويجب على كلِّ مسلم بالغ عاقل، ذكراً كان أم أنثى، مرة واحدة في العمر بشرط الإستطاعة وتخلية السَرْب (أي الأمن على النفس والمال والعرض).

الجهـــاد:

نعتقد بأنّه من أركان دينِنا، ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام ووجوبُه كفائي ويجب أيضاً من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال ووجوبه عينيّ على كلّ من يستطيع أن يقدم نفعاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نعتقد أنهما من فروع الدين، ونعتقد أن الله أمر بكلِّ خير وسمَّاه معروفاً أمر إيجاب أو ندب، ونهى عن كلِّ شرٍّ وسمَّاه منْكراً، نهي تحريم أو كراهة ﴿ولْتكُن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2].

الولاء والبراء:

ومعناهما المحبّة لله ولأنبيائه وللأئمّة الطّاهرين، والبراءةِ من أعداء الله، أما بقيّة فروع الدين، ومنها الزّواج والطّلاق، والخلع والظهار والإيلاء، ومنها أحكام كالدِيّات والقصاص والكفّارات، ومنها معاملات كالبيع والشراء والضمان والمزارعة والمساقات وسواها، فإنّنا نعمل بها وفق نصوص مذهبنا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

الجعفريّ، دون خلاف، مستندين إلى مراجعه الكثيرة وأهمها: للفقهاء المجتهدين:

الكتب الأربعة: الكافي للكليني، والتهذيب والإستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للصدّوق، وللمقلّدين (بكسر اللام) الرسائل العلميّة وهي فتاوى الفقهاء المراجع..

الخاتمة:

هذه هي معتقداتنا نحن المسلمين (العلويين) ومذهبنا هو المذهب الجعفريّ الذي هو مذهب من عُرِفوا بالعلويّين والشيعة معاً، وإنَّ التسمية (الشيعيّ والعلويّ) تشير إلى مدلول واحد وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفريّة الإمامية الإثني عشريّة..

وإنّنا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين، وأن يجد فيه القريب والبعيد، والمنصف والمتحامل، منهلاً عذباً ومرجعاً مقنعاً..

وإنّنا لنعتبر كلّ من ينسب إلينا أو يتقوّل علينا بما يغاير ما ورد في هذا البيان مفترياً أو مدفوعاً بقوى غير منظورة يهمُّها أن تتفرّق كلمة المسلمين فتضعف شوكتهم، أو جاهلاً ظالماً لنفسه وللحقيقة، ولا قيمة لقول أحدهما عندالعقلاء المتّقين..

هذا بياننا ينطق علينا بالحق، وللمطّلع عليه أن يحكُمَ بما يشاء، وعليه التبعة أمام الله والدِّين والوطن، ومِنَ الله وحده نستمدّ العون ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمة نبيّنا محمَّد، صلّى الله عليه وآله، وصلاحها في دينها ودنياها بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البرّ والتقوى وعلى جهاد أعدائها المتربِّصين (الشر بنا جميعاً دون استثناء).

والحمد لله أوّلاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

أسماء وعناوين أصحاب الفضيلة رجال الدين موقِّعي هذا البيان من المسلمين (العلويين) في الجمهوريتين: العربيّة السورية واللبنانية:

الأستاذ: إبراهيم جمال ـ اللاذقية.

الأستاذ: إبراهيم سعود ـ حلبكو ـ جبلة.

الأستاذ: إبراهيم صالح معروف ـ حمص.

الأستاذ: إبراهيم حرفوش ـ المقرمدة ـ بانياس ـ مقيم باللاذقية.

الشيخ: إبراهيم حسن النجّار ـ الشبطليّة ـ مقيم باللاذقية.

الشيخ: إبراهيم الكامل، خطيب في مسجد الإمام علي (ع) طرابلس ـ لبنان.

الشيخ: أحمد علي حلوم ـ الشبطلية ـ مدرِّس ديني في منطقة اللاذقية.

الشيخ: أحمد محمد رمضان، إمام مسجد كرم غيزل ـ صافيتا.

الأستاذ: الحاج أحمد عيد الخير ـ قرداحة ـ مقيم باللاذقية.

الشيخ: إسماعيل شحود ـ اللاذقية.

الشيخ: حسين سعود ـ حلبكو ـ جبلة.

الشيخ: حسن عباس آل عباس بيصين ـ المشرفة ـ مصياف.

الشيخ: حبيب صالح معروف ـ حمص.

الشيخ: الحاج حامد عامودي الطرابلسي ـ حمص.

الأستاذ: الشيخ حمدان الخير، خطيب جامع بالقرداحة.

الشيخ: حسن محمد علي ـ الدالة ـ جبلة.

الشيخ: حيدر محمد حيدر، إمام مسجد الحصنان.

الشيخ: سلمان خليل الوقاف، إمام مسسجد الدريكيش.

الشيخ: رجب سعيد خليل ـ اللاذقية ـ مفتي منطقة بانياس.

الشيخ: سلمان أحمد سلمان ـ حمين ـ صافيتا.

الشيخ: سليمان حسن ـ اللاذقية.

الشيخ: سلمان أحمد خضر ـ جبلة.

الشيخ: الحاج سليمان عيس مصطفى، خطيب جامع الإمام الصادق (ع) في حريصون.

الأستاذ: صالح علي صالح ـ عين التينة ـ الحفة ـ مقيم في دمشق.

الحـاج: الشيخ عبد الرحمٰن الخير ـ القرداحة ـ مدرّس ديني ـ مقيم في دمشق.

الشيخ: عبد اللطيف إبراهيم مرهج ـ الدبدابة ـ صافيتا.

الحـاج: الشيخ عبد الكريم علي حسن ـ حمين ـ خطيب جامع الإمام علي (ع) في طرطوس.

الحـاج: الشيخ عبد اللطيف الخير، إمام جامع بالقرداحة.

الشيخ: عبد الكريم الخطيب.

الشيخ: عباس ميهوب حرفوش ـ المقرمدة ـ بانياس.

الشيخ: عبد اللطيف شعبان كفرفو ـ صافيتا.

الشيخ: عبد الله عابدين، مفتي منطقة الحفة.

الشيخ: عبد الهادي حيدر ـ أبو قبيس ـ مصياف.

الشيخ: علي عبد الله، خطيب بمسجد الصفصافة ـ صافيتا.

الحـاج: الشيخ علي عبد الرحمن كنكارو ـ جبلة ـ المفتي والمدرّس الديني في صافيتا.

الشيخ: علي أحمد محمد كتوب ـ الدريكيش.

الشيخ : علي حسن علي ـ برمانة المشايخ ـ طرطوس.

الشيخ: علي محمود منصور ـ طرابلس ـ لبنان.

الشيخ: علي معروف ابراهيم ـ الرستن ـ اللاذقية.

الشيخ: علي عيس حسن ـ جبلة.

الشيخ: علي عزيز إبراهيم ـ طرابلس ـ لبنان ـ متخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف.

الشيخ: علي إبراهيم حسن.

الدكتور: علي سليمان الأحمد ـ اللاذقية.

الشيخ: غانم ياسين ـ اللاذقية.

الشيخ: فضل فضه ـ بكسا ـ اللاذقية.

الشيخ: فضل غزال ـ تلا ـ الحفة ـ مجاز من كلية الفقه في النجف الأشرف.

الشيخ: كامل حاتم، خطيب مسجد الإمام زين العابدين (ع) في مشتقيتا ـ اللاذقية.

الشيخ: كامل الخطيب، إمام مسجد في جيبول ـ جبلة.

الشيخ: كامل صالح معروف ـ بيت الشيخ ديب ـ صافيتا.

الحـاج: الشيخ محمود صالح عمران ـ الطليعي ـ صافيتا ـ خطيب مسجد الإمام الصادق (ع) في حمص.

الشيخ: محمد حامد، قاضي شرعي متقاعد ـ مقيم بطرطوس.

الشيخ: محمود صالح يوسف، مدرّس ديني وخطيب جامع الإمام الحسين (ع) في بانياس.

الشيخ: محمد حمدان الخير ـ القرداحة.

الشيخ: محمود سليمان الخطيب ـ جيبول ـ جبلة، مقيم باللاذقية.

الأستاذ: محمد علي أحمد ـ قرداحة ـ خطيب جامع الإمام الرضا (ع) في جبلة.

الشيخ: محمد محرز ـ الشبطلية ـ اللاذقية، قاضي شرعي متقاعد.

الشيخ: محمد يوسف حمدان عمران ـ ضهر بشير ـ صافيتا ـ مقيم في حمص.

الحاج: الشيخ محمود مرهج ـ بحنين ـ طرطوس ـ مدرّس في دريكيش، ومجاز من النجف الأشرف وكلية الشريعة بدمشق.

الشيخ: محمد علي رمضان.

الشيخ: محمود أحمد عمران ـ ضهر بشير ـ صافيتا ـ مقيم في طرطوس.

الشيخ: محمود محمد سلمان ـ الجبيلية ـ جبلة.

الشيخ: محمود علي الشريف ـ بشرائيل ـ صافيتا ـ مقيم في طرابلس ـ لبنان.

الشيخ: محمود سعيد ـ اللاذقية.

الشيخ: محمود علي سلمى ـ طرابلس ـ لبنان.

الأستاذ: محمد بدر ـ الشامية ـ اللاذقية.

الشيخ: مسعود صالح حلوم ـ الرستن ـ اللاذقية.

الأستاذ: مصطفى السيد ـ بعمرة ـ صافيتا مدرّس ديني في سمت قبلة ـ جبلة، ومجاز من جامعة الأزهر.

الشيخ: معلا محمد عبد الرحمٰن.

الشيخ: منصور صالح عمران، خطيب مسجد الإمام الصادق (ع) في الطليعي ـ صافيتا.

الشيخ: معروف بدر ـ الشامية ـ اللاذقية.

الشيخ: الحاج نصر الدين زيفا ـ لواء الإسكندرون ـ مقيم في دمشق.

الشيخ: ياسين محمد اليونس ـ بيت الشيخ يونس ـ صافيتا، قاضي شرعي متقاعد مقيم في طرطوس.

الشيخ: ياسين عبد الكريم محمد ـ المصطبة ـ صافيتا.

الشيخ: يوسف حسن يوسف ـ طرابلس ـ لبنان.

الشيخ: يوسف حلوم ـ شبطلية ـ مجاز من كلية الشريعة بدمشق.

الشيخ: يوسف صارم، مدرّس ديني في دريوس، وخطيب جامع الإمام الصادق (ع) في اللاذقية.

الشيخ: يوسف إبراهيم اليونس ـ بيت الشيخ يونس ـ صافيتا، قاضي شرعي متقاعد.

الشيخ: يونس حسن خدام.

الشيخ: يونس محمد ـ بيت نافلة ـ دريكيش.

الشيخ: يوسف غانم الخطيب ـ طرابلس ـ لبنان.

* * *

وممّا لا شكّ فيه أن هذا البيان التاريخي كان يحتاج إلى تواقيع [illegible]اء ذاك

الوقت المشهود لهم بالعلم والمعرفة والدِّين والفضل، ومشاهير العلماء هم الذين وقّعوا البيان فقط، وأما المجهولون وما أكثرهم فلم يدعوا للتوقيع، أمّا في عصرنا الحاضر والذي بزغت فيه شمس الحرية وعمَّ العلم والمعرفة كل بيت وكلّ حي وقرية ومدينة وعاصمة، وتمَّ التخلّص وللأبد بعون الله من الجهل والفقر والمرض، ولو طُلِبَت من أدباء القوم وشعرائهم وأطبائهم ومهندسيهم ومحاميهم ومثقّفيهم وحُجّاجهم وأئمة مساجدهم وخطبائهم.. والخ.. لاحتاجت هذه التواقيع إلى كتاب خاص بها ولبلغت ملايين التواقيع..

* * *

شهادة الدكتور مصطفى الرافعي الطرابلسي العمري الفاروقي

ومن كتاب (إسلامنا في التوفيق بين الشيعة والسنّة)

للدكتور مصطفى الرافعي

إقتطفنا هذه المقتطفات والّتي صوّرت حقيقة العلويين عن قريب، فبدت الصورة واضحة المعالم لا غبار عليها ولا ظِلال لكلٍّ ذي بصر سليم وعقلٍ غير سقيم، بارك الله بالدكتور الرافعي وبكلٍّ من شهد ما رأى ونفى ما سمع، والحقّ أحقّ أن يتّبع، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلِ الحقّ من ربّك فمنْ شاءَ فليؤمن ومنْ شاء فليكفر﴾.

صدق الله العلي العظيم

(العلويّــة)

ماهيتهم:

لم يخرج العلويون عن كونهم فرعاً من فروع الشيعة تعتمد أصول الشريعة الإسلامية وتطبّق أحكامها وِفقاً لِمذهب الإمام جعفر الصادق سادس أئمة أهل بيت رسول الله عليه صلوات الله.

ولقد بات معلوماً أنّ جميع فِرَق الشيعة تعرّضت للتعذيب والتنكيل والذبح والقتل ابتداءً من العصر الأمويّ مروراً بالعباسي وانتهاءً بالعثماني بسبب معارضتهم لمذاهب أهل السنّة التي كان يدين بها ـ على مرّ تلك العصور ـ السّلاطين والحكام، وكانت هذه الجماعة المسمّاة (بالعلويين) في أكثر الفرق تعرُّضاً للإضطهاد والإتِّهام حتى من بعض فرق الشيعة الأخرى التي تأثّرت بما نصبه المؤرِّخون حولهم وما نسبوه إليهم من ارتكاب الموبقات وإباحة المحرّمات حتى وصموهم بالزندقة والكفر. .

ولم يتسنَّ لجماعة العلويين ـ وعددهم في العالم قليل ـ أن تهدأ الضجّة حولهم وأن يتنفَّسوا الصعداء إلا فترة وجيزة من العصر العباسي وعلى وجه التحديد أيّام العلويين الحمدانيين، وفي زمن المستكفي بالله من خلفاء بني العباس حيث قُدِّر لشيخهم أبي عبد الله الحسين بن حمدان أن ينهض بالدعوة العلوية بعد أن اتَّخذ إقامته في مدينة حلب الشهباء وذلك بمؤازرة أُمراء بني

بويه، وانتشرت الدعوة العلوية ـ إذّاك ـ في العراق والأهواز وبلاد فارس وكذلك في مصر أيام الفاطميين.

أصلهم:

من المؤرِّخين من قال: إن العلوية فرقة (سريانيَّة) كانت موجودة على أيام الرومان، ومنهم من قال: إن أصلهم من القرامطة (نسبة إلى حمدان قرمط) فنسبوا إليهم تبعاً لذلك ما يُنسب إلى القرامطة من زعم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ولا ميزان ولا حساب ولا نعيم ولا عذاب، وإنما الثواب والعقاب هما في هذه الحياة الدنيا لا غير.

ومن المؤرِّخين من زعموا أنهم فرع من فروع (الإسماعيلية)، والإسماعيلية ـ كما هو معلوم ـ فرقة من الإمامية تقف في تسلسل أئِمَّتها عند إسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفي في حياة أبيه ولذا سُمُّوا بالشيعة السبعية أيضاً كما ذكرنا آنفاً.

ولمَّا كنت الفرقة الإسماعيلية (أو السبعية) تعتقد أن لكلِّ نصٍّ دينيّ معنييْن: معنىً ظاهراً وهو للعامة، ومعنىً باطناً لا يفهمه إلا الأئمة، فقد نُسب إلى العلويين القول بأنها من الفرق الباطنية من قبيل الخلط بينهم وبين الإسماعيلية، علماً أن الإسماعيلية ـ السبعية ـ لعِبَت دوراً بارزاً في خلال العصر العباسي وكانت لهم في التاريخ أكثر من دولة، منها:

١ ـ دولة عبيد الله الشيعيّ، التي أسَّسها في المغرب عام ٢٩٦هـ.

٢ ـ دولة ابن حوشب، التي أسَّسها في اليمن عام ٢٧٠هـ.

٣ ـ دولة جوهر الصقلي، التي أسَّسها في مصر عام ٣٥٨هـ.

٤ ـ دولة الحسن بن الصباح، التي أسَّسها عام ٤٨٣هـ.

وَوُجِد من المؤرِّخين أخيراً من يقول: إنَّ العلويين أصْلهم من (الحثِّيين) ليثبت أنهم ليسوا عرباً وبالتالي يسهل بترهم عن جسمهم العربي، مثلما حاول

غيره من المغرضين تجريدهم من دينهم الإسلامي.

وجميع هذه الأراجيف الّتي زعمها المؤرّخون بالنسبة لأصل العلويين لا تستند إلى دليل وليس إلاّ من قبيل الظنّ **﴿وإنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئاً﴾**.

حقيقتهم:

وفي الحقيقة أنَّ العلويين هم عرب أقحاح معروفون بأنسابهم ومشهورون ـ لا كما يزعم المغرضون ـ وهم مسلمون موحّدون يؤمِنون بالله ربّاً وبمحمَّدٍ نبياً وبالقرآن منهجاً ودستوراً، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجُّون بيت الله الحرام إذا استطاعوا إليه سبيلاً، وهم منذ ظهور المذاهب الفقهيّة المعروفة يتعبّدون على مذهب الإمام جعفر الصادق، وأنَّ لفظ: علويّ أو شيعي أو إماميّ أو جعفريّ يعني أمراً واحداً هو أنهم أحبوا علياً (كرّم الله وجهه) وعظّموه لمزايا لا ينكرها أحد من المسلمين من كونه صهر الرسول وابن عمه وخليفته ومن أول الناس إسلاماً وأقواهم إيماناً وأرسخهم عقيدة، إضافة إلى كونه أعلمهم وأزهدهم وأقضاهم وأشجعهم حتى سُمِّي (سيفُ الله).

وإن هؤلاء العلويين لم يعبدوا علياً كما يتوهَّم الجاهلون بحقيقتهم اعتماداً على مجرَّد تسميتهم (بالعلويين) إذ لو كانت مجرَّد التسمية المنسوبة إلى إنسان تستلزم عبادته للزم القول بأنَّ العثمانيين يعبدون عثماناً والمالكيِّين يعبدون مالِكاً والشافعيِّين يعبدون الشّافعي، وهكذا إلى أن نصل إلى أيامنا هذه، حيث يلزم القول بأن الماركسيين يعبدون (ماركس) والديغوليِّين يعبدون (ديغول) والناصريِّين يعبدون (عبد الناصر) وهذا غير حاصل البتَّة..

عبادتهم:

أما عبادات العلويّين فليس شكّ في أنهم يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة التي ذكرناها آنفاً ويمارسونها، ولقد شاهدتُ ذلك بعينيْ رأسي عندما كنت

أقوم بزيارة بعضهم في المُدُن والقرى، ولكنّني لا أنكر أنهم لم تكن عندهم مساجد كافية لإقامة صلوات الجمعة ـ والجماعة فيها ـ وأنَّ روح التديُّن عند الكثيرين منهم لا سيما سكان القرى كان ضعيفاً للغاية، وأن الجهل المتفشّي في صفوفهم من جهة، والدسّ الخارجي المقصود من جهة ثانية وفوقهما الفقر المدقع الذي كانوا يعيشون فيه، هذه الأمراض الوبيلة الثلاثة الّتي كانت تنتابهم وتفتّ في عضدهم وتلقي بهم إلى اليأس والقنوط، هي التي ألجأتهم إلى ضعف ممارساتهم الدينيّة بالنسبة لغيرهم من الفرق الإسلامية التي كانت بالنسبة لهم تتجلى بغزارة العلم وتمتاز بوفرة دور العبادة وتتمتع برخاء العيش، ولقد صدق من قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً». .

ولعلَّ مؤلف كتاب (العلويون النصيريّون) لم يبعد عن الصواب حين قال ما حرفِيَّتُه: «الحقُّ يُقال: إنَّ النصيريين هم من متطرِّفي الشيعة، غدرَ بهم الزّمان، وقهرهم التاريخ فانطووا على أنفسهم، وخشوا من الإبادة والفناء، حاربهم أعداءهم السنيُّون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيُّون، وغدر بهم جيرانهم الإسماعيليّون واستذلّهم الصليبيُّون وانتقم منهم الأرمن والعثمانيُّون، وأذلّهم الفرنسيّون. . . فهم بالحقيقة، شعبٌ قُهِر لم يعرفوا استقراراً في جبالهم الوعرة».

معتقداتهم: إذا أخذنا بعين الإعتبار أنَّ العلويّة ظهرت في أيام الفِتَن الدينيّة والخِلافات المذهبيّة والإنقسامات السياسيّة، وأنَّ أكثر المصادر التي اعتمد عليها المؤرِّخون هي من وضع خصوم هذا المذهب فضلاً عن المستشرقين فيما بعد الّذين كانوا يعبِّرون عن مشاعر الإستعمار ولا سيّما في أثناء مرحلة الإنتداب على هذه الديار، والخطط التي انتهجوها لسلخ هذه الجماعة المسلمة عن مُحيطها الإسلامي، كان لا بدّ وأن تُحاك حول العلويين القصص، وتُلصق بهم التُّهم، وتُلفّق في حقهم الأباطيل قصداً إلى تشويه معتقداتهم بادّعائهم عليهم: القول بقدم العالم وانكسار البعث والنشور والجنّة والنار وتناسخ الأرواح واستحلال الخمرة وتقديسها بل وتأليهِها ممّا لا يصدِّقه

العقل السليم، وتوصل بعض العلماء والمؤرّخين إلى تكفيرهم من أمثال: ابن تيمية والشهرستاني وابن الأثير وغيرهم، علماً أنَّ في اتِّهاماتهم هذه كثيراً من المبالغة ومجافاة للحقيقة، وإذا صَحَّ أنَّ ـ العلويِّين ـ أو بعضهم ـ قال بشيءٍ ممَّا تقدَّم، فإنهم ليسوا وحدهم من المسلمين الَّذين قالوا به وهاكم الأمثلة:

أولاً: ففيما يتعلق بقدم العالم قال به أكثر فلاسفة المسلمين كالفارابي والغزالي وابن سينا وابن رشد.

ثانياً: وفيما يتعلق بتناسخ الأرواح قال به كثير من الفقهاء والفلاسفة والأطباء من أمثال: ابن سينا وابن الجوزية والإمام الشعراني الذي زعم أن الأرواح تتشكَّل بِصُوَرٍ مختلفة، والسعد التفتازاني الذي أورد في (شرح العقائد النفسية) أنه ما مِنْ مذهب إلاّ وللتناسخ فيه قدم راسخ، وكذلك الإمام الغزالي الذي يعتبر في كتابه (التهافت) البعث والتناسخ يرجعان إلى واحد بمعنى أنَّ الروح بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى جسم آخر.

ولم نسمع أن أحداً من المسلمين قال بتكفير هؤلاء الفلاسفة الحكماء والعلماء الأجلاّء لمجرد أنَّهم قالوا ما قالوه؟.

ثالثاً: أما شرب الخمر فقد ابْتُلي به عدد كبير من المسلمين وأنَّ البعض من المنحرفين قالوا بإباحته حتى قبل ظهور (العلويّة) كفرقة مستقلة بأمد بعيد بل ومنذ عهد الخليفة (يزيد بن معاوية) وقد روى أبو الهلال العسكري في كتابه (الأوائل) أنَّ أوَّل من باع خمراً في الإسلام هو سمرة بن الجندب المتوفَّى عام ٦٠هـ.

رابعاً: وأما قول العلوية (بالتقيَّة) هو من معتقدات الشيعة الإمامية وكذلك قول العلويين (بالرجعة) هو قول الشِّيعة الإمامية أيضاً، وإن كان معظم أهل السنَّة والجماعة يعيبون على من يعتقد بالتقيَّة والرجعة بل ويستنكرون ذلك منهم، ولكنَّهم لم ينادوا بتكفيرهم من أجل ذلك، ربَّما لإنهم لم يروا أنَّ هؤلاء ـ في اعتقادهم التقيَّة والرجعة ـ أنكروا أمراً ثابتاً في الدِّين بالضّرورة.

هذا ولا صحّة لما رُمِيَتْ به الفرقة العلويّة في أنهم يعتقدون بالثالوث المرتب من (الرب والحجاب والباب) وأنَّ علياً هو الربّ ومحمداً هو الحجاب وسلمان الفارسي هو الباب، لأنَّه لم يثبت بالدَّليل القطعي عنهم، إنما الذي ثبت عنهم في هذا المجال أنهم يبالغون في احترام سلمان وخمسة معه من صحابة رسول الله هم: (المقداد بن أسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشيّ، وقنبر بن كادان الدوسي)، هؤلاء الذين قال بعض المؤرِّخين أنهم يطلقون عليهم لفظ (الأيتام الخمسة)، وهذا القول ـ إن صحَّ ـ فإنه يعود في رأي العلويين إلى كون سلمان وهؤلاء كانوا من أشدّ المسلمين الأولين التِصاقاً بالإمام عليّ، وقد اعترفوا بإمامته قبل تولِّيه الخلافة، كما كان قائد المسيرة لهؤلاء الخمسة في حلِّهم وترحالهم هو الصحابيُّ الجليل سلمان الفارسي الذي يروى أن رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، اشتراه من امرأة يهوديّة وأدخله بيته وقال في حقه: «سلمان منّا أهل البيت»، فقيل له: مِن بني هاشم يا رسول الله؟ فأجابهم قائلاً: «نعم، من بني هاشم»؟.

كما يروى عن رسول الله قوله: «سيِّد العرب أنا وسيِّد الفرس سلمان»، كذلك يروى عنه، صلّى الله عليه وسلم، قوله: «أخبرني ربِّي أنه يحبّ أربعة وأمرني بمحبّتهم: عليّ منهم وسلمان».

لهذه الآثار وغيرها أحبَّ العلويُّون سلمان الفارسي وعظَّموه ـ مثلما نحبُّه ونعظِّمه نحن المسلمين جميعاً ـ ولشدَّة التصاق أولئك الخمسة الكبار من صحابة رسول الله بسلمان وفرط تعلقهم به وانصياعاً لأِقواله عرفوا بـ(أيتام سلمان) لا لأِنهم يكوِّنون تشكيلاً خاصاً ـ كما يحلو لبعض المفرقين والمبغضين للعلويين القول به ووصفه ـ بأنَّ هذا التشكيل يرمُز به العلويون إلى الخلاص الأبدي..

أما اعتقادهم بالأئمة الإثني عشر، علي ومن بعده إلى محمد بن الحسن

العسكري مع اعتقاد العصمة لهم هو اعتقاد الشيعة الإمامية الإثني عشرية أيضاً، وهم جميعاً يستندون ـ في اعتقادهم هذا ـ إلى روايات كثيرة تفيد أن أئمة هؤلاء النقباء المحدَّد بعدد نقباء بني إسرائيل الإثني عشر منصوص عليهم من قِبَل الله تعالى، من هذه الروايات ما نقله وهب بن منبّه عن ابن عباس أنَّ الله خاطب نبيه قائلاً: «يا محمَّد إنَّ علياً هو الخليفة من بعدك وأن أمتك يخالفونه وأنَّ الجنَّة محرَّمة على من خالفه وعاداهُ، فبشِّر علياً بأن له هذه الكرامة منّي وإنّي سأُخرج له من صلبه أحد عشر نقيباً».

ومهما يكن من شأن تلك المقولات الَّتي تُقال بشأن العلويين، والشُبهات الَّتي تحوم حول معتقداتهم، والَّتي يتضح من أقوال كبار أُدبائِهم وأفاضل علمائهم تعليل بعضها الذي لا يتعارض مع جوهر الإسلام، ونفي البعض الآخر نفياً قاطِعاً لمجافاته لشريعةِ القرآن، ثمَّ من الإمعان في تقصِّي أخبارهم ومعاشرتهم في محالِّهم ومنازلهم يتأكد كلّ منصِف أنَّ معظم ما رُميت به هذه الجماعة المسلمة من حلول وزندقة وغير ذلك، هو كذب وبهتان ولا يفضي بالتَّالي إلى الحكم عليهم بفساد عقيدتهم وخروجهم من ربقة الإسلام، وأنَّ الظروف المأساوية التي عاشتها هذه الجماعة في أيَّام مؤسِّسها الأول عليّ (كرّم الله وجهه) وتجنِّي الناس ـ جميع الناس ـ عليهم وظلم ذوي القربى لهم، حتَّى جاء الإستعمار البغيض فأسرف في ظلمهم وزاد في تحطيمهم إمعاناً لا لشيءٍ إلاّ لإظهارهم بمظهر المبتعدين عن محيطهم الإسلامي لكيْ يفضي بهم وبنا الحال إلى التَّصارع فالتَّقاتل فالإنحلال..

ليس أدلّ على ذلك من قول الشيخ محسن حرفوش قاضي المذهب العلوي في بلدة (جبلة) أثناء الإنتداب الفرنسي لأِحد ضبّاط المخابرات الفرنسيَّة الذي أراد منعه مِن أداء صلاة الجمعة في جامع لأهْل السنَّة، ومحاولة إقناعه بأنّه لا يُعتبر في نظرهم من المسلمين بجوابه الرَّصين الحكيم لذلك الضابط: إنَّ إلٰهنا واحد، ونبيّنا واحد، وكتابَنا القرآن، ونحنُ مسلمون أرادت السِّياسة أوَ لَم تَرد وأنَّ ربنا ينادينا بقوله: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنوا إذا نُودِي للصَّلاةِ

من يوم الجمعة فاسْعَوا إلى ذِكر الله﴾، وليس هُناك من يستطيع أن يحول بيني وبين السعي إلى ذكر الله.

يُضاف إلى هذا الموقف النَّبيل لذلك القاضي العلوي الجَّليل من ذلك الضابط المغرِض موقف آخر له دلالته ومغزاه وقفة المجاهد العربيّ الكبير الشيخ صالح العلي: وفي أيام الإنتداب الفرنسي أيضاً، حين سأله ضابط فرنسيّ آخر عن تاريخ العلويين وديانتهم فتناول الشيخ بيده القرآن الكريم، وأجاب سائِله قائلاً: (إذا أردتَ تاريخ العلويين فهذا تاريخهم وإذا شئت دينَهم فهذا دينُهم)..

كما وأنَّ العلويين لو كانوا ـ حسبما افترى عليهم المفترون وتعمَّد الإساءة إليهم المؤرِّخون المغرِضون ـ لا ينتمون إلى الشيعة الإمامية الإثني عشريَّة لما كان يسوغ للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان أن يسند منصب الإفتاء الجعفري في طرابلس لشيخٍ علويّ.

وما دام العلويُّون يفتون ويتعبَّدون ويتقاضون في أحوالهم الشخصيَّة وفقاً للأحكام الواردة في المذهب الجعفريّ وذلك في سوريا وفي لبنان وفي كلِّ مكان، وإذا عُرِّفنا من قبل أنَّ مشيخة الأزهر الشريف أفتتْ بجواز التعبُّد على مذهب الإمام جعفر الصادق كالتعبُّد على مذاهب أهل السنَّة والجماعة، وإذا عرفنا أيضاً أنَّ بين فقهائنا من صرَّح بأنه إذا قام تسعة وتسعون دليلاً على كفر إنسان وقام دليل واحد على إيمانه وجب حمل هذا الإنسان على الإيمان، أقول: إذا عرفنا هذا كله (لم يبقَ مجال للشكّ بأنَّ العلويين مسلمون).

خامساً: الخوارج: نشأت هذه الفرقة بعد مسألة التحكيم بين معاوية وعلي، وقد كان الخوارج من شيعة علي، إلا أنَّ قبول علي مبدأ التحكيم بعد وقعة صفّين رغم معارضتهم الشَّديدة له، جعلهم يخرجون عليه لأنِهم كانوا يعتقدون أنَّ مبدأ التحكيم خطأ، فحكمُ الله واضح في الأمر لا يعبُرُ به شكّ، والقبول بالتحكيم يحمل في معناه الشك في أيٍّ من الفريقين هو المحق..

وقد غال الخوارج فاتهموا علياً بالكفر، واشترطوا للرجوع إلى صفوف علي أن يُقِرَّ علي نفسه بالخطأ لإذعانه للتحكيم وقبوله به، وأن يتراجع من ناحية ثانية عن شرطه لمعاوية . .

من مبادىء الخوارج:

١ ـ إن الشيعة تقدِّس علياً، في حين يُكفِّره الخوارج ويعتبرون قاتله (ابن ملجم) من خير البريّة .

٢ ـ من مبادىء الشيعة : التقيّة، أمّا الخوارج فمِن أصولهم الخروج على السلطان الجائر في غير مواربه، مهما كانت قوّة الخوارج وقوّة الإمام . .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ حركة الخوارج في بادىء الأمر كانت حركة سياسية، ولكن اندماج السلطة الروحيّة بالسلطة الزمنيّة في نظر الإسلام، جعل للخوارج بعض التعاليم الدينيّة، تبعاً لمذهبهم السّياسي، فهم يكفِّرون عليّاً وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري ومعاوية، وطلحة والزبير وعائشة . .

ويمكن إيجاز أهمّ تعاليمهم بما يلي :

١ ـ لقد تطرَّفوا في موقفهم من الإمامة، فقال البعض منهم بأنّه يجوز أن لا يكون في العالم إمام أصلاً .

٢ ـ وإذا كان لا بدَّ من الإمامة، فأصلح الناس لها الأحقّ بها، ولا يشترط في الإمام أن يكون قرشيّاً ولا هاشمياً، بل يجوز أن يكون عبداً أو نبطيّاً .

٣ ـ إنهم يمثّلون في صحّة عقيدتهم وشجاعتهم الإسلام الأول على فطرته، وقد ظلّوا على بداوتهم وتمسّكهم بما يرونه حقّاً، رغم ما أُنزِل بهم من تنكيل في شتّى مراحل حياتهم السّياسيّة، وهذا المظهر الفطري ظهر أيضاً في تعاليمهم التي لم يخالِطها التفلسف، الذي خالط مثلاً ـ تعاليم المعتزلة ـ إلاّ إذا استثنينا إحدى فرقهم المعروفة (بالأباضية) نسبة إلى عبد الله بن الأباضي، فقد

تعرَّضت هذه الفرقة إلى ما تعرض له المعتزلة من بحث في أمور القدر وإثبات العقل بالإنسان. .

٤ ـ إنهم يجيزون في صلب تعاليمهم خلع الإمام الجائر ويعتبرون الخروج عليه واجباً.

٥ ـ المرجئة: وهي حزب سياسي ظهر في صدر الإسلام الأول عندما رفض بعض الصَّحابة الدُّخول في الفِتَن التي رافقت أواخر أيَّام عثمان ولم يحكموا على أحد من الفريقين المتخاصمين، بل أرجأوا أمر الحكم عليهم لله تعالى؟.

على أن المرجئة لم تظهر إلى الوجود كحزب سياسي ديني، إلاّ بعد ظهور الشيعة والخوارج فقد وقفوا موقفاً مسالماً نحو الجميع حتى الأمويين.

لقد ظهرت المرجئة، في ظروف كانت بعض الفرق المتطرفة من الشيعة تكفر أبا بكر وعمر وعثمان وجماعتهم، والخوارج يكفرون عثمان وعلياً وجماعة التحكيم، وكلاهما يلعن ويكفر الأمويين في حين ينبري الأمويون لقتل الفريقين. .

في هذا الظرف، ظهرت المرجئة لتقف من هؤلاء جميعاً موقف المسالم المحايد، فهي لا تعادي أحداً ولا تكفِّر أحداً، إنما تَدَعُ أمر حسابهم لله سبحانه وتعالى؟.

من تعاليم المرجئة: لقد نشأت المرجئة مذهباً سياسيّاً كما قدَّمنا، إلا أنها أخذت تبحث الأمور الدينيّة المتعلقة بموقفها السياسي، ثم تطوَّرت في العصر العباسي، وتسلَّل إلى تعالِيمها شيء من الفلسفة.

وأهم الأمور التي دار البحث حولها عند المرجئة هو مسألة تحديد الإيمان والكفر ومن هو المؤمن ومن هو الكافر؟.

والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب فقط، أو بعبارة أخرى هو معرفة الله

بالقلب ولا عبرة بالمظهر، فإن آمن المرء بقلبه فهو مؤمن مسلم، وإن أظهر اليهوديّة أوالنصرانية، وإن ترك الفرائض ولم ينطق بالشهادتيْن بل ولو ارتكب الكبائر. . .

أصل تسمية المرجئة: يرجح أن كلمة المرجئة مأخوذة من أرجأ أي أخَّر وأمهل، وذلك لأنهم يرجئون أمر الجماعة المتخلفين إلى يوم القيامة ولا يحكمون على أحد منهم في الدنيا؟. .

ويرى البعض أنَّ هذه التسمية مشتقَّة من لفظة أرجأ بمعنى بعث الرَّجاء، وذلك اعتماداً على رأيهم في تأجيل كلّ مؤمن عاص، ولِقولهم أيضاً: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة.

﴿ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾[1]

* * *

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

شهادة الدكتور بكري شيخ أمين الحلبي

وهذا ما كتبه الدكتور بكري الشيخ أمين/ أستاذ البلاغة والأدب في جامعات: حلب، واللبنانية، والرِّياض. وصاحب: (من أدب الحديث النبوي)، (الحركة الأدبيّة في السعودية)، (شرح المعلقات) إلى الدكتور أسعد علي صاحب المؤلفات الكثيرة ومنبع العلوم الغزيرة، ومنها: كتاب (المنتجب العاني وعرفانه) و(معرفة الله) و(المكزون السنجاري)، فقال: له فيما نُشر له في المقتطفات من روضات الآراء والقِيَم النقدية حول فنّ المنتجب العاني للدكتور أسعد علي، ص ٧ ما يلي:

١ ـ حدَّثوني عنك قبل أن أراك بأنَّك صوفيٌّ زاهد، وراهبٌ متنسك، وعفيف عريق، حدَّثوني أشياء وأشياء.. وشاقني أن أراك في عيني جسداً وروحاً.. وشاء الله أن ألقاك مرَّة، ومرَّة، ومرَّةً، وكأنَّ شيئاً من الظلم كان على ألسنتهم حين حدَّثوني عنك واستغفر الله أصفهم بالظَّالمين، فعذرهم الأكبر أنهم رأوك في ظاهرك، ولم يروك في أعماقك، رأوا فيك البحر الهادىء والمتموّج، رأوا فيك الصَّفاء والحياة، رأوا فيك الجمال والبساطة، ولكنَّهم عجزوا عن رؤية ما فيك من جواهر ولآلىء ويواقيت، لأنهم لم يسبحوا في أعماق بحرك، ولم يبتعدوا عن شواطئك أبداً، وفي الشواطىء جمال، ولكن ليس فيها كلّ الجمال، أما أنا فقد رأيتُك بعيني، ورأيتك في قلبي، وأبصرتُك في ذاتي وأحسستُ بكَ حياةً في شراييني وروحاً تعبق في كياني، وحلماً يتمثل في خاطري..

يا أسعد، في شاطئِكَ القريب سبحتُ كما سبح كثيرون فأحببْتُكَ كما أحبك الكثيرون، وزدتُ عليهم حين سبحتُ في عرض بحرك الروحيّ، وحين خضتُ في أعماقِكَ، وحين تبعتُك إلى نهاية الشوط الثاني، وعرفتُك أكثر مما عرفوك وفهمتُك أكثر مما فهموك، ولهذا فقد أحببْتُكَ أكثر مما أحبوك، لا تسلني.

يا أسعد، ما سبب حبِّي إياك، وما تعليل عواطفي نحوك.. لا تسلني لأنِ العاشق لا يستطيع أن يعلِّل سبب حبِّه، ولا يستطيع أن يحلِّل حقيقة مشاعره، ولئِن فعل أنه من الخاطئين..

٢ ـ وإذا أصررْتُ على تقصّي أسباب حُبِّي، وعلى إدراجي في زمرة الخاطئين فإليك بعض هذه الدَّوافِع، رأيتُ فيك القلب الذي فقدتُه، في معظم الناس، ذلك القلب الذي أحلُمُ به كبيراً، يتَّسع السموات والأرض، والإنس والجنّ، والبشر على اختلاف أديانهم، وعقائدهم وألوانهم، وصورهم...

يا أسعد، لقد خَنَقَتني ـ كما خَنَقَتَ الشرق كلّه ـ القلوب الصغيرة، والعيون الأصغر من القلوب، التي تنظر إلى الأصفر فتميزه من الأحمر وإلى الأبيض فتميِّزه من الأسود، وإلى النصرانيّ فتبعِّده عن المسلم، وإلى البوذيّ فتقصيه عن الكتابي، وهكذا كانت تُوسع شقَّة الخلاف بين أبناء التراب، وتكتب بيدها أقدار هذا وذاك، كأنَّ في أيديها مفاتيح السماء فتُدخِل في الرحمة من تشاء وتدخِل في العذاب منْ تشاء..

بهذه النظرة الصغيرة الضيقة يا أسعد تمزَّقنا فأصبحنا فِرَقاً وأحزاباً وشِيَعاً وفرقاً، حتى سهل تحطيمنا جميعاً، وإزالتنا كافَّة، وعُدت اليوم يا أسعد في صورة المنتجب العاني، ذلك الرجل الذي كان يهودياً ونصرانياً، ومسلماً وبوذياً، وغير نصرانيّ وغير مسلم، وغير بوذي، وغير برهمي، وغير صابئي، لأنَّه ما كان إلاَّ صوفياً..

والصوفيَّة في حقيقتها ـ سائلٌ من حبّ، يذوب في كيان الإنسان فيرفعه

من مستوى الإنسان الماديّ الصغير، إلى عالم الإنسان الروحيّ الكبير، فيصبح هو الكلّ بالكلّ لأنّه يتمثل في الكلّ بالكلّ، هذا جانب.

٣ ـ وجانب ثانٍ هو: اطّلاعي على شيء: ما كنتُ أعرفه في حقيقة من سمَّيناهم العلوية والنصيرية والأثني عشريّة والباطنيّة والفِرَق الأخرى المتفرقة عن الشيعة؟.

لقد كنت أصدِّق كلامهم حين أوهمُوني بشدّة الفروق وسعة الشقَّة، وضخامة الجنوح، وما كانوا يستندون في مزاعمهم إلاّ على صواغر وتوافه، وجزئيّات: ولم يكن في مقدوري، في الوقت ذاته أن أبحث الأمر بحثاً عميقاً، ولا كان في استطاعتي أن أتبيَّن صحَّة ما يدَّعون، وصدق ما يزعمون، أو كذب ما يأفكون، وكان الذنب ذنبي، أو كان ذنب شواغلي الدنيويّة الصغيرة التافهة، ولكنَّه كان يحزُّ في نفسي أن أرى نصف عالمي الإسلامي بعيداً عن الإسلام وسائراً في طريق الجنوح؟.

وحين قرأتُ منتجبك، وقفتُ على الحقيقة فرأيتُ أنّ الإفك في الدنيا كبير، وأن الظلم في الأحكام هو الشائع، وأن تمزيق عالمي الإسلامي الرَّحيب مقصود، ما أريد به، وجه الله وإنما أريد به وجه الشيطان؟..

وجئتَ أنتَ، وأنتَ الصادق، فلمحتَ ما تناثر، وجمعتَ ما تفرق، وأبَنْتَ ما غمض حين قلت في الصفحة الخامسة بعد الأربعمائة (٤٠٥): «ولكن الغاية بالباطن كانت أكبر من البداية، لأِن القلب ونواياه هما الأصل في نظر القرآن والنبي»..

ولكن الزمان تقدَّم بالمسلمين، وغاب عنهم النبيّ، وانتعشت أنانيَّتهم، ومالوا إلى شهواتهم ووجدوا مشقَّة في مراقبة أعمال القلوب فهجروها، ومالوا إلى أعمال الجوارح الظاهرة واكتفوا بها إلاَّ أن فئة من الخواص انتبهت لخطورة الإنحراف عن الباطن الذي هو الأصل، إلى الظاهر الذي هو الفرع، فالتزمت

تنفيذ تعاليم الإسلام بدقّة، وجاهدت لتبلغ درجة الإحسان، وهي أعلى درجات التوحيد، وقد وصفها النبي (ص) بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

إنَّ هذا حق لا ريبَ فيه، يتّفِق وكلّ دين، وينسجم وكلّ معتقد صحيح، فأين ما زعم الزّاعمون، وأين ما افترى المفترون؟.

٤ ـ والجانب الآخر الذي سعدتُ به يا أسعد، هو جانب التصوف.

ـ التصوف الذي أعنيه هو التفتيش عن الله وتعرفه.

ـ التصوّف الذي به تبقى مع الله على ما يريد، لا تملك شيئاً ولا يملكُكَ شيء.

ـ التصوّف الذي هو الحبّ بعينه، والذي هو كما أوردت الرّوح التي قصّت قصة الحب قطع لسانها فما تستطيع بعد كلاماً.

ـ الأم تتحدّث عن الحبّ؟ تحدّث عن أمر يُستطاع ذوقه، على المرء أن يصمت وقلبه يمزّقه الحزن... كن كالبحر، وأخبىء جواهرك في نفسك..

ـ التصوّف الذي هو سفر إلى الحق في طريق مستقيم، أو محبّة من تعليم الحبيب، فمن أحب جمال الحبيب آمن بلقائه، فهاجر وجاهد في سبيله راجياً منه الرحمة...

ـ التصوّف الذي هو رحلة الإنسان من السماء إلى الأرض ثمّ رحلته من الأرض إلى السماء وبعد، فما لي أراني أطيل الوقوف على التصوّف وتبيّن أهمّ مزاياه، وفي منتجبك انطوت تلك المزايا، إنْ لم أقُل: انطوت فيك أنت. والخ..

بيروت
الساعة الثالثة صباحاً
أخوك بكري

وهناك الكثير من الشعراء والأدباء والفلاسفة، والنقَّاد الذين صرَّحوا عن آرائهم المنصفة بما قاله وألَّفه واعتقده الدكتور أسعد علي، ومنهم: الأستاذ محمد حسن عوّاد الشاعر والناقد رئيس نادي جدّة الأدبي، ومنهم الفقيه الديني، كمدرِّس الجامع الكبير في بيروت، الشيخ محمد علي الزعبي، ومنهم الأكاديمي الجامعي: الدكتور أحمد مكِّي عميد كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، والدكتور عبد الكريم اليافي، أستاذ الفلسفة والجمال الأدبي في جامعة دمشق.. ومنهم الرسَّام والمسرحي كالشاعر الناقد محمد علي الخطيب، ومنهم الصحفي العامل للفكر، كالسيد شاهين ريشا.

ومنهم شعراء وعلماء دين.. كالشيخ محمد حمدان الخير، والشيخ عبد اللطيف ابراهيم.. والشيخ عبد اللطيف حبيب عيد الصالح.. والأستاذ حامد حسن.. ومنهم الأديب المهتمّ بالتاريخ الشيخ عارف الصوص وغيرهم.. ولنعود الآن لما فاض به القلم السيَّال لأديبنا وشاعرنا وفيلسوفنا الدكتور أسعد علي في منتجبه العاني ص ٤٠٣، حول الباطن أُمّ التصوُّف، فقال:

نظرة في كتاب (شفاء السائل لمعرفة المسائِل)

لإبن خلدون

بقلم الدكتور أسعد علي

في الكتاب حديث طويل حول الباطن والظّاهر، وبيان لحقيقة كلّ منهما كما يراها هو وسابقوه الذي اعتمد مؤلفاتهم مراجع لكتابه، كالرسالة القشيرية في علم التصوف للقشيري، وإحياء علوم الدين للغزالي، الكتاب تحديد جيِّد لنقطةٌ مُغيَّمة بكثير من الإبهام، أكَّد فيه ابن خلدون على أهمية علم الباطن الذي هو روح الشريعة ومنشأ التصوّف.. وأوضح مجاهدات المتصوِّفين لضبط القلب الذي يُصْلِح ضبطه كلّ الجوارح ويثمر أرقى غايات الدِّين، (الإحسان.. وبسط القول في أقسام تلك المجاهدات الثلاث: مجاهدة التقوى، ومجاهدة الإستقامة، ومجاهدة الكشف، وبيّن شروط كلٍّ منها، وقدَّم لذلك بأربع مقدمات، شرح في الأولى معنى الروح والنفس والعقل والقلب وكمالها وبروزها.. وشرح في الثانية كيفية اكتساب الروح للمعارف التي بها كمالها، وشرح في الثالثة السعادة، وأعلى أنواع السعادة: النظر إلى وجه الله.. وشرح في الرابعة لذة المعرفة الكثيفة، وأنها قد تحصل في الدُّنيا.. وبنى على ذلك ملاحظاته حول تطور كلمة التصوّف واختلافِ مَدْلولها وتعريفها، والباحثين فيها، واختلاف المذاهب عند المتصوفين... وتوقف عند الراسخين من المتصوفين.. وموقفهم الحذر من حيث ركب المشاهدة لما يحفّ برحلة

المشاهدة من أخطار.. ولم يخفَ أنّ توقُّفه عند المشاهدة مقصود لتبيان أمرين، الأول قيمة علم المكاشفة كثمرة للمجاهدات السابقة، والثاني دور الشيخ في هذه المجاهدات...

وهذا الأمر هو السبب الأصيل في إنشاء كتابه: (شفاء السائل لمعرفة المسائِل) والخ...

ويقول الأخ المؤمن الدكتور أسعد: راقبتُ مع ابن خلدون التكاليف المفروضة على العباد، وقد لخّصها الإسلام في تنظيم علاقتين: الأولى، علاقة الإنسان بربّه، وهذه تصل البحث من الجانب التعبُّدي. والثانية، علاقة الإنسان بالإنسان، وهذه تقود البحث إلى الميدان الإجتماعي، وللقيام بالتكليفين (ظاهر وباطن)، فالظاهر عبادات وعادات ومتناولات تقوم بها الجوارح، والباطن إيمان يقوم به القلب وصفات يتلون بها، وعلى هذا الباطن تقوَم روَح الشرع. وتأمّلت في استعداد الناس المتفاوت أزاء تلك التكاليف، وجدتهم ثلاث زُمر، فمنهم القادرون على استيعابها وتنفيذها تنفيذاً دقيقاً، يستوي فيه باطنهم وظاهرهم، وهؤلاء في درجة الإحسان، وهي أرقى درجات التوحيد... ومنهم من يقبل عليها مرة ويدبر أخرى، ولكنّه عند إقباله يحاول التوفيق بين ظاهره وباطنه، ومثل هذا في درجة الإيمان، وهي تلي الدرجة السابقة.. ومنهم من يقبل على ظاهر تلك التكاليف دون اهتمام بالباطن، فقد يكون باطنه مخالفاً لظاهره ومثل هذا في درجة الإسلام، وهي بهذا الإعتبار أدنى درجات السلم التوحيدي... وقد عرف تاريخ المسلمين الأول هذه الفئات الثلاث.. ولكن العناية بالباطن كانت أكبر في البداية، لأن القلب ونواياه هما الأصل في نظر القرآن والنبي... ولكن الزمان تقدم بالمسلمين، وغاب عنهم النبي (ص) وانتعشت أنانيّتهم، ومالوا إلى شهواتهم، ووجدوا مشقّة في مراقبة أعمال القلوب فهجروها ومالوا إلى أعمال الجوارح الظاهرة واكتفوا بها.. إلا أنَّ فئة من الخواص انتبهت لخطورة الإنحراف عن الباطن الذي هو الأصل، إلى الظاهر الذي هو الفرع، فالتزمت تنفيذ تعاليم الإسلام

بدقَّة، وجاهدت لتبلغ درجة الإحسان، وهي أعلى درجات التوحيد وقد وصفها النبيُّ (ص) بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، وقال (ص): «إنَّ في الجسد مضغَة إذا صلحت صلُح الجسد، وإذا فسُدت فسد الجسد، ألا وهي القلب». .

شفاء السائل، ص ٥

وقال (ص): «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». .

صحيح مسلم (نووي ٩/٤٥٨ ـ ٤٥٩).

وقال (ص): «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هجر إليه». .

شفاء السائل، ص ٩

وعلى هذه الفئة من الخواص أطلق الجمهور إسم (الصوفيّة) أو أهل الباطن، وأطلقوا على نزعتهم اسم (التصوّف) وصار فقه الشريعة على نوعين: الأول، فقه الظاهر، ويهتم بأفعال الجوارح والأفعال الظاهرة، وأهله أهل الفتيا في الدين، والثاني فقه الباطن، ويهتم بأحكام أفعال القلوب، وأهله أهل القلوب، وأهل الباطن، وأهل الورع والآخرة وأهل التصوّف. . وبذلك يكون التصوّف عودة لإحياء روح الإسلام، وانتشال باطنه بالرِّعاية والمراقبة ويكون المتصوّف مسلِماً دقيق الفَهم (للسِرِّ المحمَّدي)، والمنتجب العاني يستعمل كلمة الباطن كثيراً، كما رأيناه يستعمل كلمة العرفان ولا يستعمل كلمة التصوّف، ومع ذلك ندرسه متصوّفاً لأنّنا انطلقنا من اعتبارين (علم الباطن مساوٍ لعلم التصوّف) وهو اعتبار لم نصطنعه وإنما اعتمدناه من معطيات حضارتنا الإسلامية مع مراقبي تطور المفاهيم فيها، من النواحي الإجتماعية والروحيّة كالقشيري والغزالي. . وابن خلدون. . فما هو تصوُّر المنتجب للتصوّف؟ . .

قبل المضي في استقراء شعره لا بدَّ من التأكيد مرَّة أخيرة على أن المقصود بكلمة الباطن ومشتقاتها: هو عين المقصود (بالتصوُّف) ومشتقَّاته..

نظريَّة علم الباطن: (المنتجب العاني) يقدِّم تصوُّراً متكاملاً لنظرية علم الباطن وأقول متكاملاً لِأن أشياخنا: القشيري والغزالي وابن خلدون بحثوا نصف النظرية، فمذهبوا بالباطن باطن الإنسان وتوقَّفوا عنده وسمّوه علم الباطن، وعلم أفعال القلب، وعلم الورع وعلم التصوّف وغير ذلك، وكان اهتمامهم منصبّاً على (الباطن الإنساني)، أما المنتجب فقد اهتمّ بالباطن الإنساني وصفَّاه، ولكن لغاية أخرى تتجاوز باطنه الإنساني.. إنَّ هذه التصفية تحمل شوقاً لوصال الباطن الإلٰهي والإتحادية... وهذا ما سمَّاه سِرَّ دينه وأصل معتقده، عندما قال في قصيدته(التوحيد):

وربَّ خِلٍّ أتى يسائلني عن سرِّ ديني وأصل معتقدي
فقلتُ: غير التوحيد باطنُه بباطني اليوم غير متَّحدِ

التوحيد كما أسلفنا، قاعدة تنظيم صلة الإنسان بخالقه، وإخلاص التوحيد إقبال كليّ على الله، بشهادة أن لا إله إلا الله وحده، والإقبال الكليّ على تكاليف الله للإحسان مع مساواة الباطن والظاهر، ذلك هو الإحسان.

والإحسان غاية المتصوّفين، يعكفون على تنقية بواطنهم بالمراقبة والمجاهدة حتى يبلغوا هذه المرتبة القصوى من العبادة وهي مرتبة المشاهدة لله سبحانه... ولكن الشهادة لله بالألوهية، وما يتبعها من أركان التوحيد، تكاليف واحدة للجميع، فشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحجّ إلى بيت الله الحرام، والإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورُسُلِهِ، واليوم الآخر... كل ذلك دون مستوى الإحسان الذي يجاهد من أجله العارفون، ولا يرتضون عنه بديلاً..

فأصل معتقد شيخ الطَّائفة المظلومة المضطهدة البريئة (المنتجب العاني)، وسرّ دينه هو معتقد، وسرُّ دين كلّ علوي أو نصيري كما يسمّونه

مردّداً قوله (ليس لنا إلاّ مُوالاَتنا لآل طّه عندهم ذنبُ)، ومَن كان يعتقد غير هذا الإعتقاد، ويدين بغير هذا الدّين، فالعلويّة السمحاء والعلويون المؤمنون منه ومن معتقده براء، وهنا تبدو لي ملاحظة أرجو الإلتفات إليها: وهي العلم كلّ العلم بأن ليس كل من ولد في الجبل العلوي علويّ، ولا كل من ولد بجبل الأكراد كرديّ، أو في جبال لبنان لبنانيّ، أو بدمشق عاصمة بني أمية أمويّ سنيّ..

والمسلم العلوي: علويّاً شيعياً جعفرياً إمامياً إثني عشرياً، سنيّاً مستنّ بسنّة رسول الله (ص) سواء وُلد في جبال العلويين أو في جبال الهملايا، وهنا يطل علينا أخ كريم منصف متحرّر رأي بعينيه وسمع بأذنيه ولم يرَ بأذنه ويسمع من إذاعة إسرائيل وهو الشيخ محمد علي الزعبي، مدرِّس الجامع الكبير في بيروت، يطلُّ علينا بكتابته الناصعة البياض كبياض قلبه النقيّ فيقول في افتتاحية رسالته:

بسم الله الرحمن الرحيم

ساعات مع كتاب (المنتجب) للدكتور أسعد علي، بقلم الشيخ محمد علي الزعبي، آه ما أسعدني، حين أقضي الهزيع الأخير من الليل على مائدة المنتجب، ليساعدني على إزاحة الظُلمات القائمة على شفا المفاهيم الملْتوية.. ما أسعدني حين أعود للمفاهيم النقيّة التي أودعها صاحب المنتجب أعناقنا فغطّيناها بثوب جهلنا المخيف..

ما أسعدني حين أسمع المنتجب يطيِّبُ أمثال أصحاب (الأعياد) و(الهفت) وسواهم يا من فاتهم أن جميع الكتب ـ إلا كتاب الله ـ تضمُّ الغثَّ والثمين..

يا من فاتهم أن المذاهب والطوائف قامت في الأصل على نظريات دنْيَويّة ألْبسها تُجّارها ثوب دين..

عَرِّضوا رواسبكم لشمس المنتجب.. ولا ريب أنكم مردِّدونَ مع أبي الطيب: (ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا).

محمد علي الزعبي

شهادة الدكتور الشيخ محمد علي الزعبي البيروتي

١ ـ هل سمعتَ بالرجل الذي أورثه أبوه كنوز الأرض، وهو يعيشُ بالفقر المدقع والحرمان المخيف، هو نحن المسلمين. .

لقد أورثَنا أبونا (الإسلام) مجد الحياتين، وأعدَّنا للسعادتيْن، وحرَّرنا من عبادة العبيد وافْتَدانا بدمِ الحسيْن وحفيدِه زيد. . ومن ضربوا على هذه الوتيرة من التعاون مع غير ذابِحي الشورى بسيفِ ولايات العهود، كنَّا نستعذبُ الموتَ بالسَّيف خشيةَ موت الذلّ والإهانة الذي حذَّرنا من خطره رسول الله بقوله: «لتأمُرنَّ بالمعروف وتنهون عن المنكر، أو ليُسلِّطَنَّ الله عليكم أشراركم فيدعوا خياركم فلا يُستجاب إليهم». .

لم تكن كلمتنا حول إحياء مبدأ الشُّورى متغايرة، ولم تكن استماتَتُنا في سبيلها تشمل بعضنا دون بعض، حسبُنا هذا النصّ كنموذج:

(قال أبو حنيفة للفضل بن زياد: قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوِّك فاستعِن بها أنت وصاحبك). .

وقال الإمام الصَّادق: (رحم الله أبا حنيفة، لقد تحققت مودّته لنا في نصرتِه لزيد).

إذن، لا إماميَّة ولا زيديَّة ولا حنفيَّة. . . بل نحن يد واحدة، أدمت

نفسها، محاولة انتزاع الزِّمام من يد الذين استبدلوا الذي هو خير بالَّذي هو أدنى طريقاً واحداً سلكناه وإنْ تفاوتَتْ خُطانا، وسبَقنا في تخطيطه، أمير المؤمنين عليّ مُذْ قال: (هذه الأمة لم تختلف في دينها، بل في الدِّينار والدِّرهم).

إختلافنا حول الدِّينار والدِّرهم، خلع علينا أردية سياسيَّة متعدِّدة، التحفها الإستغلال السياسيّ وتاجر بها، وأقام من الأمة الواحدة أُمماً أصابها في الكبد سهم ابن رشيق:

وتفــرَّقــوا شِيَعــاً فكــلُّ قبيلــةٍ فيهــا أميــر المــؤمنيــن ومِنْبَــرُ

وما لبثوا أن عرضهم الواقع مجموعات متنافرة تُذكِّرنا بكلمة جبران خليل جبران: (رُبَّ قوم أرادوا أن يكونوا كلّهم رؤوساء فأصبحوا كلّهم أذنابا).

أراد هذا الواقع أمتنا الواحدة طوائف ومذاهب، وأغناماً لا تجتمع إلاّ تحتَ راية التجّار الذين أسلموها إلى مسلخ الإستعمار..

ودفعنا الحفاظ على ما بقي فينا من رمق، لزيارة بعض أعضائنا الَّذين كدنا ننساهم أو كادوا ينسوننا، السويداء وحاصبيا وقُرى اليزيديين في شمال سوريا، وألقينا عصا الترحال في القرداحة منذ ربع قرن صيف عام ١٩٤٥، حلَلْنا القرداحة نحن ثلاثة شيوخ، هاشم الدفْتَردار المدَني، ناجي أبو صالح ـ حلب ـ، محمد علي الزعبي، نزلنا أهلاً منازل أخوتنا آل الخيِّر، نزلنا وما لبثنا أن تذكَّرنا الصيَّاد الذي شاهد شبحاً فخاله كاسراً، وما أن اقترب منه حتى تحقَّقه إنساناً، لكن ما إن تعارفا حتى أدركا أنهما شقيقان:

إبتعدا حتى خالا نفسيهما من فصيلتين، ثم اقتربا فإذا هما شقيقان.

عُدنا من القرداحة بعد أيّام لا ننساها، فأخذنا، نعاود زيارتها المرّة تلو المرة ونردِّد في دروسنا ومنابِرَنا، بل ونصدرُ كُتباً وننشر في المجلاّت، ما ذكّر القرّاء بأن انكماشنا وتقوقعنا خلق فوهةً نفذ منها الغُزاة، ولا نذيع سرّاً إذا

همسنا بأذن القارىء، إنا نصحنا الآخذين بزماننا حينذاك، وأعلنّا النصيحة على منبر جامع العجّان باللاذقية وفي حلقة الدرس التي كنّا نعدّها على سطح جامع الشيخ ضاهر، بل وصرّحنا باجتماعات مسؤولة أنّ عدم الأخذ بنصائحنا سيفضي لكوارث ستتمخض عنها الأيام. . .

«وبالإستئذان من الشيخ المنصف أقول: ها قد تمخضت عنها الأيام، وما يجري في لبنان، وإيران، والعِراق، وما جرى في حماه وحلب ودمشق واللاذقية أكبر شاهد على ذلك وأصدَقُه». . ربع قرن ونحن نسير بهذا الطريق مستأنسين بتجارب وتوجيه الشيخ عيد الخير والشريف عبد الله بك، ونتأبّط الكتب التي تأخذ بيدنا إلى الطريق الأقوم كمؤلفات الشيخ سليمان الأحمد وما نشره في خُطط الشّام محمد كرد علي.

ربع قرن ونحن دريئة لأسهم المصابين بقصر النظر الذين اتّخذوا المخطوطات التي لفّقها المستشرق الإلماني شتروتمان مصدراً لدراستهم ولا يدرون أنّ الكولونيل جاك حين اختلق كلمة علويين[1] عام ١٩٢٩ رمى حجراً فأصاب منّا مقتلاً، لأنه أراد التفريق بين الأخوَيْن. . لقد استنشق ذوو الأنوف ما وراء كتاب جاك ولا يزال يجهله معدوموا الأنوف، ربع قرن ونحن دريئة لأسهم الراسِبين:

أمّا بمستنقع عصور الإنحطاط أو التخلف أو الطائشين على شبرٍ من المبادىء التي ملّها سوانا فأرسلها لنا نفايات. .

وها قد أمدَّنا الله بجنود من عنده تجسدت أخانا الدكتور أسعد علي منذ أقبل حاملاً كتابه المنتجب. . المنتجب؟؟؟

---

(١) يقول المحقق: نحن لا نشاطر الشيخ محمد علي الزعبي رأيه هذا في تسمية العلويين، فهي كلمة قديمة الإستعمال على الشيعة ترقى إلى العصر الأول للهجرة، وكانت تطلق على أنصار الإمام علي (ع).

سبحان الله طالما سهرنا ليالي الصَّيْف الجميلة تحت شجرة المعرفة ـ كما كان بعض أخوتنا يدعوها حينذاك ـ في منزل الشيخ عيد الخير، وتجاذبنا الأحاديث حول ماضي وحاضر جبل النصيرية أو الأنصار كما دعاه الأستاذ البحّاثة محمد عزّة دروزه، ولم نعرف حينذاك عن المنتجب إلا ما يعرفه المستعمرون عن الوفاء بعهود العرب.. كنا نسمع اسم المنتجب ويفوتنا مسمّاه، كأننا نردِّد مع الشافعي:

كُلَّما أدَّبني الدَّهْرُ أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددتُ علماً زادني علماً بجهلي

توفي المنتجب أو الشيخ منتجب العاني، بعد أن أورثنا الفكر الثمين المستقيم الذي جسَّده كتاباً، صبر على مرارة الأسر في إحدى خزائن إيران عشرة قرون، وبعثه الأستاذ أسعد علي واستحقَّ بتحقيقه شهادة الدكتوراه، فجاء شمساً أشرقت بعد احتجاب قرون وأنشد الذين نعموا بالنَّظر إليه: (قطعت جهيزة قول كلِّ خطيب)، ألا ما أسعدني حين أقضي الهزيع الأخير من الليل على مائدة المنتجب ليساعدني على إزاحة الظلمات القائمة على شفا المفاهيم الملتوية..

أنا أشدّ سعادة وأجدر بترديد كلمة: لو علم الملوك ما أنا فيه من اللذة لنازعوني إيّاها، ما أسعدني حين أعود للمفاهيم النقيَّة التي أودعها صاحب المنتجب أعناقنا، فغطَّيناها بثوب جهلنا المخيف، ما أسعدني حين أعلم أنَّ المنتجب والخصيبيّ والحنبلانيّ: أقطاب فقهٍ وزهدٍ وأساطين إصلاحٍ يضربون على وتر الذين استماتوا ليسمع المنحرفون.. (أمّا أن تعتدلوا وأما أنْ تعتزلوا)..

ولا يضرّهم إن حاولنا تشويه تراجمهم وألصقنا بهم ما يبرؤون إلى الله منه، وخلقنا من أمتنا قطعاناً لنعيش على أنقاضها رُعاةً...

ما أسعدني حين أرى أركان الإسلام العلمية قائمةً بيد هؤلاء الأقطاب بل

وأرى جراحهم في ساحة الدفاع عن المفاهيم السليمة. .

مرّة ثانية أستأذِن أستاذنا الكبير لأُقاطعه قائلاً بلسان حال كلّ علويٍّ:

أولئك أصْحابي فجئني بمثلِهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامِعُ

ما أسعدني في حين أتمتع بالتفسير السليم الذي ينادي: إنّ الإمام المبين هو القرآن الكريم نفسه، وأسمع من الشيخ منتجب ما سمعته من الشيخ الكفرفوقي:

إنْ شئْتَ أن تلقى لجرحكَ مرهماً   فكتاب ربّ العالمين المرهمُ

ما أسعدني حين أسمع المنتجب يطبِّب أمثال أصحاب (الأعياد) و(الهفت) وسواهم من الَّذين فاتهم أن (ع.م.س) لا تعني ألوهيّة مثلثة الأقانيم، بل عباداً مكرمين، أي لا تعني التجسُّد والإشراق والفيض والتبعيض وما إلى ذلك من مفاهيم أفلوطينية، رمانا بها عصر الترجمة، وانسلَّ تاركنا نجترّ الخِسَّة والضدّ والمضدود، للمرة الثالثة أستأذن أستاذنا لأُقاطعه معبّراً عن حقيقة حقّ معتقد كلّ علويّ وهي البراءة من كلّ من يجسِّد الباري تعالى أو يبعِّضه أو يحدِّده بحدود أو يجعل له كيفيَّة وأينيَّة، أو يقول فيه تعالى إلا بما نسب نفسه بسورة الإخلاص، من بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿قُلْ هُو الله أحد، الله الصمد، لم يلدْ ولم يولد، ولم يكنْ له كفواً أحد﴾.

رحِم الله المنتجب، لقد أشرق علينا، إشراق البدر على المدلجين، وحفظ الدكتور أسعد لأِنه استطاع أن يمتِّعنا برؤية بدرٍ حجبته غيوم جهلنا عشرة قرون. .

ألا، يا من لا يزالون الآن بغرف المخطوطات الرطبة، فرحين بتعدُّد طبقات الهفت، جاهلين الأهداف التي توخّاها طابعوه. . يا من فاتهم أنَّ جميع

الكتب إلا كتاب الله تضمّ الغث والثمين، يا من فاتهم أنَّ المذاهب والطوائف قامت في الأصل على نظريات دنيوية ألبسها تجّارها ثوب دين، وكشف أبو العلاء مخطّطاتهم بقوله:

إنمـــا هـــذه المـــذاهـــب أسبـــاب لجلـــب الـــدنْيـــا إلـــى الـــرّؤســـاءِ

كالّذي قام يجمع الزنج بالبصرة والقرمطيّ بالإحساء، يا من فاتهم هذا وأمثاله، عرِّضوا رواسبكم لشمس المنتجب، ولا ريب أنّكم مردَّدون مع أبي الطيِّب... ومن ورد البحر استقلّ السواقيا....

والحمد لله رب العالمين.

بيروت في ١١ من جمادى الأولى، ١٣٩١
و١٧/ ٤/ ١٩٧١
محمد علي الزعبي
مدرّس الجامع الكبير في بيروت

وهذا علم من أعلام الأدب والفقه والتاريخ وركنٌ من أركان التُّقى والصَّلاح والهُدى والإيمان، ومرجعٌ كبير من أهل المرجعيّة لدى الفئة المظلومة المفترى عليها، الذي أبَتْ عليه عروبته وأبى عليه إسلامه وتشيّعه وعلويّته، وأبت عليه شهامته ورجولته وعبقريّته أن يسكت على التجنّي والإفتراء والحقائق المزوَّرة، فطالعَنا بالمخزون من علمه وأتحفَنا بالنبأ اليقين عن العلويِّين ونقَّب عن مصادِره في بطون كُتُب التاريخ غير المحرَّفة أو المزوَّرة أو المتلاعب بها بالأقلام المأجورة وبأيدي سماسرة الكتَّاب ومأجوري الحكَّام ومستزلميها..

ولِغناهُ عن التعريف ولِفقرنا إلى معرفته لا بدَّ لنا أن نقول إنَّ هذا الركن الوثيق من أركان شيعتنا هو الشيخ محمود الصالح من قرية الزلّلو بمنطقة بانياس السّاحل بمحافظة طرطوس، وكان بودِّي أن أقتطف بعضاً من رياضه اليانعة العميقة الأغوار وخاصة من كتابه (النبأ اليقين) فوجدتُ نفسي حائراً وصحّ فيَّ المثل القائل: (إذا أردتَ أن تحيّره فخيِّرهُ)، ولكي لا أضيع في متاهات الحيرة فاخترت مقدمة الكتاب بمجملها لأزيِّن بها صدر هذه المجموعة المنتخبة المختارة والّتي ستكون وإلى الأبد الصخرة الصمَّاء والتي تتكسَّر لقراءتها ومطالعتها الرؤوس الجلموديّة والّتي امتلأت أدمغتها عفناً وكذِباً وتحامُلاً وزوراً وبهتاناً.

وكان لرأي وشهادة العلماء الذين زيَّلوا النبأ اليقين بشهاداتهم الصَّادقة لله

وللتّاريخ أعظم الأثر وأكبر التشجيع للتسلّح بهذا السلاح الفتّاك والذي تكفّل بتدمير حصون البغي وعروش البُغاة، فنقرأ معاً ولنقرأ جميعاً وليقرأ العالم قوله تعالى: ﴿قُل جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾.

وقفة مع كتاب النبأ اليقين عن العلويين
للشيخ محمود صالح الزلّلو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدى، استشهد العقول على قدمه بحدوث خلقه وعلى قُدرته بعجز ما سواه، والصّلاة والسلام على عباده الذين اصطفى لهداية خلقه وإبلاغ وحْيِه، وعلى أقربهم منه وأحبّهم إليه، سيّدنا ونبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله، أئمّة الهدى من أهل البيت العترة المطهرة، المعصومين البَرَرة، وعلى المستضيئين بأنوار هِدايتهم والمستمسكين بحبل ولائِهم إلى يوم الدِّين..

أما بعد، لقد تطلعت في صفحة الوجود إلى ما وراء الحاضر، فتبيَّنْتُ بعد تمعُّن وإعمال فكر ورويّة أنّ الفرقة العربيّة المسلمة العلويّة، قد رمتْها في ظلمات الأجيال الغابرة ألسنة المفترين وأقلامهم بشتّى التُّهم والإفتراءات، تمشّياً مع مصالح ساسة تلك العضور وأهوائهم..

وأشدّ ما يؤلم الضمائر الحيّة ويحزُّ في النفوس الحسرة أن كان شرّ ما لقيته باسم الدِّين، والدِّين من ذلك بُراء، وإنّما هو اعتداء سافر على الدّين وأهله، أصدره بعض المتجرين بالدّين فتيا باطلة ظالمة، كان بمقتضاها ما حاق بهذه الفرقة من تقتيل وتخريب وتشريد، مما حدا بها إلى الإنطواء على ذاتها قروناً طوالاً تفادياً من مآسي تلك العصور الرَّهيبة.

فدفعني حبّ الإنتصار للحقّ المهيض والرّغبة في إظهار الحقيقة المعماة لتأليف هذه العجالة، وسميتُها (النبأ اليقين) عن العلويين، متناولاً فيها بإيجاز أوضاعهم في شتى مراحل حياتهم، ومفصحاً عن مشكل تلك التُّهم المفتراة عليهم، مع علمي بخطورة هذه السبيل ووعورة هذا المسلَك لقلّة مصادر ما أنا في صَدَدِهِ، إذ أنَّ التاريخ ـ ولا ريب ـ حليف المنتصر ولكنّي اتّكالاً على سمة مفاهيم مفكري هذا العصر الحرّ، واعتماداً على وعي الجيل الحاضر أقدمت على ما أقدمت عليه واضعاً بين يديّ الجمهور الكريم حقيقة العلويين بهيكلها الذّاتي، عارية من كل طلاء ومجرَّدة من كل زيف، مستنداً على ما وصلني من مصادر خطيّة وسماعيّة، يقرها النقل ويقبلها العقل، ولا أدّعي من العلم بلوغ المنزلة التي تصبو إليها نفسي ويطمئنُّ لها قلبي.

وأعظم الغرض وأشرف الغاية مما أكتبه عن هذه الفرقة العربية المسلمة، رفع أغشية الجهل بها عن المسلمين، كي يستوضح الحقّ أهله وتمحي صُوَر العذر لمنكريه، وأعلى من ذلك رجاء حصول الوئام بين فرق الإسلام، لأدفع الظلم والمفتريات عن العلويّين، بل الدعوة إلى توحيد الكلمة وجمع فرق الأمة تلك هي الغاية مِن وضع هذا الكتاب..

محمود الصالح

توطئة وتمهيد

لم تكن في العلويين كتابة خاصة تفيد الفائدة المرجوّة عن تاريخهم والأدوار التي مرَّت بهم، وإذا وُجد عنهم بعض النتف المبعثرة فقلّما تكون الحقيقة ذاتها، لأن التحامل السياسي كان يطبع صُوَر الحوادث بطابع خاص لينطبق ضرورة على نزعات الساسة وأهوائهم مما جعل التاريخ يعمي الحقيقة أو يغمض فيها.

والمتأمِّل المنصِف يرى بثاقب بصره ونفاذ بصيرته، ما ذاق العلويون في ماضيهم الرَّهيب من ألوان العسف وضروبه، ويعاين ما عانوه في مراحل حياتهم الغابرة من مظالم سلبتهم حق مركزهم في الهيئة الإجتماعية، ولكنَّها مااستطاعت ولن تستطيع أن تسلبهم تراثهم الخالد (عروبتهم ودينهم). .

فالعلويون عرب لا يَشِكُّ في عروبتهم من رُزِق حسن الإنتفاع بالإطِّلاع على مضامين السير والتاريخ واستفاد من معرفة ما تحققه أقوالهم وأفعالهم من جميل الصفات في العرب الأكرمين، إذ تبيّن ـ ولا ريب ـ من متابعة مجريات أوضاعهم وأحوالهم أنهم رغم ما نزل بهم من حوادث وألمَّ بهم من مظالم كانوا وما زالوا يحتفظون بكلّ ما تصدق عليه مفاهيم العروبة الإسلامية من أخلاق وخلائق، وعادات وتقاليد، وحسبهم بيِّنة على أصالة دمِهِم العربيّ وأنسابهم المنتهية بالتنوخي، والغسَّاني، والكندي، والطائي، والتغلبي، وغيره، وكفى بها شاهداً عدلاً لثبوت عروبتهم ودحض أكاذيب المرجفين المغرضين.

هاجر العلويون إلى هذه البلاد من مختلف أنحاء الجزيرة العربية مع من

هاجر إليها من العرب قبل الإسلام وبعده فُرادى وجماعات، انتجاعاً للكلأ والماء، ولجوءاً إلى هذه المعاقل الحصينة من جور الطّغمة الحاكمين غير العرب، فكانت هجرتهم سياسيّة واقتصاديّة وعلى أكثر من دفعة واحدة، ذكر ذلك الأستاذ (منير الشريف) في كتابه (العلويون من هم وأين هم) فقال:

«لم تكن هجرة العرب الّذين سُموا بالعلويين مؤخّراً إلى جبالهم على مرّة واحدة، بل على عدة مرات جماعات وأفراداً، وهجرتهم جماعات كانت على ستّ مرات على ما أعتقد، الهجرة الأولى، قبل المسيح ومحمد (ص) وبين عهدَيْهِما، والثانية بعد محمّد في عهد الفتح العربيّ الإسلامي، أي في سنة ١٣هـ و٦٣٦م، وما بعدها، والثالثة، في القرن الخامس للهجرة بعد ظهور مذهب النصيريّة والبلاء الّذي صبّ على الذين اعتنقوه، وذلك من قِبَل الحكّام المسلمين غير العرب، والرابعة في أوائل القرن السابع للهجرة في زمن الأمير (حسن بن مكزون)، والخامسة في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة بعد الحملة الكسروانية سنة ١٣٠٥م، والهجرة السادسة كانت عند اجتياح (ياوز سلطان سليم التركي) للبلاد سنة ٩٣٣هـ و١٥١٦م، وبين هذه الهجرات العامة كانوا يهاجرون أفراداً إلى الجبل طلباً للرّزق أو هرباً من الضغط والعذاب للإحتماء بأبناء طائفتهم هناك[1].

ولقد فصّل العلاّمة المطران (دبس) في كتابه (الجامع المفصّل) وأوضح المؤرخ (عيس اسكندر المعلوف) في كتاب (دواني القطوف) ما حدث لعلويّ لبنان في حوادث سنة ١٣٠٥م، وهجرة بعضهم إلى جبال اللاذقية وإنطاكية، إحتماءً بإخوانهم فيها من عوادي رجال (محمد بن قلاوون) من سلاطين المماليك البحريّة، وقد أمرهم بإبادة الطوائف الشيعيّة في جبال (كسروان) من لبنان، إذ كانوا أصحاب البلاد آنئذٍ.

---

(١) العلويون من هم وأين هم، للأستاذ منير الشريف، ومن أراد زيادة في معرفة هجرة العلويين وأسبابها فليرجع إليه.

إستوطن العلويون هذه البلاد قديماً واتَّخذوا الإسلام الحنيف ديناً والولاء لآل البيت الطَّاهرين مذهباً. ولوجود فجوة من جفاء بين المسلمين العرب بسبب الفارق المذهبيّ السنيّ والشيعيّ، وجد اللاّمِسلمون ودُخَلاء الإسلام من الشعوبيين مغمزاً لبث مفاسدهم في جسم الوحدة الإسلامية فعملوا على إيجاد ثغرة أبعد مدى، وأقرب هلكة ينفذون منها إلى نيل غاياتهم ويبسطون بها ظل سلطانهم، فسلك بعض الدخلاء مذهب التشيُّع، وانتحى بعضهم مذهب التسنّن، مظهِراً كلٌّ منهم تمسُّكه بمذهبه الذي انتحله وتعلُّقِه الشديد به وكلّهم معاول هدَّامة في بناء وحدة الأمة[1] وعن هذه الطريقة تمكَّن أولئك الإنتهازيون من نفث سموم التفرقة وزرع بذور الشِّقاق، فانهال بعض المسلمين على بعض بأقسى قوارص التُّهم التي لا تزال بقاياها مستحكِمة في عقول الجهَلة، ومصطنِعة في نفوس المرتزقة والمغرضين، وكم بين أولاءِ وأولئِكَ مَن يظُنُّ بالعلويين الظنون ويحوك لهم من نسيج الأباطيل ما تضيق به نفوسهم وأجسامهم، فيخرج بهم عن ربقة الإسلام معتمداً على قِلَّة وجود الجوامع في أوساط قراهم، وهو يجهل أو يتجاهل الأسباب التي حدثْ بهم إلى التقاعس عن القيام بواجبهم الدينيّ وإعلان شعائرهم الإسلامية على الوجه الأكمل، ولكن المتحرر من آثار التعصُّب الأثيم الواقف على سير أوضاعهم المؤلِمة يعلم يقيناً مبلغ تمسكهم بأحكام الدِّين الحنيف وأخذهم بتعاليم الشريعة الغراء، ويشهد على ضوء الحقيقة بإسلامهم وإيمانهم، إذْ أي المنصفين، تتبَّع الحوادث التاريخية ووقف على التشريد المرير الذي أعقبته فيهم مجازر السطان (سليم العثماني) الرَّهيبة ولا يدرك الحقيقة الرَّاهِنة التي حالت بينهم وبين بِنائِهم الجوامع وقيامهم بالشعائر العلنيّة، تلك الفظائع المنكرة التي يندي له جبين الإنسانية خجلاً وحياءً، والتي درج عليها وُلاة الأمر بعده وكفل إحياءها في

---

(١) إشارة إلى ما أحدثه المغول والتتر وغيرهم من الشعوبيين في صفوف العالم العربي من تمزيق وفي نفوسهم ودورهم من قتل وتخريب إضعافاً لعددهم وعدتهم.

النفوس ساسة تلك العصور المظلمة الذين فتحوا آذانهم لإسماع أكاذيب الدسَّاسين، من لا همَّ لهم إلا إذكاء الفتنة في صدور الأمة فقضوا بإبعاد العلويين عن حظيرة المجتمع، وألزموهم نكران ذواتهم بما ألحقوه بهم من عواد ومفتريات، حتى أن أحدهم كان لا يستطيع الظهور على مسرح الحياة معلِناً تشيّعه، ولا ذنب لهم إلاّ صدق ولائِهم لأئمّتهم الطّاهرين (ع) وإلاّ أصالة دمهم العربي الذي أراد أولئك الشعوبيون تقديمه قرباناً على مذبح العنصريّة، إرضاءً لعواطفهم الحقيرة، ولم يكن العلويون وحدهم غاية أولئك الجائرين بل العنصر العربي كلّه، ولكن العلويين أمسوا كبش المحرقة، فقد أرغموهم بما ألحقوه بهم على كتمان ولائِهم وسموا ذلك باطنيّة إسكاناً لإخوانهم العرب عامّة على التنكيل بهم، واتّخذوا من صدق حُبِّهم ومحض ولائهم لأئمتهم المعصومين حافزاً لإخوانهم اللاّشيعيِّين خاصة على النيل منهم، وما نقموا منهم إلا أن آمنوا بعروبتهم وحق آل بيت نبيهم، وتمسّكوا بحبل ولائهم، ذلك الولاء الذي أسرف أعداؤه بإلحاق الأذى بالأبرياء من أنصاره، وأفرط أهل البِدَع بالدِّين على الخلصاء من تابِعِيه، وبديهي أن يكون العلويون وهم من أوليائه المخلصين بعض ضحايا أولئك المعتدين المفترين، الذين تفنَّنوا بأساليب الكيد لهم والإنتقام منهم، فلفقوا عليهم التُّهم واختلقوا عليهم الأكاذيب، واتّخذوا من باطل ماتخرّصوه عليهم ذريعة للإيقاع بهم، ولم تكن تلك الدَّسائس المحوكة والمكائد المدبَّرة التي أحكم فتل حبالها المغرضون إلاّ خطة مرسومة غايتها تجريح العلويين في معتقداتهم ليستحيل عند الإعتداء عليهم وجود من يرحمهم في الأمة أو يرثي لهم.

وغير خفي أنَّ الطعن في معتقد الفئة المناوئة لأصحاب السلطان كان في تلك العصور من الأساليب السياسيّة المبرِّرة لأعمالهم الوحشيّة فيها وسوء معامَلَتهم إيّاها..

وهكذا فقد دسَّ في أوساط العلويين تنفيذاً لخطَّة الطعن والتجريح مرجفون من غواة الفرق البائدة التي من الظلم نسبتها إلى الشيعة، مِمَّن

يسمُّونهم غُلاة الشيعة، الذين آن لرقعة الأرض أن تتخلّص منهم، فلا أحسب أن فيها اليوم منهم أحداً، ولم يأن للشيعة وخاصة (العلويين) أن يتخلّصوا من وباء ادِّعائهم وفساد آرائهم، وأنْ يخلصوا من أرجاف منافقيهم الذين تسنّى لهم تخلّل صفوف العلويين والإمتزاج بهم، خلال ما مرُّوا به من مراحل شاقَّة وتجارب قاسية، وساعد أولئك المرجفين تقهقر العلويين في ميدان الثقافة والإجتماع على إتمام فكرتهم الخبيثة والقِيام بدعوتهم السيِّئة كما أرادها لهم أئمة الجور وقادة الفتن.

وما أصدق ما علَّله عن واقع الشيعة الراهِن فضيلة الشيخ (محمد جواد مغنية) رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية في بيروت في كتابه (علي والقرآن) حيث يقول:

(وغريبة الغرائب أنَّ كلَّ شيءٍ في الدنيا قد تغيّر إلاَّ الكذب على الشيعة والإفتراء على مذهب التشيع، منذ زمن مضى، وانقضى كتب شيخ سوء أو فقيه شرّ، أنَّ الشيعة بما فيهم الإمامية يغالون بعليٍّ وأنهم أخذوا دينهم عن ابن سبأ اليهوديّ، رمى هذا المفتري رميته ومضى، ولكن بعد أن شقَّ طريق الضَّلال والتضليل، وإليك ملخص القصَّة لهذا الإفتراء والسبب الباعث عليه، كان الشيعة يثورون على حكَّام الجور إخلاصاً لدينهم وأمتهم، وكان هؤلاء ينعتونهم بالزندقة والمروق من الدِّين، لأنهم لا يُدينون لهم بالولاء تماماً، كما يتَّهم بعض حكام هذا العصر القوى التحرّريَّة بالشغب والتخريب، وإذا وجدت السلطات المعتدية في عصر النّور صحفاً مأجورة تساندها وتنعت الحزب المعارض بأقبح النُّعوت تزلُّفاً وطمعاً، فبالأحرى أن تجد في عصر الظلمات من يصنع لها الكتب والمؤلفات في تكفير الشيعة، هكذا فعلوا تماماً كما يفعلون اليوم.

لقد اشترى السفَّاكون من أرباب الأقلام دينهم وضمائرهم ليتقوَّلوا على الأبرياء الأقاويل ويعلم كلّ من البائع والمشتري أنّه مفترٍ كذّاب، وجاء المتأخر فرأى الكلمة المطبوعة (للسلف الصالح) فقدَّسها وركع لها وسجد دون تمحيص

وتحقيق، وأخذ يردِّدها فكرةً وأسلوباً بل نقلها بالحرف الواحد كأنها وحي منزل.

إنَّ العالِم المنصف[1] إذا تكلَّم عما تدين به طائفة من الطَّوائف اعتمد على الكتب المعتبرة عندها، وما ثبت من مذهبها، أما النقل عن خصومها، وبخاصة خصومة العقيدة والمذهب، فهو تماماً كالحكم على المدعي عليه بمجرد إقامة الدعوى، وقبل الإستماع إلى الشهود والبيِّنات.

ومن المسلَّم به أنَّ الحكم على المعتقدات صحةً أو فساداً من أقوال غير إصحابها ظلم صريح لا تقبله العقول السليمة ولا ترضاه النفوس الحرَّة، ومن تدبَّر بحكمته حكم أولئك الجائرين على معتقد العلويين تبينه من هذا الباب لبنائه على تقول غيرهم فيهم لا على ما قالوه في أنفسهم، فإنَّ الَّذين يكتبون عنهم يأخذون في الغالب ما يكتبون عمَّن لا صلة لهم بمعرفة مذهبهم وأحوالهم كالشهرستاني، وابن تيمية، وابن حزم، وأمثالهم، ومن زعم من كتَّاب العصر أنه أسدى إليهم معروفاً فتوسَّع بمعرفتهم وبالبحث والتنقيب عنهم رجع إلى كتب الغربيّين وكتبة الأجانب كالكاتبين الفرنسيِّين، الكابتن (بييرمي) في كتابه (العلويون) والكولونيل (بول جاكو) في كتابه (دولة العلويين) وغيرهما من المستشرقين رجال الدِّين والفساد.

وهل في المستشرقين من يكتب عن المسلمين إلاَّ ويرمي إلى أحد غرضيْن أو إليهما معاً، أحدهما: ديني، وغايته إقامة الشبهات حول معتقدات بعض الفِرَق الإسلامية حملاً للبعض الآخر على كراهتهم والإساءة إليهم، وإضعافاً للملكات العقائديَّة فيهم، ليتسنَّى للمبشِّرين الوصول إلى عقول بُسَطاء الأمة وسذَّاجها، وثانيهما: استعماري، وغايته بثُّ الضعف والوهن في نفوس العرب والمسلمين وبثُّ روح التجزئة والإنقسام فيهم، تصديعاً لكيان بناء وحدتهم وتبديداً لشمل كلمتهم، ليتمكَّن الإستعمار من التغلغل في صفوفهم، والشيوع

(١) في الأصل (المصنف) والأصح ما أثبتناه.

في أقطارهم وبسط نفوذه عليهم وتحكُّمه بمرافق بلادهم، وعلى كِلا الحالَيْن وبقدر اتِّساع شقة الخلاف في العرب والمسلمين ينفسح المجال أمام المستعمِرين والمبشِّرين . .

وكم في علماء المسلمين وكتَّابهم من يغفل أو يتغافل عن رؤية هذه الحقيقة الصارخة بسوء غاية أولئك المستشرقين، فيعتبر ما يقرأ في كتبهم ومقالاتهم عن العلويين حقّاً مبيناً لا معدى عنه ولا محيد، ويتَّخذه حجَّة قاطعة ترغمهم على الإعتراف بصحَّة ذلك القول الزّور والإقرار بوجود ما ليس بموجود، ولا يخطر على بال أحد أولئك الكتبة والباحثين الرجوع إلى أقوال علماء العلويين وكتَّابهم والعدالة الإنسانية تأبى إلا الأخذ بقاعدة (المرء مأخوذ بإقراره).

وها هم رجال الدِّين في العلويين ـ وما أكثرهم ـ كتَّاباً وشعراء، فهل يشهد على أحدهم قلمه أو لسانه بغير الإسلام والإيمان رغم كثرة ما كتبوا وما يكتبون ولِزاماً على من يودّ استجلاء غوامض الأحكام في العقائد أن يتبيَّنها من أقلام ذويها.

ولا معوّل على ما يرى في بعض مصنَّفات علماء العلويين القديمة مما يتنافى ـ ومحض اعتقادهم ـ بتوحيد الله، ولا يصح أن يُعتبر دليلاً على إدانتهم بما دسَّته يدُ الإرجاف والإجحاف في حقول مؤلفاتهم من تُهم يعرفها الجميع أنها من مخلفات العصور الحالكة التي مرّت بهم ومن مولِّدات غلاة الشيعة الذين أتاحت لهم ظلمات تلك الأجيال أن يجوسوا خلال ديارهم ويملؤوها عليهم بدعاً وأضاليل كما تقدَّم . .

ونحن على ثقة إنَّ ما مِن منصفٍ يتقصَّى آثار هذه الفئة العربيَّة المسلمة بتأمُّلٍ ورويَّة، ويتعمَّق بدراسة ما يصله من مصنَّفاتها وأخبارها إلى حدٍّ يمكِّنه من التمييز بين أصيل الأقوال ودخيلها إلاّ استبان وجه الحق فيما يسمع ويرى، وألزمه وجدانه الحكم إلاّ ببراءة علمائها مما لُفِّق عليهم من تُهم فحسب، بل

بالذود عن حقّهم المغموط ومكانتهم المسلوبة وكرامتهم التي عمل المبطلون للغضّ منها والعفاء عليها.

ولا يعزب عمَّن جعل الإنصاف رائده ما حاق بهذه الفرقة في الأيام الخالية من عنتِ المسؤولين الذين وهبوا آذانهم للوُشاة والمفسدين وجعلوا أنفسهم وقواهم أداة طيِّعة لمشيئة المرجفين الذين مردوا على النفاق يوردونها من شاؤوا ويصدرونها عمَّن شاؤوا، دون وازع من ضمير ولا رقابة من وجدان.

وبعد إلفات نظر عقلاء الأمة إلى هذه النَّواحي الهامَّة من حياة العلويين، فإنّا نطلب إلى المتصدِّين للحكم في معتقداتهم الأناة والرفق في نفوسهم وفي إخوانهم، والأمانة والإخلاص للحق والعدالة قبل إصدار أحكامهم التي ولا ريب ستكون آنذاك إلى جانب الحقّ الذي ما زال ينتهج شرعته العلويون، إذ هلْ عليهم في الدين من حرج وفي المجتمع من غضاضة بانتهاج مذهب أئمة الحق أهل بيت الحكمة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، وماذا عليهم إن اعتقدوا ما أثبت جهابذة العلم وأئمة الفقه وثقاةِ الحديث كعلّامة المعتزلة، ابن أبي الحديد، والإمام أحمد، والشيخ البحراني، وغيرهم، مما أتى الله سبحانه أمير المؤمنين الإمام علي (ع) من المعاجز والكرامات، وإعطائه من علم القضايا والمنايا، كالأحكام الواردة في الفصل الثالث والخمسين من كتاب (قضاء أمير المؤمنين) للعلّامة المحقق الشيخ (محمد تقي) التستُّري، وما إلى ذلك من فضائل جمَّة كثيرٌ عدّها دقيقٌ فهمها، تلك الفضائل التي يسوء كارهيها نشرها ويأبون إلاّ الإساءة إلى معتقديها والطعن على المحدِّثين بها.

وحسب تلك الفضائل والكرامات أن تجري على لسان علوي جاهل لا قدرة له على تعليل أسبابها ولا معرفة له بوجوه الحكمة فيها حتى ترتفع أصوات المغرضين بالنكير عليه مدوية بتكفيره، ويتخذوا من انتسابه إلى العلويين دليلاً على تفريطهم جميعاً، ومن قصُر فهمه مسوغاً لتسفيه أحلامهم كافة، وهمْ على يقين أن سا من عالِم في العلويين ولا عاقِل ولا مفكِّر يعدل بخالقه مخلوقاً أو

يشرك بربّه أحداً ولكنّها العصبيّة البغيضة والحقد المشبوب في صدور الذين يحبون أن يأكلوا لحم أخيهم ميتاً.

ومن مزيج الجهل والضَّغينة في أولاءِ وأولئك تكَّونت فكرة الإفتراء الأثيم على العلويين، وانطلقت أسهم الفتك والتجريح في نفوسهم ومعتقداتهم، وهبَّت عليهم أعاصير الظلم الصَّريح حتى كادت تودي بهم.

ومن تحرَّى ملابسات التّهم الملفَّقة على هذه الفرقة ووصل إلى أعماق الغاية منها، علم يقيناً أنها وليدة الرئاسة ورضيعة السِّياسة، أحكم وضعها المرجفون، وتعاهدَ نُموَّها المغرضون ومن تمقَّلها بعين بصيرته بدت له مكسوَّة إلاّ بالحقّ والصدق، عارية إلاّ من الظلم والإفتراء **﴿وسيعلمُ الَّذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾**.

وإنَّ أثقلَ ما رزح ويرزح تحته العلويون عبء ما افتراه عليهم أصحاب الأغراض الخبيثة من أفاعيل أدعيائهم الذين كتب لهم الحظ بتسميتهم علويين وهم أداة هدم في بِناء هذا الصرح المجيد، وصورة قبيحة عن هذه الفرقة المسلمة المؤمنة يتعمَّد ـ نقلها إلى العالم ـ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، بالإضافة إلى ما ألقاه أولئك الأئمة على العلويين من تبِعات جهَّالهم وسذَّاجهم، الذين قصرت عقولهم وعيَّت أفهامهم عن إدراك ما أفاض به العلماء والفقهاء والمحدِّثون من ذكر معاجز الإمام عليّ (ع) التي يستحيل أن يأتي بمثلها إلاّ من أمدّه الله بعنايته وأيَّده بروحٍ منه، وما دوى من صرير أقلامهم في أذن الأجيال ناطقاً بفضله ومعلناً وقوف العقول حائرة دون مقامه، فمن تلك الأقوال المستفيضة ما ينسب إلى الإمام الشافعي وقد ثبُتَ لديه ما اطَّلع عليه من مناقب[1] خارجة عن المألوف من طاقة الإنسان قوله، وقيل للصاحب بن عباد،

(١) منها إخباره بالمغيبات، كقوله لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له إن القوم قد عبروا جسر النهروان (مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة)، وتفصيل ذلك في المجلد الأول من شرح النهج الحديدي صفحة ٥٦٠ =

والصاحب بن عباد هوَ مَن هُوَ بين قادة الفكر ورجال العلم والأدب:

قيل لي قُل في عليّ المرتضى   مدحاً تطفىء ناراً موقده
قلت هل أمدح من في فضله   حار ذو اللُّب إلى أن عبده[1]

وهذا علاّمة المعتزلة ابن أبي الحديد يقول في ذلك وما أكثر ما يقول:

هو الآية العظمى ومستنبط الهدى   وحيرة أرباب النُّهى والبصائر

إلى قوله:

= وما بعدها، وصفحة ٢٥٣ وما بعدها، ومنها رده الشمس، وفي إثبات ذلك جاء في المجلد الأول من شرح النهج الحديد صفحة ٣٥٠، ما نصّه: حدث عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير، قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرت صلاة العصر فجعلنا لا نأتي مكاناً إلاّ رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأيناه، وقد كادت الشمس أن تغيب، قال فنزل عليّ (ع) فنزلتُ معه، قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر فصلّينا العصر ثم غابت اشمس، وفي ذلك يقول العلاّمة ابن أبي الحديد:

يا من له رُدَّت ذكاة ولم يفز   بنظيرها من قبل إلا يوشع

ورُبَّ قائل: لو رُدَّت الشمس لاختلَّ نظام الكون واضطرب عدد السنين والحساب، فنقول له: إنّ من يُمسِكَ السموات والأرض أن تزولا لقويّ على حفظ توازن الكون من الإختلال إذ يردّ الشمس تكريماً لِمن أمدّه بعنايته،وإنَّ من نادى كليمه في النار من الشجرة وحال دون احتراق الشجرة بالنار، ومن جعل العصا لموسى حية تسعى وأعادها سيرتها الأولى، لهو القادر على صون عدد السنين والحساب من الإضطراب إذ يردّ الشمس تعظيماً لمن أيّده بروح منه (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ومن البديهي أن المعجزة لا تكون معجزة إلا بخرقها للنظام الطبيعي ومغايرتها للمألوف الكوني، ومنها قلع باب خيبر، وقد كان يعجز الأشدّاء الكثر هزه فضلاً عن قلعه ورميه في الهواء، وقد قال أمير المؤمنين (ع): «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية بل بقوة إلٰهية»، وفي قلع الباب يقول ابن أبي الحديد: (يا قالع الباب الذي عن هزّه، عجزت أكفّ أربعون وأربع)، إلى ما لا يحصيه قلمي من مناقب نمسك عنها إيجازاً ونحيل المستزيد إلى كتب السيَر والحديث.

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي.

صفـاتُـك أسمـاءٌ وذاتُـك جـوهـرٌ بريء المعالي من صفات الجواهر
يجلُّ عن الأعراض والأين والمتى ويكبـر عـن تشبيهـه بـالعنـاصـر

وقد يبلغ بالتعبير فيبلغ به الأمر حدّ العذر لمن شكَّ بمربوبيّته:

فيقول:

تقيلـتَ أفعـال الـربـوبيـة التـي عذرتُ بها من شكَّ إنّك مربوبُ[1]

وإنّي إذ أُلفِتُ سمع القارىء الكريم وبصره إلى أمثال هذه الأقاويل التي أرسلها مَن لا شكّ في دينهم ومعتقدهم أناشيد مجلجلة في مسمع الكون يتغنّى بها الزّمان والخلود، فإني أطلب إلى أنصافه وضميره النظر بعيْن بصيرَتِهِ، إذا كان أولئك الأعلام من علماء الأمّة أعلنوا حيرتهم في هذه الشخصيّة الفذّة، ووقفت حيالها عقولهم جامدة، فما حال متديِّن بسيط من أبناء هذه الفئة التي مزقتها سياسة الجور كُلَّ ممزَّق، وباعدت بينها وبين المدنيّة والإجتماع فتفشى فيها الجهل والأميّة، وسادها الإنكماش والخمول، ألا يحسُن بالمنصف وقد أدرك عجز عقول بسطاء هذه الفرقة عن تعليل ما تخطَّى أسماعهم وامتلك عليهم أفئدتهم من أقوال أولئك العلماء وأمثالهم في أمير المؤمنين (ع)، أن يعذرهم على حيرتهم وضعف مداركهم عن التمييز بين القصد في الولاء والإفراط فيه.

وهمْ إذْ كانوا يطلقون أعنَّة ألسنتهم بالتعبير عمَّا انعقدت عليه قلوبهم من حبٍّ خالص وولاء محض لأئمتهم المعصومين صلوات الله عليهم ويفيضون بذكر معاجزهم وكراماتهم حتَّى كاد يكون ذلك الحبّ وهاتيك الإفاضة ضرباً من العبادة كانوا يحسبون أنهم يُحسِنون صنعاً لجهلهم معرفة نتائج هذا السَّرف والإفراط..

أما وقد سطع نور العلم وارتفع لواء الحريّة وخرج أبناء هذه الفئة العربيّة

---

(١) القصائد السبع العلويات.

من عزلتهم لينتظموا في سلك إخوانهم العرب تحت راية العروبة ويتبوّؤوا مقعدهم تحت الشمس مع إخوانهم المسلمين، فليس فيهم مسرف في حبه أو مبذّر في ولائه، وإذا وجد في أوساطهم أو بيْن أكنافهم من هذا شأنه فهو - ولا ريب - دخيل عليهم أو من بعض أدعيائهم وهمْ من إسرافه وتبذيره براء.

وحسب المسترسل في خيانة نفسه وإخوانه المنقول عليهم ما ليس فيهم قطعاً لعذره ودحضاً لحجَّته، ما صدع به من الحق سماحة الإمام الحجة محمد حسين آل كاشف الغطاء (عطَّر الله رمسه)، في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) بعد أن أتى على بعض ما يقول كثير متصوفي الإسلام ومشاهير مشايخ الطرق وبعض فرق الشيعة غير الإمامية، إذ أعلن مسمِعاً من له أذن واعية فقال:

(أمَّا الشيعة الإمامية وأعني بهم جمهرة العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند، ومئات الألوف في سوريا والأفغان، فإن جميع تلك الطائفة من حيث كونها شيعة يبرأون من تلك المقالات، ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات، وليس دينهم إلا التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كلِّ مشابهة للمخلوق أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقص والإمكان والتغيُّر والحدوث، وما يُنافي وجوب الوجود والقِدَم والأزليّة، إلى غير ذلك من التنْزِيه والتقديس المشحونة به مؤلَّفاتهم في الحكمة والكلام).

ولا أعتقد أنَّ في عُقلاء المسلمين من يخامره الشكّ أو يساوره الريْب في سلامة دين هذه الفئة الإمامية (العلويين) وصحَّة معتقدهم، إلاّ أن يكون مغرِضاً أو متأثّراً بعامل التعصُّب البغيض، وهذان داء مجتمعنا ومنبع بليّتنا، ولا يصلح أن يداوي منهما من أصيب بأحدهما أو بكليْهما إلاّ بعد التثبت من شفاء قلبه ممَّا قد أصيب به.

ومن أولى مسألة الخلاف في الأمة حقَّها من العناية والتمحيص رآها لا مسوغ لها ولا عذر للعاملين عليها، وأنّها لسائرة بالجميع إلى مهاوي الذلّ والهلكة.

ولقد حثَّ المسلمين على الإلْفة والإجتماع وحضّهم على الإتحاد

والإخاء سماحة المغفور له الإمام آية الله (السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي) في كتابه الذي صنّفه خصّيصاً لهذه الغاية وسماه (الفصول المهمة في تأليف الأمة) وندَبَهم فيه إلى ما ألزمهم به الذكر الحكيم من الإخاء والولاء: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾ و﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾.

واستقصى فيه حقيقة أسباب المنابذات والشغب في حقل دُنيا المسلمين والعرب فخلص إلى الصَّريح اللّباب منها ودعا إلى طرحها والتخلّي عنها، فكان على رأيه ولا غيره، إنَّ من أهم الأسباب التي أثارت ريح الفتنة والإضطراب، جرأةً من أسماهم بقُضاة الرشوة وعلماء السوء على تبديل أحكام الله واستخفافهم في ما شرع سبحانه من حَلالٍ وحرام، فأفتوا بتكفير المؤمنين ووجوب قتل المسلمين، واسترقاق نسائِهم وذراريهم[1] نزولاً عند رغبة ملوك الجور تحسيناً لأفعالهم أو طمعاً بما في أيدي وُلاة الجنف تصحيحاً لأعمالهم، وفي ذلك يقول في الفصل التاسع من (فصوله المهمة) صفحة ١٥١ ما نصّه:

ولا غرو فإنَّ علماء السوء وقضاة الرشوة يبدِّلون أحكام الله بالتافه، ويبيعون الأمة بالنزر القليل.

فقاتل الله الحرص على الدُّنيا، وقبَّح الله التَّهالك على الخسائس، ما أشدَّ ضررهُما وما أفظع خطرهما، نَبَذ أولئك الدجَّالون حكم الله وراء ظهورهم طمعاً في الوظائف، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبةً في المناصب، وأرجفوا في المؤمنين وفرّقوا كلمة المسلمين ولولاهم لتعارفت الأرواح وائتلفت القلوب وامتزجت النفوس واتّحدت العزائم فلم يطمع بالمسلمين طامع ولم يرمقهم من النواظر إلاّ بصر خاشع، ولكن وا أسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدون الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحّون عباده في

(١) إشارة إلى الفتاوى ـ الحامدية للشيخ نوح الحنفي.

طلب القضاء والإفتاء، فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحِّدين، حتى كان من تفرق آرائهم وتضارب أهوائهم ما تصاعدت به الزفرات وفاضت منه العبرات ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، اهـ.
وقال في صفحة ١٤١ من الفصل والكتاب ما نصّه:

(فهلمّوا يا قومنا للنَّظر في سياستنا الحاضرة وعرِّجوا عمّا كان من شؤون السياسة الغابرة، فإن الأحوال حرجة والمآزق ضيّقة لا يناسبها نبش الدَّفائن ولا يليق بها إثارة الضغائن، وقد آن للمسلمين أن يلتفتوا إلى ما حلَّ بهم من هذه المنابذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات)اهـ.

ولقد استعرض سماحة المغفور له الإمام الشيخ (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) في مواقف بعض علماء المسلمين وكتَّابهم من بعض، ونشرهم الكتب والمقالات الباعثة على خلق جوّ من التوتر والإضطراب وحذَّر من التمادي في هذه الخطة التي تجر إلى سوء العاقبة، فقال في مقدمة الطبعة الثانية لكتابه (أصل الشيعة وأصولها) تحت عنوان: (كيف يتَّحد المسلمون). .

(وهيْهات أن يسعدوا ما لم يتَّحدوا، وهيهات أن يتَّحدوا ما لم يتساعدوا، فيا أيها المسلمون لا تبلغون الإتحاد الذي بلغ به آباؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ وتنميق العبارات أو نشر الخطب والمقالات وضجيج الصحف وعجيج الأقلام، وليس الإتحاد ألفاظاً فارغة وأقوالاً بليغة وحكماً بالغة، مهما بلغت من أوج البلاغة وشاو الفصاحة، ملاك الإتّحاد وحقيقة التوحيد هنا، صفاء نيّة، وإخلاص طويّة، وأعمال جدّ ونشاط، إلى أن قال: الإتِّحاد أن يتبادل المسلمون المنافع، ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط، وقوانين العدل، ونواميس النصف، فإذا كان في قطر من الأقطار كسوريا أو العراق طائفتان من المسلمين أوْ أكثر، فالواجب أن يفترضوا جميعاً أنفسهم كأخوين شقيقيْن قد ورِثا عن أبيهما داراً أو عقاراً فهم يقتسمونه عدْلاً ويوزِّعونه قسطاً، ولا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظِّه ويشح عليه بحقه ﴿ومَن

يُوقَ شحَّ نفسه فأولئك همُ المفلحون﴾، فتكون المنافع عامَّة، والمصالح في الكلّ مشاعة والأعمال على الجميع موزّعة).

وليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حق الآخر فيصمت ويتغلّب عليه فيسكتْ، ولا مِنَ العدل أن يُقال للمهضوم إذا طالب بحقٍ أو دعا إلى عدلٍ أنك مفرّق أو مشاغب، بل ينظر إلى طلبه فإنْ كان حقاً نصروه وإن كان حيْفاً أرشدوه وأقنعوه، وإلاّ جادلوه بالّتي هي أحسن مجادلة الحميم لحميمه والشقيق لشقيقه، لا بالشّتائم والسُّباب والمنابزة بالألقاب، فتحتدم نار البغضاء بينهما حتى يكونا لها معاً حطباً، ويصبحا معاً للأجنبي لقمةً سائغة وغنيمة باردة..

وبعد أن استعرض بعض من يغمزون بالشيعة وأئمتهم من كتّاب العصر وخوّف من مقابلتهم بالمثل مْن الكتّاب الآخرين قال:

فلينظر عقلاء الفريقين إلى أين ينتهي حال المسلمين من هذه الهوّة السحيقة وما الثمرة والفائدة من كل ذلك إلى أن قال:

(ينسى الكل أو يتناسى عدوهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد والّذي يريد سحق الكلّ ومحو الجميع، ويَبُثّ بذور الشقاق بينهم لِيضرب بعضهم ببعض وينصب أشراك المكر لصيد الجميع، ولا يعلم المسلمون من هذه الأشراك المبثوثة لهم في كل سبيل حتى يتّحدوا عملاً لا قولاً وجدّاً لا هزلاً).

وإنّا إذ نطرق في البحث موضوع كشف النّقاب عن صورة العلويين لتبرز للملأ على حقيقتها وإذْ نتعرّض لتزييف وجوه الإفتراء عليهم لم يكن ذلك منّا تحيُّزاً إلى فئة ولا جرياً وراء عاطفة ولا لِدفع الظلم عنهم ولا لفتح باب الجدل والخصام، ولكن لرفع أغشية الجهل بهم عن الرأي العام فتلزم كلاًّ حجّته، أخذاً برأي القائل (إنّ ترك الإفتراء كما هو دون دحض يقيم من شأنه ويبقي عليه) والقول الحقّ أنّ احتمال الأذى والإغضاء على القذى في سبيل وحدة الكلمة وجمع فِرَق الأمة هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ أملاً، ومن خلال هذه السطور

نناشد علماء المسلمين وكتّابهم استخدام ألسنتهم وأقلامهم للمصلحة العامّة والدعوة إلى الكلمة الجامعة غير المفرقة بدلاً من المشاكسة والمهاترة وتبديد الشمل وتمزيق الصفوف.

وما أحوجنا نحن المسلمين والعرب جميعاً إلى العمل متَّحِدين لتطهير بلادِنا من رجس المستعمر العدو المشترك، الذي في كل قطر من أقطارنا حوت من حيتانه فاغرٌ فاهُ يتربّص بنا الدَّوائر (عليه دائرة السوء) ويغتنم تعدّد نزعاتنا وأهوائنا فرصة للإنقضاض علينا وابتلاعِنا عضْواً فعضواً. .

وما أولانا نحن المسلمين بالمسارعة إلى الأخذ بما دعا إلى الإسلام أو دعا الإسلام إليه، ألا وهو الوحدة والإخاء ضاربين بما سوى ذلك عرض الجدار، وإذْ نحن في صدد الكلام عن العلويين وبحث أوضاعهم وأحوالهم فإنا نطلب إلى القارىء المنصف نظرة ولو عابرة بتجرُّدٍ إلى الأدوار العصيبة التي اجتازها العلويون في ماضيهم الرَّهيب ليرى كيفَ أنهم أُرغِموا على إنكار ذواتهم وكتمان ولائهم، ممّا شجَّع على قبول التقولات فيهم وتصديق المفتريات عليهم، وهل آلم من ذلك وقد ألمَّ كلّه بهم في تلك العهود البائدة.

وإزاء ما مُنوا به من جور الحكام وسخط الرعية، فقد استبدلوا بالجوامع زوايا يؤدُّون فريضة الصلاة فيها أو في بيوتهم، مولين وجوههم شطر المسجد الحرام، وما كان ليزيدهم إهمال العالم المتمدِّن أمرهم وإسْداله حجاب النسيان عليهم إلاّ إيماناً على إيمانهم وتمسُّكاً بخالص حبّهم وولائهم لأئمتهم المعصومين (ع). .

وها هم أولاء ما أفاء الله عليهم نعمة الحريّة. وشهدوا أنوار الإخاء والمساواة طالعة عليهم من ثنايا رائد القومية العربية الرئيس الرّاحل (جمال عبد الناصر تغمّده الله برحمته)، متجسِّمة بمرسوم جمهوري يعلن سيادته فيه الإعتراف بالمذهب الجعفريِّ في هذه الجمهوريّة الحبيبة، وما أن عاينوا صورة التقريب والوحدة يرسمها قلم سيادة الأستاذ الأكبر الشيخ (محمد شلتوت)

أعلا الله مقامه، قراراً يقرِّر فيه تدريس مذهبهم الجعفري إلى جانب إخوته المذاهب الأربعة في الجامع الأزهر الشريف.

ما إنْ عاينوا ذلك وتحقَّقوه حتى حطَّموا قيود العزْلة وانفلتوا من عِقال الإنكماش وجروا في ميادين الإنطلاق سِراعاً لتشييد بيوت الله وإعلان شعائرهم الإسلامية وفق فقه مذهبهم، مرتفعة أصوات مؤذِّنيهم كل يوم وليلة خمس مرات تشقُّ عِنان الفضاء بالتكبير لمن له الملك الكبير، وتنطلق حناجر خطبائهم في أيام الجُمع والأعياد بالثّناء والحمد له سبحانه والإبتهال إليه تعالى أن يمدَّ ظلال هذا العهد الميمون ويديم حياة عملاقِه الجبَّار (الرئيس حافظ الأسد) خلوداً وبقاءً، ويمنح العرب والمسلمين على يديه ما يصبُون إليه. .

ها هم العلويون يعلنون ـ وقد أذن لهم بالإعلان ـ منْ على رؤوس الأشهاد إقراراً بألسنتهم واعتقاداً بأفئدتهم وعملاً بجوارحهم بأنهم يبرأون إلى الله من أيّة عبادة ما سوى عبادة الله ربّ العالمين. .

﴿ألَم يأنِ للَّذينَ آمنوا أن تخشَع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحقّ﴾ فَيُطهِّروا نفوسهم من أوضار الماضي الوبيء، وينقُّوا قلوبهم من جراثيم التعصّب البغيض، فينظروا إلى أخيهم المسلم العلوي نظرة تتنافى وتلك النظرة الأولى إذْ حسبُنا جميعاً بالماضي عظةً، نظرة تحول بينهم وبين التورُّط في نسبة الأضاليل والأباطيل إلى إخوانهم في الدِّين، نظرة إخاء وصفاء، نظرة معرفة واعتراف بأنَّ العلوي هو بحمد الله ممن تأدَّب بآداب الإسلام وتمسَّك بتعاليم القرآن ووفَّر حظّه من الإيمان ومكارم الأخلاق ولا يعتمد إلا على الكتاب والسنَّة وضرورة العقل.

ألم يأنِ لنا نحن المسلمين والعرب جميعاً ـ وقد استضاءت عقول الأمم بأنوار الإكتشافات العلمية الجديدة، واتجهت أبصار العالم إلى ما تحدثه أدمغة عِلمائهم في الكون من استخدام الذرّة، واستنارت قلوب الشعوب بأضواء مصالحها العامَّة ـ أن ندرك أنّ سرّ توقّفنا عن مجاراة الأمم في ميادين التسابق

العلمي والحضارة العالمية، هو انصياعنا لأحكام النزعات والأهواء التي أحكمها في نفوسنا دُعاة التفرقة والإنقسام فكانت طوال أجيال مضتْ وإلى وقت قريب شِغْلنا الشَّاغل عن التطلّع إلى الحضارات وعاملاً قوياً لإرساء قواعد المستعمر العدو الألدّ في بلادنا.

ألَم يأن لنا أن ندرك هذه الحقيقة فنتدارك مغبّة أمرنا بالوحدة والتضامن، تغلُّباً على إيثار الغلبة، وتطهيراً للنُّفوس من رجس الأنانية وضرباً على أيدي المرتزقة والمغرِضين، وتحصيناً لبِلادنا ومصالحنا من الخُوَنَة والمرجفين.

ألم يكفِ الأمة ما لقِيَت من قُضاة الرشوة وشيوخُ الزُّور وعلماء السوء دُعاة الخِلاف والفتنة في الأمَّة، العاملين على تفكُّك أجزاء وحدتِها وفصم عُراها وتفريق جماعتها.

إلى مَ هذا الإرجاف وفيمَ هذا الإجحاف، ألم يأن لنا أنْ نأخذ بالأمر الإلٰهي الصادع بالحق **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾**، **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾**، **﴿ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**[1]، **﴿يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**..

صدق الله العلي العظيم.

بارك الله بعلَمنا الشيخ الجليل
الشيخ محمودالصالح الزللو
وأكثر الله من أمثاله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

إنّ الرائد لا يكذب أهله

وقفة مع كتاب:

العلويون فدائيو الشيعة المجهولون

للعلامة المجاهد الشيخ علي عزيز الإبراهيم

وهذا شاب من شبابنا المؤمن ومن أبناء الطائفة المتّهمة والبريئة من إخواننا اللبنانيين، ومن مواليد طرابلس بالذّات والذي وُلِد وترعرع وشبَّ في بيت يرعاه أب وأم أرضعاه الولاية الحقة لآل بيت رسول الله (ص) ووُلِدَ على الفطرة فكان مسلماً مؤمناً شيعيّاً علوياً حقّاً، وما إن تفتّحت عيناه على الحياة وأنهى المرحلة الأولى من مراحل تعليمه في المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية حتى عاد إلى جبلّته وطينته ومعدنه الأصلي.

وأصبح ينقّب عن الكتب الدينيّة الصّادرة عن موالينا أهل العصمة صلوات الله وسلامه عليهم، ولكن ما إن خاض في بعضها حتى شعر بنفسه مساس الحاجة لانتهال هذه المعارف من ينابيعها الصّافية من الأكدار فقرّر الذهاب إلى النجف الأشرف ليتلقى علومه الدينيّة في جامعاتها وعلى يد أهل الفضل وأساطين العلم من أساتذتها ومفكّريها وقد حقّق الله رغبته وأمانيه وعاد منها عَلَماً بالعلم، خطيباً مصقعاً كاتباً أديباً بحّاثة، فتهانينا له ولأمثاله ممّن تركوا لبنان وبهجتها وزينتها وزخارفها وملذّاتها ومتعها وآثر على كل ذلك شظف العيش ووعورة المسلك والمسؤوليات الجسام، والمعاناة التي

يصعب على الكثير الكثير تحمُّلها إلاّ من امتحن الله قلوبهم بالإيمان من أمثاله.

وأعظم المعاناة التي قاساها وعانا منها التُّهم التي رُمي بها مجرد أن عُرف أنّه سوري أو لبناني علويّ وأصبحت المقل ترنو إليه شزراً وبعد أن اشتدّ ساعده وقويت شوكته أصبح يتجرأ ويتساءل لماذا هذه النّظرات غير الطبيعيّة، والإزدراء غير المألوف بين طلاّب العلم.. وعلم بالنتيجة أنّه غير موثوق به لأِنّه علويّ، والعلويون إن هم إلاّ ما قيل عنهم، وبدأ يدافع ولكن دفاع العزَّل من السلاح، إلا ما تعلّمه من أبويه المؤمنين فقط من وَلاء وبراء ومما قرأهُ لنفسِهِ بلا مقرئٍ بكتاب الله تعالى وقرآنه المجيد، وبنهج البلاغة.

وصبر والله مع الصابرين وهو بين مصدِّقٍ ومكذِّبٍ لهذه التُّرهات إلى أن استحصل على إجازاته العلميّة وعاد إلى قومه وأهله وأبناء جلدته بمسقط رأسه، وهنا بدأ يُفكِّر ويفكِّر، وأول ما فكَّر به البحث والتدقيق عن الإفتراءات التي كانت تلفَّق عليه وعلى جماعته مع يقينه بأنَّ ذلك مجرَّد كذب وافتراء، ودسّ رخيص وبدأ يتجوّل بمشارق البلاد ومغاربها وقبلتها وشمالها وأصبح شغله الشاغل زيارة العُلماء والشيوخ والسادة ومجالستهم وتوجيه الأسئلة لهم التي كانت توجَّه له وهو (طالب) في العراق ويتلقّى الأجوبة الشافية التي تروي غليله، وتُقدِّم له الكتب والدَّواوين المخطوطة والمطبوعة وهو بدورِهِ ينهمها نهماً حتى أصبح جاهزاً للهجوم بدلاً من مواقِفِهِ السابقة كمُدافعَ أعزل.

وأصبح يزور العراق الشقيق ودُوَل الخليج وإيران عالِماً مجهَّزاً متسلِّحاً بسلاح العلام الفتّاك ذو الحدّيْن فما دخل معركة وخرج منها إلاّ منتصراً للحقِّ ورجاله، وما خاض حرباً إلاّ وكان فارسها وبطل زُحامها، ومما ألّفه وكتبه، كتابه: (العلويون فدائيو الشيعة المجهولون) وهذا الفدائي المجهول والعالم المغموض هو (الشيخ علي عزيز آل إبراهيم) حفظه الله، وقد اتخذتُ من

كتابه هذا سلَّماً أصعدُ عليه لتنكيس الرؤوس الشامخة بعنفوانها وغرورها وطيشها وتبجُّحها بما لا يرضي الله ولا يرضي رسوله، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

صدق الله العلي العظيم

وهذا بعض ما جاء في هذا الكتاب الصادق

مَن هُمُ العلويُّون

يبدو أنَّ هناك نظريتين أساسيَّين في السبب الحقيقي لتسمية العلويِّين.

الأولى: إنَّ كلمة (العلويين) هي التسمية الصَّحيحة للجماعة التي تسكن جبال النصيرة في سوريا وعدّة مناطق من تركيا وأنهم قد سمّوا في بعض فترات التاريخ (بالنصيرية) وكان ذلك من آثار ما مرَّ عليهم من التشريد والتنكيل في أيام السلطان سليم العثماني الذي قتل وشرَّد منهم مئات الألوف، ثم أنَّ التسمية الصَّحيحة (العلويين) قد رجعت إليهم في زمن الإفرنسيين سنة ١٩٢٠م، أما سبب تسميتهم بالنصيرية فهي أنهم سكنوا في فترة الظلم والظلام جبال النصيرة في سوريا، فسمَّاهم أعداؤهم تحقيراً باسم هذه الجبال، أما لماذا سمّيت هذه الجبال بهذا الإسم فإن أصحاب هذا الرأي يقولون: نسبةً إلى جماعة جاءت لنجدة أبي عبيدة الجراح في زمن الخليفة الثاني وقد كانت شيعيّة الولاء، علويّة الرأي، حيث جاءت من المدينة وكان اسمها (نصرة) ثم سمّيَت الجبال التي فتحوها وسكنوها باسمهم وقد يُقال بأنَّ تسمية النصيرية قد أتت من وادي النصارى الذي يسكن معظمه حالياً من العلويين، ولكنَّها نظرية فيم أحسب ضعيفة لا تثبت أمام النقد والتمحيص خاصَّة إذا علِمنا بأنَّ تركيب كلمة (نصارى) تختلف تماماً عن كلمة (نصيرة)، نعم فإنَّ البعض يزعمُ بأنها مشتقَّة من كلمة أنصار، حيث أنّ الذين سكنوا هذه المناطق بعد فرارهم من الجور والظلم العثماني التركي، هم أحفاد أولئك الذين نصروا الرسول الأعظم (ص) وأعلنوا تشيّعهم وولاءهم لأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وابن عم خاتم النبيِّين

الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ومنهم تشكَّلت هذه الطَّائفة، حيث كانوا نواتها أمثال الأصحاب العظام: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمَّار بن ياسر، والأشتر النخعيّ وغيرهم من المجاهدين في الإسلام.

وممَّن يقول بالرأي الأول الأستاذ محمد أمين غالب الطويل صاحب كتاب (تاريخ العلويين)، قال في هذا الصَّدد:

(لما فُتِحت جهات بعلبك وحمص استمدَّ أبو عبيدة نجدة فأتاه من العراق خالد بن الوليد ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين وهم ممن حضروا بيعة غدير خُمّ وهم من الأنصار وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين مجاهداً، ولما وصلت هذه النجدة والتحقت بالجيش نجح نجاحاً جزئياً، فسُمِّيت هذه القوة الصغيرة (نصيرة) وإذا كان من قواعد الجهاد تمليك الأراضي التي يفتحها الجيش إلى ذلك الجيش نفسه فقد سمِّيت الأراضي التي امتلكها جماعة النصيرة (جبل النصيرة) وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية (مصياف) المعروف الآن ثم أصبح هذا الإسم علماً خاصاً لكلّ جبال العلويين من جبل لبنان إلى أنطاكية والأنصار هم قحطانيون وأولهم أبو أيوب الأنصاري الذي أناخت ناقة النبي أمام بيته[1].

الثانية: إنَّ إسم العلويين لم يحصل عليه العلويون إلاَّ في الآونة الأخيرة، وبعد احتلال الإفرنسيين وأنَّ اسمهم الحقيقي هو (النصيرية) نسبةً إلى محمد بن نصير النميري، وهو مؤسِّس مذهبهم، وممَّن يقول بهذا الرأي الأستاذ منير الشريف صاحب كتاب (المسلمون العلويون من هم وأينَ هم).

قال تحت عنوان: المذهب العلوي: (لقد ظهر بين رجال الشيعة رجل

---

(١) تاريخ العلويين - محمد أمين غالب الطويل، ص ٩٧ و٩٨، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، دار الأندلس للطباعة والنشر.

يسمى محمّد بن نصير النميري وذلك في زمن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر في القرن الثالث الهجري، فأجرى تعديلاً في المذهب فسمّي الذين أيّدوه (النصيريون) وبقي اسم هذا الفريق هكذا إلى عام ١٩٢٠ حيث أُبدل باسم العلويين[١].

إذن فأيُّ النظريتين أصح؟

أمانة الباحث هنا هي الميزان الصّحيح في إعطاء وجهات النظر لا سيما في المسائل المهمّة والخطيرة، حيثُ أنَّ كثيراً من الناس يعيِّرون المسلمين العلويين بهذا الإسم أعني (النصيرية) ويعتبرون هذا الإسم من أشنع وأحقر ما يمكن أن يُنسب إليهم وهذا لا شغل لنا به هنا فالله والتاريخ سوف يحاسِب الجميع على ما اقترفته أيديهم من التزوير والبهتان.

والذي يبدو أنَّ وجهة النظر الأولى هي الصحيحة دون الثانية، لأِنَّ العلويين ليسوا سوى شيعة إمامية اثني عشرية وإنْ ظهر عند بعض المتسمِّين بهم شيء من الغلوّ فهذا لا حساب له، لأِنّ قيم الأمم وأديانها وآدابها ما كانت في يوم من الأيام لتؤخذ من جهّالهم، والعلويون لا يختلفون عن الشيعة سوى في أنَّ بعضهم يعتنق الطريقة (الجنبلانية) وهي طريقة صوفية كبقية الطرق الموجودة عند المسلمين كالطّريقة (النقشبنديّة) وكذا (الشاذليّة) إلى ما هنالك من عشرات الطرق التي تحوي الغثّ والسمين، وقد أضْفَتْ عليهم هذه الطريقة بعض الإعتقادات في أهل البيت النبويّ (ع) من جرّاء اجتهادات علمائهم، نعم قُصارى ما يمكن أن يؤخذ على العلويين تقصير بعضهم في إقامة بعض الشّعائر الدينيّة والذي نعتقده أنّ ذلك ما كان ليقع لولا ظروف القوم الصعبة الّتي مرّت عليهم في فترة تاريخهم المظلم، وأكبر دليل على كونهم جزءاً من الشيعة الإمامية ما هم عليه اليوم من نهضة دينيّة فكريّة ثقافيّة علميّة وفق تعاليم أهل

---

(١) المسلمون العلويون من هم وأين هم، منير الشريف، ص١٠٦، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م دمشق.

بيت العصمة (ع) فعادت المساجد بوفرتها تملأ آفاق بلادهم وكذلك عشرات القوافل من حُجّاج بيت الله الحرام الذين يؤمُّون مكّة المكرمة في كلّ عام وكذلك طلّاب العلوم الدينيّة منهم الذين غادروا إلى النجف الأشرف في العراق، وتخرّج البعض منهم وأنّ مساجدهم في أوقات الصلوات تبدو عياناً للنّاظر وقد مُلِئَت بالمصلّين والمؤمنين خاصة في الجُمع والأعياد والمناسبات، فأقيمَت الفرائض وظهرت على مرأى الناس حينما رُفع عنهم الظلم والجور والثالوث الأليم عبر عشرات السنين من المرض والفقر والجهل وأكثر العلويين من أصل عربيّ صميم ومن عشائر وقبائل عريقة وأخذُنا بهذه النظرية يعود لسببين أساسيين:

أولاً: إنّ الحكومات العلوية التي قامت في التاريخ الإسلامي كالدولة البويهية في العراق، والفاطميّة في مصر والأدارسة في المغرب، والحمدانية في حلب، وبني عمار في طرابلس الشام، تلك الحكومات لم تكن تُعرف في التاريخ باسم (الحكومات النصيرية) وقد عُرف أتباعها وولاتُها بالولاء الخالص والتمسك الكامل بأهداا، أهل بيت العصمة (ع) والإلتزام الصادق بالإسلام فكراً وعقيدةً وشريعةً ومنهجاً، ولكن بعض الموتورين ممّن لا تزال النزعات البغيضة تسيطر على قلوبهم وأفئدتهم أبوا إلا الإصرار على أن كلمة (النصيرية) متأصلة في القوم وأنها مذهبهم ومنهجهم في فهم الإسلام ويظهر ذلك جليّاً عند المؤرّخ الشهرستاني في (الملل والنحل) والكثير من كتب التاريخ القائمة على الضّغائن والأحقاد والمكاسب الشخصيّة إرضاءً لِأطماع أصحاب الملك والجاه من الوُلاة والحكام الدنيويّين المنحرفين عن خطّ الإسلام والشرع الصحيح وسيعلم الذين ظلموا آل محمد، أيّ منقلبٍ ينقلبون.

ثانياً: وإن كان القصد من كلمة النصيرية (الغُلاة) عند البعض، فلا شكّ أنّ العلويين الذين أسمتهم السلطات الجائرة (بالنصيرية) ليسوا أولئك الغُلاة.

والحق أنّ المؤرخين هنا وقعوا في خطأ فاحش حيث اعتبروا (محمّد بن

نصير النميري) هو مؤسِّس المذهب الشيعي العلوي ورئيس العلويين وهذا قطعاً غير صحيح لأنّ العلويين يعتبرون أنَّ مؤسِّس مذهبهم الأول هو الإمام علي بن أبي طالب (ع) وأنَّ ابن نصير المذكور ليس سوى أحد الأعلام الشيعيِّين الذين اشتهروا في أيام الإمام الحسن العسكري (ع) والمؤرِّخون مختلفون في شخصيَّته جرحاً وتعديلاً.

ولقد كان منَ الأدباء من غير العلويين من ذهب إلى بلادهم وتجوَّل وكتب عنهم ومن هؤلاء الأستاذ عارف الصُّوص الدمشقي، قال في مؤلَّفه: (لقد تبيّن لي أنّ العلويين) هم فرقة مسلمة تدين بهذا الدين الحنيف يقرُّون بشهادة أن لا إله إلا الله والإعتراف بنبوَّة النبيّ العربي الأميّ سيدنا محمّد بن عبد الله (ص) رسول الهدى وخاتم الأنبياء والمرسلين، كما أنّهم يقولون بإمامة أخيه وابن عمّه سيّد الوصيّين علي بن أبي طالب (ع) وأبنائه الأحد عشر المعصومين سمعتهم يتلون القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه محمد (ص) فلم أرَ في هذا القرآن ما يخالف القرآن الذي يقرؤه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ويتوجَّهون في صلواتهم إلى القبلة التي يستقبلها كلّ المسلمين في صلواتهم ويصومون الشهر الذي فرض الله على العباد صومه، ويؤتون الزكاة كما أمر الله بل يتمسكون تمسّكاً شديداً بإيتاء الزكاة حتى ولو كان المزكِّي فقيراً مدقعاً، ومن يستطيع الحجّ إلى البيت الحرام منهم فإنَّه يحجّ إلى غير ذلك من كافَّة الفروض التي فرضها الله تعالى على عباده، والعلوي يحافظ على التقاليد العلوية فلا تطيب له إلا الأحاديث التي تتحدَّث عن آل البيت ولا يقول إلا بالوصايا والتعاليم التي سنَّها ووضعها عليّ وأبناؤه نقلاً عن الرسول العظيم (ص)[1].

فالعلويون كما يعرف كل من يتصل بفقهائهم المعاصرين أو بآثار

---

(١) من هو العلوي ـ عارف الصوص ـ ص ١١ ـ ١٢، الجزء الأول، مطبعة الإتقان، دمشق.

علمائهم الماضين مسلمون متمسكون بالقرآن دستوراً سليماً للإسلام وبولاية محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، فهم كما تعرضهم دراسات المنصفين ووقائع نشأتهم وتمسُّكهم بعلوية إسلامهم، وبما لحقهم من اضطهاد بسبب ذلك، فدائيو الشيعة المجهولون[1]، كيف لا وهم الحفدة البررة لأولئك المجاهدين الفطاحل من أصحاب أمير المؤمنين وقبله سيد البشرية محمد بن عبد الله، صلّى الله عليه وآله، ممن قدّم للإسلام كلّ غال ونفيس وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده في المال والدم يَوْمَ كان عود الإسلام أخضراً فقد أبلى هؤلاء البلاء الحسن تحت قيادة الرسول الأعظم (ص) حيث نزلت الآيات الخالدات بحقّهم، قال تعالى:

﴿محمد رسول الله والّذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفّار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (سورة الفتح: ٢٨ ـ ٢٩).

وبذلك كانوا من المخلّدين عند الله في جنان عدنٍ وهكذا أحفادهم في التاريخ .وعبر تموّجاته كانوا الحرّاس الأمناء على شرع الإسلام وراياته البيضاء خوفاً عليه من حكّام الجور والجشع فلم يخلُ بلد من أصقاع المسلمين من ثوراتهم وانتفاضاتهم المتكرِّرة ضدّ الظلم والطُّغيان الأمر الذي بسبَبِهِ عرّضوا أنفسهم لأنواع التنكيل والتعذيب مِمَّا لا يزال الدّهر يرعب من قسوته، فثورات

---

(١) لاحظ ما كتبه كل من الأستاذ محمد مجذوب، والدكتور أسعد أحمد علي، فقد عرض الأول وجهاً حديثاً من علمائهم في كتابه: مقدمة اليوبيل الذهبي للعلاّمة الشيخ سليمان أحمد، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م، وعرض الثاني وجهين قديمين من مفكريهم.
١ ـ فنّ المنتجب العاني وعرفانه، بيروت، دار النعمان، ١٩٦٨م.
٢ ـ معرفة الله والمكزون السنجاري، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٧٢م.

العلويين في التاريخ قد ملأت بطون الكُتُب من ذكر قصصها وعبرها وما ثورة زيد بن علي (ع) في الكوفة وانتفاضة النفس الزكية في العراق وعشرات القتلى من بني هاشم ومن أحفاد الأوصياء إلا دليل واضح على الهمجية والقسوة التي اتَّبعها الحكّام المنحرفون مع شيعة آل محمد وبذلك فقد فدوا أنفسهم وأرواحهم الطّاهرة الزكية في سبيل الإسلام كي تكون مشاعل نور على درب الحقيقة والفِداء والعطاء ومن هنا بالذّات يلزم علينا أن ندرس عملية الفِداء عند العلويين، هذا كلُّه بالإضافة إلى ثورة إمام الشهداء وشهيد الأمَم الحسين بن علي (ع) في موقعة الطفّ الشهيرة حيث قُتِل - بأبي هو وأمي - فداءً للإسلام والشرع الحنيف حيث نظر إلى الإنحراف البيِّن في القيادة الإسلامية من قبل ملك عصره المتهتك يزيد بن معاوية والمآسي المخْزية التي ارتكبها بدون وازع أو حرمة للدِّين!! إلا أن ثورة سيّد الشهداء التي انتهت بقتله والغطارف من بني هاشم كانت منعطفاً تاريخيّاً مُهِمّاً أدّى إلى انهيار حكم الطاغية يزيد بعد ثلاث سنوات من وقعة كربلاء..

العلويون في التاريخ

يقول الأستاذ منير الشريف في كتابه: (المسلمون العلويون منْ همْ وأين همْ):

(لم تُبلَ طائفة من الطوائف الإسلامية كما بُلِيَت الطائفة العلوية (النصيرية) العربية الإسلامية حيث سلقتها الألسن الحداد، وحامت حولها الظُّنون فمِنَ الناس من أخرجها عن قوميّتها العربية وجعلها من أُمَم شتَّى جمعتها جامعة المحيط من بقايا الرومانيين والحثيِّين واليونانيِّين والصليبيِّين و. . . ومنهم من أقصاها عن الدين الإسلامي وقال: إنّ إسم النصيرية قد أتى من إسم النصرانيّة، أي أنّ العلويين ليسوا من الطائفة الإسلامية، ومنهم من قال عنها: إنها متوحِّشة أكّالة للحقوق فتّاكة بالبشرية نهّابة سلّابة لا تتورّع عن أي عمل مهما كان غير مشرِّف، تعيش عيشة الهمج الأولين ضمن الأسوار الإنحطاطيّة فلا يمكن أن تنهض للعلم وليس في الإمكان اشتراكها مع العرب في النهضة الحديثة والجامعة القوميّة والإزدهار الإقتصادي، ومن الصَّعب تعويدها على الطَّاعة والنّظام: هذا بعض ما يتحدَّث به الناس في الشرق والغرب، وحيث أنّني عشتُ بين هذه الطائفة أعواماً كثيرة وتجوّلت من كلّ أطراف محافظة اللاذقية[1] ودرستُ حالتها عن كثب وصادقتُ رجالها وخبرتُهم، فقد رأيت الواجب يدفعني إلى تأليف هذا الكتاب لأُبعِد عن هذه

(١) بلاد العلويين.

الطائفة الظّنون وأُطلع الناس على الحقيقة.

بأنّها فئة عربيّة الدم واللسان والخصائل والتاريخ والغاية وإسلاميّة كبقية الطوائف الإسلامية غير السنيّة ـ رغم ظهور بعض الغلوّ المذهبيّ فيها ـ: كتابهاالقرآن الكريم وإنّها مع ما نزل بها من البلايا والرّزايا من قِبَل الحكّام الشعوبيين فإنّها لا تزال مرتبطة بالعروبة والإسلام ورافعة الراية العربية على جبالها الشمّاء، وعلى ساحل بحرها اللازوردي منذ رفعها العرب في كلّ مكان تحترم الحقوق وتحافِظ على التربة العربية الطيِّبة وتسير بسرعة إلى الأمام لتتبوّأ مكانها في دنيا العرب، فليعلم العرب ذلك في كلّ أقطارهم وليكفّ الذين يدّعون بأنهم مؤرِّخون عن تخرصات وتُهم يلفقونها بالمسلمين لأِنها تضرّ بالوحدة القومية والحقائق[1].

وهذه شهادة رجل شهم خلوق جاء فيها بمقولة الحقّ وبما يُميت الباطل ويدفع التُّهم الظالمة التي روَّجها الحاقدون والموتورون. بغير حق وبذلك شاطروا أعداء الدّين في إيقاع الشقّة وتفرّق الكلمة وتمزيق الصف ومحوِ الإلفة، ولكن الصبح مهما طال ليله الحالك فلا بدَّ أن يسفر عن الحقيقة ناصعة طيِّبة مرضية، بارك الله في صفقة يمينه وهو بعد هذا شهد بما عايَن حيثُ عاش في وظيفةٍ رسميةٍ في محافظة اللاذقية فترة من الزمن، ولقد نقلنا الكلام الآنف الذكر بطوله لغايتين رئيسيتين:

الأولى: إنَّ التعصُّب والكره والنفاق كل هذه العوامل كانت السبب الأساسي في تلك التُّهم الجريئة على الله وعلى رسوله وقد نجحت في لعبتها من الطَّعن والتزوير على الطائفة (العلوية)، ولقد حمّلوا هذه الطائفة وزراً كبيراً ممّا أثقل كاهلها عبر التاريخ وقد قيَّض الله سبحانه مَن نافح ودافع عن هذه الطائفة من غير المنتسبين إليها من ذوي الإيمان والدين والضمائر النقية بعد أن

---

(١) المسلمون العلويون من هم وأين هم، منير الشريف، ص ١٤ ـ ١٥، مقدّمة الطبعة الأولى، ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠م دمشق.

زاروا مناطق العلويين وتجوّلوا في مدنها وقراها واطّلعوا على معالم القوم من دين وعقائد وعادات وآداب، ونحن هنا إذ نكتب ذلك نهيبُ بالمسلمين جميعاً أن ينظروا إلى ماضيهم وحاضرهم ويعملوا على توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ولمِّ شعثِهم، أوَ ليس يكفي أنّنا نحن المسلمين اليوم قد وصلنا إلى حالة لا نُحسد عليها من التفكُّك والتمزُّق والإنحدار الديني والخُلُقي والإجتماعي، ولا حول ولا قوّة إلا بالله حتى لقد كفَّر بعضنا بعضاً وبفعل التعصّب الأعمى ودسائس المستعمرين القُدامى والحديثين حيث جرت مذابح في التاريخ بين أبناء القومية الواحدة والدين الواحد وكأن المسلمين لم يسمعوا كلام الله تعالى في القرآن الكريم، حيث يقول:

﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرَّقوا﴾ و﴿يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا﴾.

وكأنَّ النبيّ (ص) لم يقُل: «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم حُقِن دمه وماله وعرضه»، وكأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لم يقُل: «ما بين الحقِّ والباطل أربعة أصابع فالحقّ رأيت والباطل سمعت»، ولم يلتفت المسلمون إلى هذه الحِكَم والمواعظ التي ما كان (للإنشقاق أن يقع بينهم) لولا أن تركوها وراء ظهورهم وعملوا على اقتراف أمور لا تمتّ للشرع الحنيف بصِلة، وإلاّ فأيُّ ذنبٍ لمئات الألوف من المسلمين العلويين الذين قتلهم السلطان سليم العثماني بفعل فتاوى ظالمة حتّى وصلت الأمور إلى حالة في حلب لدرجة أصبح فيها العلوي الذي تشكّ به زوجته لا يرى وسيلة للتخلّص من التعذيب إلاّ أن ينتحر لأِنَّ التوبة لا تقبل حسب الفتوى، ويحدِّثنا التاريخ بأنَّ هذه الفتاوى كانت سبباً لوقعة الكرخ البغداديّة المشهورة حيث هجم أهل الرصافة وهم نصف بغداد على النصف الثاني ونهبوا أموال الشيعة العلويين وسبُوا نساءهم وقتلوا كبارهم علماً بأنّ الفتاوى التي صدرت عن علماء السنّة المنطرِّفين في تلك الآونة لم تكن تستند على شيء يلائم روح الشرع الحنيف حيث أنَّ القوم قد فسَّروا الآية الكريمة الآتية تفسيراً ليس له علاقة البتَّة في

جوهر المعنى المقصود منها: ﴿فقاتلوا الَّتي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾.

والحقّ أنّني لستُ أدري لماذا لم يحكم جماعة الفتوى هذا الحكم على الفئة التي حاربت علياً أمير المؤمنين وإمام المسلمين، صلوات الله عليه، في حرب الجمل وحرب صفّين، كيف لا، وقد ثبت عنه، صلّى الله عليه وآله، أنه قال: «من خرج على إمام زمانه فاقتلوه فَقَدْ كفر»، أوَ لم تكن بيعة علي بن أبي طالب (ع) بيعة مشروعة اشترك فيها أهل الحل والعقد مع جماعة الأمصار الإسلامية، وهذا ما لا يمكن أن يجادل فيه مكابر، نعم فإنّ الآية الجليلة لا توافق في قتال العلويين لأِنهم لم يكونوا خارجين على السلطان آنذاك.

وهذه الآية بالخصوص في حق المسلمين مع أنّ الفتوى تتضمن الكفر والإلحاد المنسوب ظلماً إلى العلويين فالآية هنا في المقام وعلى الأخص هي ضدّ الفتوى ولا تكون دليلاً شرعياً يؤيد مشروعية الإضطهاد والقسوة المطلوبة.

نعم إنّ الفتاوى كانت شديدة صارمة إلى أبعد الحدود وإلا فلماذا هذه الوحشيّة في التنكيل وأساليب التعذيب التي صبَّها السلطان سليم على الشيعة العلويين وأمر بقتل أيِّ علويٍّ أينما وُجد حتى أنه قتل في موقعة واحدةٍ ما يربو على الأربعين ألفاً في حلب.

هذا في أيام الأتراك، وأما في أيام أُخَر أتت بعدها فحدِّث ولا حرج، والتاريخ شاهد على كثير من المذابح البشِعة وأساليب الإعتقال والتشريد والتعذيب التي مارسها الحاقدون ضدّ العلويين، فقد قُتِل الصحابيّ الجليل حُجر بن عُدي وصحبه، رحمهم الله، وقد لوحِق العلويين تحت كل حجر ومَدَر وحُوسِبوا على المظنّة والتهمة وبُذلت الأموال الطائلة كي يفتن شياطين الإنس عن دينهم وبذلك فقد نجحت خطتا الترهيب والترغيب اللتان انتُهِجَتا ضدّ شيعة آل محمد ناهيكَ عمّا اقترفته يد المنحرف الفاجر يزيد في قتل سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) وضربه الكعبة المشرفة بالمنجنيق وإباحته مدينة رسول الله (ص) وقتله المسلمين فيها وهتك الأعراض وعبث الجيوش حيث

قُتل من البدريين عدد كبير أمّا اللاحقون فقد كانوا أشد من سابقيهم ظلماً وتعسُّفاً واضطهاداً لأهل بيت النبوة وشيعتهم مما يَنْدَى له جبين الإنسانية خجلاً ولكن العلويين مع كلّ تلك الأساليب القذرة التي صاغها المغرضون لم تلن لهم قناة فأعلنوا مناهضتهم للإنحراف في تطبيق الإسلام وابتزاز حفنة من أصحاب المطامع والنزوات بالحكم الذي هو من حقّ أهل بيت الوحي الذي نزل القرآن بعصمتهم: ﴿إنَّما يُرِيد الله ليذهبَ عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً﴾[1].

١ ـ ﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾[2].

٢ ـ وفي سيدهم ورئيسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في بيعة غدير خم قوله تعالى:

﴿يا أيُّها الرسول بلِّغ ما أُنزِل إليكَ من ربِّك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[3].

٣ ـ وقوله عزّ اسمه: ﴿اليومَ أكْملتُ لكم دينكُم وأتمَمْتُ عليكُم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾[4].

٤ ـ وقد قال رسول الله موصياً مادحاً مشيراً إلى حقيقتهم وعظيم قدرهم: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق وهوى».

وقال في موته، صلّى الله عليه وآله: «أيُّها الناس ألا أني أوشك أن أُدعى فأُجيب وإني مخلِّف فيكم الثقلَيْن أحدهما أكبر من الآخر، الأول: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، والثاني: عترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما». .

وعن أساليب التعذيب والمظالم التي لاقاها العلويون قال صاحب (تاريخ العلويين): وعلاوة على ذلك، كانت المظالم والتحدّيات دائمة تجاه العلويين في حماه وحمص وطرابلس وحلب واللاذقية، وهذه التعدّيات تحرّك عصبيتهم وتسوقهم لأخذ الإنتقام بأيّ طريق طبيعي. . باشر الأتراك في حماه وحلب في أصول التعذيب بطرق غريبة منها أسلوب القتل بالخازوق وهو: جعل وتد طويل ذي أنْفيْن وركزه من جهة، وجعل الإنف الثاني في دبر المطلوب قتله معذّباً وهو شاقولي ويسحب الرجل من ساقه حتى يدخل الوتد في جوفه ويبقى على هذه الحالة حتى الموت عدّة أيام، وبما أن الوتد لا يخرّب في الجوف سوى الأمعاء فلذلك لا يتوفّى من أُقعد عليها إلاّ بعدما يحصل الإلتهاب في الأحشاء وذلك يولّد اضطراباً لا تتحمله الشياطين، وهكذا كان نصيب العلويين.

فاندهش العلويون الضُّعفاء المنهوكة قواهم والمحرومون من حقّ الحياة. واسم هذا الوتد في التركي (قازيق) وتعرب بكلمة (خازوق) والعملية المسماة (قازيقلمه) أي الإقعاد على الخازوق لا تحتاج لمحاكمة أو حكم، بل كان رجال الحكومة مأذونين بإجلاس من شاؤوا من العلويين على الخازوق وكانوا في بادىء الأمر كلّ من أحسّوا به أن علويّ يُصعِدونه لتلك المنصّة.

ولم تنحصر المظالم والتعذيب في أصول (قازيقلمه) فإذا كانت الرُّوح رهينة ذاك العذاب يمكن لنا التصوّر فيما كانت عليه بقيّة الحقوق والأمور[1].

ولكن الظلم الذي لقيه العلويون، أو هؤلاء الفدائيون المجهولون أو المتجاهَلون من قِبَل التاريخ المدوّن بأقلام المأجورين من أصحاب الضمائر

(١) تاريخ العلويين ـ محمد أمي غالب الطويل ـ صفحة ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

الرخيصة التي باعتْ دِينَها بأرخص الأثمانْ، كلّ ذلك لم يستطع أن يغيِّب مِن ذاكرة التاريخ ما كان لهم من دُوَل عاش أبطالها وماتوا في سبيل رفع كلمة الله، وجعل كلمة القرآن هي العليا: فقد عُرِفوا بالتاريخ الإسلامي باندفاعاتهم الفدائية وبنوا دُوَلاً علوية في أواخر العصر العباسي.

ومن هذه الدول: دولة الفاطميين والعلويين في المغرب ومصر، ودولة البويهيين العلويين في العراق، ودولة التنوخيِّين العلويين في اللاذقية، ودولة بني عمّار في طرابلس الشام، ودولة بني حمود، ودولة بني الأحمر في الأندلس.

هذه الدول التي حدَّث عنها التاريخ وأشاد بمآثرها الإسلامية الخالدة وكيف أنها أبلت في الله البلاء الحسن فدافعت عن الثغور الإسلامية أشدّ دفاع بأقوى عزيمة، وصانت العقّيدة من التحريف والتشويه وجاهدت أعداء الدين وحاربتهم في كل مكان كي تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فقد بنى الفاطميون الأزهر في مصر وأسَّسُوا الحضارات وشجّعوا العلم والأدب والفكر فازدهرت بلاد الإسلام في عهدهم ودافع الحمدانيُّون في حلب عن أرض الإسلام أشرف دفاع وأبلى البويهيُّون في العراق في سبيل نصرة الدين ومعالمه البلاء الحسن.

ومن أهم الدول العلوية في التاريخ الدولة الحمدانيّة في الموصل (من ٢٩٣ ـ ٣٦٨هـ) وفي حلب (من٣٣٢ ـ ٣٩٣هـ).

وكان أعظم أركانها سيف الدولة الحمداني أمير حلب، حيث دافع عن الثغور الإسلامية ضدّ الروم دفاعاً عظيماً وجريئاً ناجحاً كما كان له في ميادين خدمة العلم والأدب والشعر والفن مآثر كثيرة شهد له فيها التاريخ كما جاء في تاريخ (الدولة الحمدانية) و(المسلمون العلويون من هم وأين هم)، وحسب القارىء ما يجده عن هذه الدولة في شعر المتنبي فمليكها المجاهد في سبيل الله لا يفعل ما يفعل لولا خير الإسلام ورفع راية التوحيد ومن ذلك قول المتنبي

لسيف الدولة عندما هزم ملك الروم في موقعة الحدث الحمراء:

ولستَ مليكاً هازماً لنظيره ولكنَّك التوحيد للشرك هازم
هنيئاً لضرب السيف والهام والعلى وراجيك والإسلام أنك سالم
ولم لا يقي الرحمٰن حدَّيك ما وقى وتفليقه هام العدا بك دائم

ومن يرغب الإطلاع مفصّلاً على هذه الدول فعليه بكتاب (تاريخ العلويين) لمحمد أمين غالب الطويل، لأننا لا نؤرِّخ في هذا الكتاب لهذه الدول.

الثانية: لم تكن هناك غاية للمؤلف فيما كتبه عن العلويين في الفصل الآنف الذكر سوى إحقاق الحق وإرضاء ضميره، مِنْ هُنا فإنَّنا نعلنها صرخة مدويّة لأصحاب الأقلام الحرة والضمائر النزيهة بأنْ يتَّقوا الله ويتحروا الواقع حينما يكتبون عن معتقدات الناس وأدبائهم على أنَّنا نعلن استعدادنا للقيام بخدمة أي عالم أو أديب أو كاتبٍ يرغب في زيارة المنطقة العلوية كي يطلع عن كثب على معتقداتها وآدابها وعاداتها كما يعمل علماء الإجتماع حينما يدرسون المجتمعات درساً ميدانياً قائماً على المشاهدة والبيان، لا على التخرُّصات والأوهام.

والأستاذ منير الشريف حينما كتب ما كتبه في (المسلمون العلويون من هم وأين هم) كانت غايته الوحيدة أن يتكلم الحقّ فيما لمسه ورآه بعينه والرجل بعد هذا مسلم سنّي.

وفي سنة (١٩٣٦م) كثر القيل والقال عن معتقد (الطائفة الإسلامية العلوية) في سورية من قبل أصحاب الأغراض المشبوهة والعقول الضعيفة ممَّن عملوا وما زالوا يعملون على تمزيق الصفّ المسلم وتشتيت كلمة المسلمين فقام علماء العلويين في سورية وعقدوا مؤتمراً علويّاً لكافة رجال العلويين ووجوههم في قرية القرداحة (قضاء جبلة) في شهر تموز سنة ١٩٣٦، وقد رفعوا مذكَّرة إلى وزراة الخارجية الفرنسية، وكانت من أهمّ المذكَّرات إذ جاء

فيها: (إنَّ العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام عليّ، وصهره ووصيّه وأول من آمن بالإسلام ومَن مكانه في الجهاد، والفقه والدّين الإسلامي مكانه..

فليس الكاثوليكي والأرثوذكسي، والبروتستانتي سوى مسيحيين.. وليس العلوي والسنيّ سوى مسلمين، ففي المثل الأول لا تبطل الكثلكة أو الأثوذكسية أو البروتستانتية مسيحيةِ المسيحي وفي المثل الثاني لا يبطل القول برأي الشيعة أو برأي السنة إسلام المسلم، إن القرآن الشريف هو كتاب العلويين سواءً أكانوا طلاب وحدة أم طلاّب انفصال، ومن كان القرآن الكريم كتابه فهو مسلم أحبّ أم كرِهه إلا أنْ يرتدّ عن الإسلام[1].

فالذي لا مِراء فيه أنَّ دسائس العدوّ المستعمر كانت تستهدف أبداً التشويش والتزوير والبهتان الذي رُمِي به العلويون، وعدوّ الإسلام الداخلي، والخارجي كل شغله الشاغل عبر التاريخ تغذية الفتن بين المسلمين وتأجيج نيران الحقد والكراهية في صفوفهم وبثّ الفتنة بين الفرق الإسلامية المختلفة، وكذلك يفعل دائماً.

وبذلك كثُرت الحروب والجراحات في قلب العالم الإسلامي، فأُصيب المسلمون من جرّاء ذلك كله بأعظم نكسة فكرية وحضارية في عصور الإنحطاط العباسي والتركي والعثماني، واستغلّ السلاطين من بني عثمان بعض المأجورين من أصحاب الزيّ الديني فاشتروا ضمائرهم وأديانهم بثمن بخس، وكانوا فيهم من الزاهدين، فحاكوا الفتاوى المجحفة، وأشعلوا نيران الحقد الملتهب في قلوب الحكّام ضد العلويين، ولا أدلّ على ذلك من (الفتوى الحامدية) ـ نسبة إلى حامد بن نوح الدمشقي ـ التي استصدرها سلطان الترك سليم العثماني كي تكون مبرِّراً له في حربه الشعوبية ضد أهل الولاية والإيمان، وبذلك فقد أُبيد العلويون تقريباً.

---

(١) عن مجلة القبس، ٣٠ تموز ١٩٣٦م.

ما خلا من سكن منهم جبال النصيرة المنيعة حتى سنة (١٣٣٠هـ ـ ١٩١٠م) أي إلى زمن احتلال الإستعمار الفرنسي وقد طغى عليهم في هذه الفترة المظلمة اسم (النصيريون) حيثُ مرّت أيام في التاريخ اندثر فيها العلويون من الأناضول حتى نسي أهل الغايات اسمهم (أعني العلويين) وجاء يوم كان فيه الناس يسألون عن عقيدة من يسكنون في جبل النصيرة حتى لقد صار المسلمون (شيعة وسنّة) وكذا بقية الأمم لا يعلمون شيئاً عن أبناء البشر الذي يقطنون الجبل، حيث أنَّ القتال والمحو والتعقيب والتضييق، جعلهم في حالة من الإنحطاط الإجتماعي وما يرثى له حقاً حيث اقتصرت أمورهم في جبالهم على المزروعات والمواشي والحياة البسيطة، إذ كانت العزلة والإنطواء والمرض والجهل والفقر، وانقطعوا عن العالم مدة ٤١٢ سنة أي من قتال الأتراك لهم، ولما اندثر بقية العلويين ولم تُعرف ماهية من بقي في الجبل منهم أطلق عليهم اسم (النصيرية) إذ لم تعرف ماهيتهم ولكن الجبل جبل النصيرة، وسمي الموجودون فيه باسم الجبل.

والبعض من الناس يظن بأن اسم النصيرية هو نسبة (لمحمد بن نصير النميري) وهذا خطأ فالصحيح وما نرجِّحه لأنّهم تغلّب اسم الجبل عليهم ثم اعتبرت كلمة النصيري بعد هذا من أشنع كلمات التحقير، وهذا بلاء عظيم ابتلي به الشيعة عموماً في التاريخ حيث أطلق عليهم أعداؤهم الموتورون ظلماً وبهتاناً اسم (الرافضة) وأخرى (الترابية) والثالثة (بالمتاولة) كما يطلق هذا الإسم كثيراً على الشيعة في لبنان اليوم، ومن هذا الباب فيما أحسب جاءت كلمة النصيرية ازدراءً واحتقاراً، ويمكن القول بأنّ هذه الكلمات إذا جدّ الجدُّ مُدعاةٌ للفخر والإعتزاز، وكذا القول في الروافض لأنهم رفضوا أن تكون الخلافة في غير من أوصى إليهم النبي (ص) وهم (علي وأولاده المعصومون) وكذلك رفضهم الولاء للحكّام غير الشرعيِّين من الذين غصبوا آل محمد عليهم الصلاة والسلام حقهم المخصَّص لهم (ع) في كتاب الله وسنّة رسوله، وكذلك القول في المتاولة حيث تولّوا أهل بيت النبوّة وقالوا بعصمتهم وخلافتهم،

ونصيرية أيضاً نسبة إلى الأنصار الذين نصروا محمداً، صلّى الله عليه وآله، في بدء دعوته إلى أن ترعرع الإسلام وشبَّ وغزا أكثر المعمورة وبذلك كانوا أنصار الله بحقّ وعلى جهودهم قامت ركائز الإسلام في يثرب.

ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ويعطي الحق أهله كما قال تعالى: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾.

فقد عاد اسم (العلويون) إلى هذه الطائفة التي لم تُظلم أمة في التاريخ كظلمها من حيث المحن والألآم والخطوب التي كادت أن تأتي عليها تماماً، فلقد عاد هذا الإسم الأصيل إليهم بعد الحرب العالمية الثانية، ففي سنة ١٩٢٠م، وفي أيلول من تلك السنة صدر أمر من القومسيرية العليا في بيروت (الفرنسيّة) وفيه تسمي جبل النصيرة (أراضي العلويين المستقلة) حيث تقرَّر لهم شكل إداري خاصْ وإنْ كانوا قد رفضوا هذا الإستقلال حيثُ اعتبروه طعنةً في عروبتهم ودينهم وبعد ذلك حصلوا على بعض الحقوق، حيث تعيَّنت لهم محاكم وقضاة مذهبيون وأُحدث لهم مرجع باسم (قاضي القضاة) والحكم في هذه المحاكم كان على أساس المذهب الجعفري، مذهب أهل البيت (ع) وكان قد تعيّن لهم قبل ذلك بعض المشايخ في وظائف الإفتاء.

وبذلك فقد تنفّس العلويون الصّعداء وفُكُّوا من بعض القيود التي قيّدتهم وكبحت جماح حريّتهم ردحاً طويلاً من الزّمن، حيث العُزلة والإنزواء عن مواقع الحضارة والعلم وكان الأمر الآنف الذكر بارقة الأمل في بلوغهم الحريّة المنشَودة، حيث أتاح ذلك لهم مشاركةً بقية مواطنيهم في الحقول الثقافية والعلمية والإجتماعية ممّا كان له بعد ذلك أكبر الأثر في نهضتهم الحديثة.

وفي سنة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م حضر إلى النجف الأشرف ثلاثة من الطلبة العلويين كان أولهم محرِّر هذا الأثر، والثاني الشيخ فضل وهيب غزال من محافظة اللاذقية، والثالث الشيخ محمد عزيز عبد الله (قضاء جبلة) وقد تخرّج الجميع من كليّة الفقه بإجازة (بكالوريوس) في العلوم الشرعيّة وآداب اللغة العربية.

والذي يجدر ذكره هنا أنَّ الإتِّصال الذي وقع بين المرحوم الشريف عبد الله الفضل والحجّة آل إبراهيم البعلبكي جعل الإثنين مع نخبة طيبة من علماء العلويين أمثال المرحوم المقدس الشيخ عيد الخير، وعلاَّمة الشعب الشيخ سليمان الأحمد يشعرون وبإلحاح بضرورة إيجاد جمعيَّة خيريَّة جعفريَّة باللاذقية كي تتحمل أعباء شؤون الطائفة دينياً ورسمياً وملاحقة الدولة فيما يخصّ الطائفة من حقوق مدنيّة وسياسيّة وشرعيّة وبعد جهود مكثفة ومضنية استحصل القوم على رخصة الجمعية من الحكومة السورية آنذاك.

وقد ترأسها المرحوم الشريف عبد الله الفضل وناب عن الرئيس فيها الفاضل الشيخ عيد ديب الخير، وكان أعضاؤها من أكابر علماء العلويين ووجهائهم، وقد شَيَّدت هذه الجمعية وفي باكورة أعمالها الإصلاحية مسجد الإمام الصَّادق (ع) في مدينة اللاذقية، وهو مسجد فخم وضخم، يضم نادياً حسينياً، والفضل الأكبر في هذا العمل الخيري التَّاريخي يعود لعلماء العلويين وللشريف رحمه الله الذي عُرِف بجهاده المتواصل ودفاعه الجليل عن الطائفة ومظلوميتها عبر التاريخ، ناهيك عن أعماله الجليلة وأنجاله الشُّرفاء الكِرام حَسن وحسيْن وهاشم الذين عملوا وبكلّ ما لديهم من طاقات معنويّة وماديّة بدأب حثيث، على أن رخصة تلك الجمعية لم تكن بالأمر السهل يومذاك وخصوصاً بأنها أُخذت في عصر أديب الشيشكلي الذي عُرِف بتعصُّبه، ومن ثم فقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها الدعوة إلى الإسلام وإلى مذهب أهل البيت (ع) والمطالبة بحقوق العلويين المدنية والدينيّة والتي لم تكن يومئذٍ شيئاً مذكوراً، وكان من ثمراتها الطيّبة افتتاح عدة فروع لها في مدن الساحل السوري كالجمعية الخيرية الإسمية الجعفرية في طرطوس التي أشادت مسجد الإمام أمير المؤمنين (ع) هناك، وقامت بكثير من الأعمال الطيِّبة وجمعية الإمام الرضا (ع) في مدينة جبلة والتي أشادت مسجد الرضا في حي الجبيبات، والجمعية الخيرية في بانياس التي أشادت في هذه المدينة مسجديْن نموذجيين، الأوّل باسم الإمام الحسين (ع) والثاني باسم سيِّدة نساء العالمين الزَّهراء (ع)،

وقد أُقيمت الشعائر بأجمل صُوَرها ورفع الأذان طبقاً لمذهب آل محمد (ع) من على المنابر والمآذن.

وفي مدينة حمص انبرى لخدمه هذه المهمة العلاّمة الشيخ محمود صالح آل عمران، حيث أسّس مع عدد من أفاضل العلويين في حمص (جمعية النهضة العربية) ثم جاهد، حفظه الله لتأسيس مسجد وتمّ له ما أراد حينما أشاد وصحبه الكرام مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة حمص ويضم نادياً حسينياً جميلاً وهو مع كبر سنّه لا يألو جهداً في سبيل خدمة الشرع الحنيف والمذهب الطاهر.

وقبل عامين تأسّست في بلدة صافيتا من محافظة طرطوس الجمعية الخيرية الجعفرية، فجدّت واجتهدت وعمِلت على إشادة بناء ضخم في هذه البلدة التي كان الطابع النصراني في السابق يخيّم عليها وقد ضمّ مسجداً كبيراً باسم سيّد الشهداء الحسين بن علي (ع) وحسينية ومكتبة ثم وجّهت نشاطها الفكري والثقافي والديني نحو هذه المنطقة فشجّعت وساهمت في إشادة بعض المساجد وفتْح بعض المستوصفات، هذا بالإضافة إلى المساعدات والخدمات الإجتماعية القيّمة التي تقدّمها للمنطقة، وقد سعى القائمون عليها إلى الإتصال بمن في الداخل والخارج وهم نخبة طيّبة من الشّباب المسلم المتحمّس الذي ما فتىء يعمل للإسلام وللولاية بحرارة ونشاط فائقيْن فجزاهم الله عن دينهم خيراً، وأخذ بيدهم لإعلاء كلمة الحقّ، وقد أوشك في هذه الأيام مشروع السيدة الزهراء (ع) في حمص على الإنتهاء، والذي تُشرف على بنائه كما ذكرنا آنفاً (جمعية النهضة العربية)، التي قدّمت لهذه المدينة خدمات إجتماعية وأعمال فكرية وحضاريّة تدعو إلى الإعتزاز والفخر، وقدْ سعت لجمع الكلمة وتوحيد الصف ويسعى القائمون عليها بدأب إلى رفع مستوى الطائفةنحوالعلوّ والشأن الطيّب وفيما أعلم أنّ هذا المشروع التّاريخي الجليل يضمّ مسجِداً مهماً من حيثُ موقعه الممتاز باسم سيدة نساء العالمين، عليها وعلى آلها الصلاة والسلام، وكذلك بناء لحسينية نموذجيّة جميلة ومكتبة عامّة وشقتين إحداهما لإمام المسجد كسكنى والثانية تؤجّر مع عدد من الدّكاكين كي تكون وقفاً

للمسجد يدرُّ عليه مورداً ثابتاً ومنتظماً، بحيث يؤدِّي مهماته الدينيّة والخيرية على أطيب وجه ولنا الثقة المطلقة بأنّ القيادة الحكيمة التي تشرف على هذه المشاريع ستسعى ويجهد حثيث نحو الأفضل والأجمل والأكمل، ولا يفوتني هنا أنّ مسجد الإمام الحسين (ع) الذي يشيّد في هذه الأيام في مدينة جبلة بإشراف من جمعيّة الإمام الرضا (ع) الخيرية قد خطا شوطاً طيباً في تقدُّم البناء، ويضمُّ نادياً حسينياً ومقراً للجميعة مع مساحة واسعة يمكن استغلالها لِبناء وقف للمسجد تعود عليه مستقبلاً بالخير الوافر والإستمرارية الجيِّدة والسير قُدماً نحو الخدمة الفكرية وأداء رسالة المسجد على أحسن وجه، وكل ذلك ببركات ومساعي الجمعية الأم وأعني الجمعية الجعفرية في اللاذقية والتي أشادت بالأمس القريب وبجهود العلاّمة الشيخ كامل حاتم، مسجد الإمام زين العابدين (ع) في حرف مشقيتا من هذه المحافظة، وهناك مسجد (بسنادا) في نفس المحافظة الذي يجري العمل على بنائه تحت إشراف الجمعية نفسها، وهناك تفكير جدّي لدى القائمين عليها في إشادة وافتتاح عدد من المساجد في بعض القرى المحيطة بالمدينة والنائية عنها، ولا ننسى المستوصف الكبير الذي بنته الجمعية قبل أشهر في حيّ الرمل وبجانب مسجد الإمام الصادق (ع) وإذا عُدنا إلى طرطوس فلا يسعنا إلاّ الإعجاب بالجمعية الخيرية هناك التي أنشأت في الآونة الآخيرة فرعاً لها في منطقة (الدريكيش) والتي تعتبر مركز اصطياف مشهور ومرموق وكذلك فقد وضعت في هذه الأيام اللّبنة الأولى لمسجد كريم في ناحية (جنينة بيت رسلان) التابعة مركزياً إلى الدريكيش حيث شهدت هذه الناحية نشاطاً نصرانياً تبشيرياً محموماً في أيام الإحتلال الإفرنسي، حيث بنى الأخير ديراً للعبادة فيها، وعلى أية حال فإنّ هذه المشاريع على وفرتها وطيب أثرها الحضاري والعقائدي دون الطموح المطلوب لدى هذه الجمعيّات والعاقل يسعى دوماً نحو الأكمل أخذ الله بيد الجميع لما يحبّ ويرضى.

نهضة العلويين الحديثة

وقد رافقت هذه النهضة الدينيّة نهضة ثقافية فكرية أخرى حينما هاجر العلويون من أريافهم وقراهم ونزلوا إلى المدن بعد أن استنشقوا شيئاً ما من الحياة الحرّة الطبيعيّة، وقد خاضوا معترك الحياة بعد أن كانوا في منأى ومعزِل عن عالم المدنيّة وفي فترة وجيزة من الزّمن برز منهم وفي شتى الميادين عدد من الرجال لا يُستهان به وتسلّموا مناصب راقية في المجتمع والدولة وبرز فيهم العلماء والزعماء والفضلاء والشعراء والصحفيون وحملة الأقلام الحرّة حتى أصبحوا أصحاب شأن مرموق، علماً بأنّ عددهم لا يتجاوز ربع سكان البلاد السورية على أكثر تقدير، وفيما نرى أنّ الجمعية الخيرية الجعفرية والقائمين عليها كان لهم الحظ الأوفر من أسباب النهضة الحديثة، وقد كان رئيس الجمعية السبب الحقيقي للإتصال بين الطائفة والعالم الإسلامي الشيعي بوجه عام والنجف الأشرف بالعراق بوجه خاص، وقد كان دائماً ـ طيّب الله ثراه ـ يكتب للمراجع الدينيين ويحثّهم على مسؤولياتهم تجاه الطائفة، وقد كان مبجّلاً ومحترماً لدى الإمام الراحل المحسن الطباطبائي الحكيم رحمه الله، كما كان شديد الدفاع عن العلويين مقدّراً للقوم النكبات والظروف التاريخية الشاقّة والصعبة التي مرّت عليهم، فمن ذلك قصّة ذكرها لي هو نفسه رحمه الله وكان من أمرها أن زاره في مدينة صيدا حينما أبعدته السلطات الإفرنسية عن اللاذقية، الإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدّس سره، وكان مما قال في زيارته للشريف: (إنّني قد جئتُ لعيادتك أولاً ثم السؤال عن معتقد العلويين الذين تعيش معهم، فقد قال لي البعض إنّهم غُلاة).. فأجابه

الشريف بما مضمونه: (لقد ذكرتَ حضرتك: ما كان من أمر (الفتوى الحامدية) في أيام السلطان سليم العثماني في كتابك (الفصول المهمة في تأليف الأمة). . وما جرى على الشيعة بسبب تلك الفتوى الأثيمة في حلب وغيرها، فإنّني أسألك من هم الذين كانوا يسكنون حلب في تلك الآونة، أو لَم يكونوا من الشيعة العلويين)؟. فأجابه شرف الدين رحمه الله: (لقد كشفتَ عني كرباً جزاك الله خيراً). .

وفي حدود ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٢م، ألَّف كتابه القيِّم (تحت راية لا إله إلا الله) في الدفاع عن العلويين وردّ دسائس أعدائهم وكان سبب تأليف هذا الكتاب المباشر وقوع قضية نفقة أقامها رجل سنِّي على أخويه العلويين وكان أبوه قد تزوَّج امرأتين إحداهما سنيَّة سجَّل إبنيْها سنيين والثانية علوية سجل ابنيها علويين ثم توفي الرجل وزوجته السنيّة فقام ابنها وهو ضرير يطلب فرض نفقة له على أخويه لأبيه وكان من أمر المحكمة الشرعية السنيّة أن حكمت له غياباً بالنفقة ثم اعترض أخواه على الحكم وقبلت دعواهما من ناحية الشكل في المحكمة المذكورة، ولمَّا رُدَّت الحُجَج التي تذرّعا بها للتخلّص من النفقة كإنكارهما أولاً أخوّة المدعي بطلب النفقة عليهما لجأ المحامي[1] الذي أقاماه إلى اختلاف الدِّين بشكل شيطاني، حيث ادّعى أنّ العلويين ليسوا بمسلمين وأنهم يؤمنون بعقائد تخالف الشرع الإسلامي، وقد أخذ القاضي الشرعي بهذا القول على علاّته، واعتبر سكوت أحد المعترضين على ما أورده المحامي في دفاعه إقراراً بصحّة ما ذهب إليه مع أنه لم يرد في وكالته صيغة الإذن بالإقرار عن موكليه الغائب أحدهما عن الجلسة، وحكم بقطع النفقة لاختلاف الدّين دون أن يلتفت إلى نقطة هامّة وهي أنَّ المحامي أقرّ موكليه أنّهما علويّان وأنّ

---

(١) هو المحامي الأستاذ إبراهيم عثمان، ووالد المحامي الأستاذ هاشم عثمان مؤلف كتاب (العلويون بين الأسطورة والحقيقة).

طائفتهما تعتقد بما زعم ولم يسأل من علماء هذه الطائفة إذا كانوا يجيزون هذا الزّعم المفترى أم لا؟.

وكان من جرّاء هذا الإفتراء أن ثار علماء العلويين فانبَروا لذلك وأعلنوا براءتهم من كل ما يخالف العقيدة الإسلامية، وأعلنوا بصراحة تامّة أنهم لا يقرُّون كل ما جاء مخالفاً لمذهب أهل البيت (مذهب جعفر بن محمد الصادق)، واضعين بذلك حداً لما قيل عنهم من التخرصات المزعومة في أيام الفوضى، حيث لم يكن لهم محاكم تحكم على مذهب الإمام الصادق (ع) وانتهى الأمر بموقفهم الصريح إلى أن أصبح النظر إليهم لا يختلف عن النظر إلى الشيعة الإمامية، وإليك نص الفتوى التي أصدرها علماء العلويين من تلك المفتريات:

﴿إنَّ الدِّين عند الله الإسلام﴾.

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

قُل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّنعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنْ تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾[1].

قرأنا هذا البهتان المفترى على العلويين طائفة أهل التوحيد ونحن نرفض هذا البهتان أيّاً كان مصدره، ونردّ عليه بأنَّ صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد **﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم. قُل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾**[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) سورة الإخلاص.

وإنّ مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق والأئمة الطيّبين الطاهرين (ع) سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين سيّدنا محمد بن عبد الله رسول الله (ص) حيث يقول:

«إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

هذه هي عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد وفي هذه كفاية لقوم يعقلون.

١ ـ مفتي العلويين في قضاء صهيون، يوسف الغزال.

٢ ـ قاضي طرطوس، علي حمدان.

٣ ـ عيد ديب الخير.

٤ ـ الفقير لله تعالى صالح ناصر الحكيم.

٥ ـ كامل صالح ديب.

٦ ـ صالح ناصر إبراهيم.

٧ ـ يونس حمدان عباس.

٨ ـ حسن حيدر.

٩ ـ المحامي عبد الرحمٰن بركات.

١٠ ـ مفتي العلويين في قضاء جبلة، علي عبد الحميد.

١١ ـ قاضي المحكمة المذهبية في قضاء مصياف، محمد حامد.

---

(١) حديث شريف متواتر لا يحصى له عدد.

المرسوم التشريعي للإعتراف بمذهب أهل البيت (ع)

في ٩ جمادي الآخرة ١٣٥٧

وبفضل جهود الشَّريف عبد الله الفضل وعلماء العلويّين استحصل العلويون من الحكومة السورية في زمن أديب الشيشكلي على الإعتراف بمذهب أهل البيت (ع) وكان خطوة عظيمة حقاً، وهاك النصّ الكامل للمرسوم التشريعي المذكور:

المرسوم التشريعي رقم/ ٣/ :[١]

إنّ رئيس الدولة:

بناءً على الأمر العسكري رقم ٣/ المؤرخ في ـ ٣/ ٣/ ١٩٥١

وبناءً على المرسوم التشريعي رقم ٢٥٧ تاريخ ٨ حزيران ١٩٥٢

وبناءً على قرار مجلس الوزراء رقم ٣ تاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٥٢

وبناءً على المرسوم التشريعي رقم ٣٣ المؤرخ في ٢ ربيع الثاني ١٣٧١هـ ـ ٣٠ كانون الأول ١٩٥١م.

---

(١) تحت راية لا إله إلا الله، الشريف عبد الله الفضل ص ٢٤، مطبعة الإرشاد اللاذقية، ١٣٥٧ه ـ ١٩٣٨م.

وعلى وجود عدد كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري

وعلى اقتراح المفتي العام:

يرســم ما يلي:

المادة الأولى: يضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ٣٣.

الفقرة الثانية: تؤلف لجنة خاصة للجعفريين من علمائهم في مركز محافظة اللاذقية قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفريين ويضاف إليهم شخص واحد من كل قضاء عندما يتعلق البحث في قضائه، ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي العام من العلماء الأكفاء.

مهمّتها: فحص حالة المتزيين بالكسوة الدينية على المذهب الجعفري والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة وإقرار من يحق له الإحتفاظ بهاومنع من تتحقق اللجنة أنه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها.

المادة الثالثة: ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم.

دمشق في حزيران ١٩٥٢

الزعيم فوزي سلو

صدر عن رئيس الدولة مجلس الوزراء: الزعيم فوزي سلو.

وزير الصحة والإسعاف العام، مرشد خاطر.

وزير الزراعة، عبد الرحمٰن الهنيدي.

وزير الدفاع الزعيم، فوزي سلو.

وزير الخارجية، ظافر الرفاعي.

وزير العدل، منير غنام.

وزير الداخلية الزعيم، فوزي سلو.

وزير المالية، محمد بشير.

وزير المصارف الزعيم، سامي طياره.

وزير الإقتصاد الوطني، منير دياب.

وزير الأشغال العامة والمواصلات، توفيق هارون.

القرار رقم (٨)

إن المفتي العام للجمهورية السورية:

بناءً على المرسوم التشريعي رقم/ ٣/ المؤرخ في ١٥ حزيران ١٩٥٢

يقرّر ما يلي:

المادة الأولى: تؤلف لجنة فرعية في مركز محافظة اللاذقية من السادة:

حضرة صاحب السيادة الشريف عبد الله/ رئيساً.

الشيخ علي حلوم مفتي قضاء اللاذقية/ عضواً.

الشيخ عيد ديب الخير/ عضواً.

يشترك مع هذه اللجنة الفرعية المذكورة عضواً واحد ليمثل القضاء المذكور حذاء اسم كل من السادة:

- كامل حاتم عن قضاء اللاذقية.
- عبد الله عابدين عن قضاء الحفة.
- حيدر محمد أحمد عن قضاء جبلة.
- يونس ياسين سلامة عن قضاء بانياس.
- عبد الهادي حيدر عن قضاء مصياف.
- محمود سليمان الخطيب عن قضاء طرطوس.

ـ عبد اللطيف ابراهيم عن قضاء صافيتا.

ـ علي صالح حسن عن قضاء تلكلخ.

فمهمة هذه اللجنة فحص كفاءة المتزيِّين بالكسوة الدينية (على المذهب الجعفري) والذين يرغبون ارتداء الكسوة وإقرار من يحق له الإحتفاظ بها ومنع من تتحقق هذه اللجنة أنه دخيل على سلك رجال الدين في ارتدائها.

المادة الثانية: ينشر هذا القرار ويبلغ ما يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق في ١٧ شوال ١٣٧١هـ ـ ٩ تموز ١٩٥٢م.

المفتي العام للجمهورية السورية
التوقيع: محمد شكري الأسطواني
رقم ٣٥١٠/ ٢٩٢ـ - - -
صورة إلى محافظة اللاذقية
المفتي العام

* * *

الشيخ سليمان أحمد (قدس الله روحه)

وهذا هو النداء المنبثق من الصميم لعلاّمة الجيل الماضي فضيلة الشيخ سليمان أحمد قدس الله روحه ونفعنا بعلمه وهو يخاطب شيعة المرتضى على اختلاف طوائفها:

يا شيعة المرتضى الهادي نداءُ فتى يستلفتُ الطرف منه دمعه الهامِ
يا خير حزب لخير الأوصياء له ضياء نورين إيمان وإسلامِ
طرقت بابكم والبر شيمتكم بطارقٍ وافدٍ للخير معتامِ
أنتم موالي أمير النحل حيدرة لقد سعدتم بذاك المنصب السَّامِ
فالحمد لله نلتم بالولاءِ له فضلاً على الناس من عرب وأعجامِ
إذا دعاكم إلى الإصلاح داعية نادى بكل جري الجأش مقدامِ
جُدوا إلى طلب العلم الذي دُرست آثاره ثمّ إلاّ رسم أعلامِ؟
خُذوا بما قد رويتم عن أميركم قولاً تنزّه عن عيب وعن ذامٌ
فلو رأيتُ فتى من شيعتي عطلاً علوتُ هامته ضرباً بصمصامِ
وإنّما أنتم مثل الورى بشراً لن تدركوا المجد عفواً دون إقدامِ
كونوا كما أوضح المولا صفاتكم تستوجبوا كلّ إجلالٍ وإعظامِ
إخوان صدق صفتْ من كلِّ شائبة قلوبهم، فسناها مشرق تامِ
واهاً لكم قد أفاق الناس كلّهم وأنتم بين إيقاظ كنوَّامِ
قد أقدموا لمساعيهم ووقتكم مضيّع بين إقدام وإحجامِ
يسعون في العلم من حلٍّ إلى حرم ونحن نرضى بإحلال وإحرامِ

أتطلبــون مســاواة بهــم بعُــدت ... مســافــة بيــن ذي جهــل ولــوَّامِ
فــازوا بــراحــة أجســام كمــا طلبــوا ... والفــوزُ راحــة أرواح وأجســامِ

* * *

عــارٌ على الشعب أن يبقى بغفلتِهِ ... مستعبــد لخُـــرافــاتٍ وأوهـــامِ
أكُلَّمــا جــاء دجَّــال بمخــرفــةٍ ... صــدَّقتمــوه ولا تصــديــق إلهــامِ
جِــنٌّ وسحــرٌ وتنجيــمٌ وشعــوذةٌ ... وتــابــعٌ لأيــامــى أو لأيتــامِ
أضحت حقائق علم الدين عندهم ... مُبضــاعــة بيــن تخييــل وإيهــامِ

* * *

وهكــذا أنفــذت منهــم بكــمْ حيــلٌ ... تــزداد بــالنقــص مــن عــام إلــى عــامِ
أوضحت من عمرها ما كان ملتبساً ... فكــان يــالهــفِ إيضــاحــي كــابهــامِ
دون الحقيقة حجب الوهم مسبلة ... متــى يميــط دَجــاهــا نــورُ إفهــامِ
يــا أيهــا الفتيــةُ النــاجــون أنشــدكــم ... بمــا ينــاشــد مــن قــربــى وأرحــامِ
ألا يــذيــب فــؤاد الحــرّ رؤيتــه ... نــور الهــدايــة مغمــوراً بــإظــلام
هُنتــم فلــذ لكــم للهــون ذلّكــم ... يــا لــوعــة العــزّ مــن ذلٍّ ومــن لامِ
أيــن الإخــاء الــذي جــاء الكتــاب بــه ... فــأحكَــم الأمــر منــه أيّ إحكــامِ
لــو اعتبــرتــم بمــا أدى تفــرُّقكــم ... إليــه فــي الــديــن مــن ذلٍّ وإرغــامِ
إذاً لكنْتــم إذا نــادى النَّصيــح بكــم ... لبيّتُمــوه لِــزامــاً دون إلــزامِ
يــا ويحَ نفســي أراكــم دون غيــركــم ... مكــانـــةً فيثيـــر الفكـــر إيـــلامِ
وإن تذكرتُ ماضيكم تضاعف بي ... وجدي وهمّي وتبْريحي وأسقامي
ذكرى تُعاد تُذيب القلب من أسفٍ ... علــى ليــالٍ لكــمْ مــرَّت وأيــامِ
وتلــك مــن حسرة بــالنفــس دائمــةٍ ... تضْني الفؤاد وجرحي بالحشا دَامِ
أنجــدتُ آنــاً وقــد اتهمــتُ أونــةً ... نصحــاً فللّــه إنجــادي واتّهــامِ
لا تعذُلوا واعذروا فالحقّ قد خَذُلتْ ... دُعــاتــه بيــن عُــذَّال ولــوَّامِ
أعــرَبْــتُ عمَّــا بقلبــي مــن محبّتكــم ... فــلا يكــونَــنَّ إعــرابــي كــأعجــامِ
الله يشهــد إنّــي قــد صــدقتُكُــم ... حبّــي ويعلــمُ ربِّــي صــدقَ إقســامِ

فهـــذه عظتـــي لله خـــالصـــةً | ومـــا أُريـــد عليهـــا نيْـــل إكـــرامِ
فـــإن أجبتـــم نـــدائـــي فهـــو حظُّكـــم | وإن أبيتُـــم فـــورداً جـــازه الظَّـــامِ

المقدس الشيخ سليمان أحمد
ديفة صهيون (اللاذقية)

الشيخ يعقوب الحسن

وللعلامة العَلَم، والوليّ التقيّ الورع المغفور له الشيخ يعقوب الحسن من بعض مؤلفاته الكثيرة ومن بحار علومه الغزيرة هذه القصيدة الرائعة ذات النفس الإنساني:

يَمِّمْ هُديت مغانِ العلم تغليسا ... ولازم الجدّ تصريحاً وتعريسا
وروِّض النفس في ريّع الصِّبا أدباً ... فمنْ ينامُ الضّحى لا يُدرك العيسا
إنَّ البصيرة مرآة بجدَّتها ... فاسرج بها حكمة الرحمٰن فانوسا
واخطب حسان المعالي والصّبا خضلٌ ... فعن قريبٍ تُريك الودّ معكوسا
واخلع رِدا الكِبر إنْ نلتَ العُلا فكَما ... علمتَ أهوى نجار العُجْب إبْليسا
فالنّجم يوري اتّضاعاً وهو مرتفعٌ ... أما ترى في قرار الماءِ برجيسا
وثوبُ صمتٍ لعمري حيكَ من أدبٍ ... خيرٌ من الخزن إنْ تبغِ المَلابيسا
واعص الهوى أنِفاً واحذرْ عواصِفهُ ... فكم دَعَتْ من جميل الذكر مطموسا
واركن إلى الحقّ في قولٍ وفي عملٍ ... لا مثل من يدَّعي الإنصاف تدْليسا
وكُن بدينك بعد العلم في ثقةٍ ... فالغرُّ محتقرٌ إنْ ساسَ أو سِيسا
فالدِّين لله والأعمال تُثبِتُهُ ... والعدلُ يشملُ مسعوداً ومنحوسا
ومن يقوم بما جاءت شريعَتَهُ ... فلا يخاف غداً من ربِّه بوسا
ومن عصى داعيَ التأذين عن عمدٍ ... أنأى عن الحقّ ممَّن طاعَ ناقوسا
وما يضرّ أخا التهويد ناسبُهُ ... إلى الضَّلالةِ إنْ أدّى النواميسا
أدينُ لله بالدّين الحنيف وقدْ ... آمنت حقّاً بما وافى به عيسى

ومذهبي الشرع لا أهوى القياس به ... من حيثُ لم يفرُضِ الله المقاييسا
وللجوامع حق الفضل عن بِيَعٍ ... إذْ لا يريدُ بها الصقرُ، الطّواويسا
يا للبصائر للدِّين الذي احترمَتْ ... أنصاره الكأس دون الشرع والكيسا
كيف السَّبيل وقد ضلَّ الدَّليل هُدى ... دُعوا إماماً وحاخاماً وقسِّيسا
قد صيَّروا كُتُب الإلهام مأكلةً ... ودنَّسوها فبئسَ القومُ تدنيسا
وغادروا حكمها لغواً وما اعتبروا ... لسوءِ ما قصدوا إلاّ القراطيسا
يبدون نُسكاً وإن حقَّقته شَرَكٌ ... وحيلةٌ لُبِّستْ بالمكرِ تَلْبيسا
يحكون بالقولِ إنْ قالوا ملائكةً ... وبالأفاعيلِ تلقاهم أباليسا

* * *

كأنّما الدِّين جلباب أبيح لهم ... كما يشاؤون مخلوعاً وملبوسا
فانظر بما عُوقِبوا إذ باتَ عندَهُمُ ... من التزيُّن شرع الله منكوسا
دعهم سوى قولهم فالحقّ غايتَهُ ... ما أوجب الله أحكاماً وناموسا
واختر لِنفسكَ حُرّاً طابَ موردُهُ ... دِيناً وظلَّ به ما عِشْتَ مأنوسا

وهذه أيضاً رائعةٌ من روائعِهِ بمدح صاحب الشريعة الغرّاء (ص١)

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قِفْ عن يمين الحِمى إنْ جئتَ ذا سَلم وأقرَ السلام بدور الجِذع من إضْمِ
واشك الجوى عن أخي وجدٍ تؤرِّقُهُ ... ذكرى ليالٍ بظلِّ الضَّالِ والعِلَمِ
يهمِي إذا طيْفها بالوَهْمِ مرَّ على ... خَدَّيْهِ من عبراتِ الدّمع كالغام
ناءٍ يعلِّل نفساً باللِّقاءِ ومَا ... يُجْدِي وثغر الأماني غيرُ مبتسم
يُخفِي الهوى كمداً خوف العذولِ وهلْ سرٌّ يُصان لدى واشٍ من السَّقم
يصبو وماءُ الصبا يَبْتَزُّ رونَقَهُ ... وخطُ المشيبِ وإنذارٌ من الهرمِ
يا ساكني الجزع هلْ عطفٍ على دنفٍ يشفي غليل الجوى يا ساكني الحرم
ما أومَض البرق إلاّ شفّني ألمٌ ... ولوعةٌ من تجنّيكم على ألمي
ولا تثنّى بأنفاس الصَّبا فنَنٌ ... إلاّ وغرّد أينك الوجد في رتمي

حَتّام أجرعُ من كأس النّوى غُصَصاً وأمزجُ الدَّمعَ من هجْرانِكم بدمِ
قد شابَ فَوْدَايَ والآمالُ صائبة في حبكم وهيامي غير منفطمِ
ما أحسن الحبّ لولا اليأس من أملٍ وأجمل الصبْر لولا آفة السَّأمِ
حيَّتكَ يا ملعب الآرام غاديةٌ تبكيكَ كلّ غداة عبرةُ الدسيمِ
ما أنسَ لا أنسَ والأوهامِ باعثة مَحْوَ القُذَالِ ولم تفترْ عَنِ اللَّمَمِ
أيّاميَ الغُرَر اللاّتي قضيْتُ بها عصر الشبيبة بيْن الزّندِ والحزْمِ
رقّت برقّة لطف الخيم من سكني وافترَّ ثغر لياليها بِبُشْرِهِم
لله يا مهد أقمار عهدتُ به صفوَ الحياة وظِلاًّ وارِفَ النِعمِ
تخشى المجرّة أن تهوي كواكبها إليه مما رأت من وجدِهِ بِهِم
عصرٌ تجلّى به نورُ الهُدى وبدتْ نواجذُ الدهرِ في أعصاره الدُّهمِ
قد تاهت الأرض في إبّانِهِ مَرَحاً على السَّماء وسُكناها على النُّجُمِ
أينَ البدور وإنْ تَمّتْ سِنا وزها وَضاً النُّجوم كمالاً منْ وجوهِهِم
هُمُ الأئمة يُهدى المتّقون بهم مثلَ الأهلّةِ والأنوار في الظُّلَمِ
لا أبْرأ الله سقمي من محبّتهم ولا خبْت نارُ وجدي من ولائِهِم
آل النبيّ فروع المرتضى وكفى فخراً بِهِمْ ثُمَّ بالزَّهراء أمِّهِم
هُمُ الصِّراط السويّ المستقيم إلى الرّحمن والعروة الوثقى لمعْتصمِ
هُمُ الأجلّون عند الله منزلةً سادتْ بفضل رسول الله جَدِّهِم
شمس الهُدى آية الحق الّتي نسختْ أوابد الشركِ بالإعجاز والخزمِ
خلاصةُ الكونِ بلْ سرُّ الوجود ولا حدٌّ ومشكاة وحيِ الله والكِلَمِ
المصطفى الطاهر المبعوث مرحمة للعرب حيث النِّجار الشمُّ والعجمِ
محمد خاتم الرسل الكرام ومن في القدم كان وسر الكون في القدمِ
نورٌ بدا من سنا الرّحمن خالقُهُ قبل التَّواصل بين الصُلْبِ والرّحمِ
لا يدركُ الفهم معنى من لطائفه ولا يحدّ ثناه ناطقٌ بِفَمِ
جلّت معانيه عن وصفٍ يُحيط بها من حيثُ لا تُدركُ الأعداد بالرَّقمِ
وهل يقوم بأثناءٍ لِعَظَمَتِهِ عيٌّ ونورُ اسمه في اللّوح والقَلَمِ

وحسبُـهُ نبـأ المعـراج معجـزةً   وصـادق الـوحي والآيـات والحِكَـمِ
يـا أقـرب الأنبيـاء الطُّهـر منـزلـةً   مـن ربِّـه وأبـا الـوافيـن بـالـذِّمَـمِ
مـولايَ عثـرةُ جـانٍ يستقيـلُ ومـا   مـن قـائـلٍ لأخِ العثـرى لعـاً وعـمِ
لقـد جنيـتُ جِنـايـاتٍ دعتْ كَبِـدي   مـن هـولِهـا وزفيـر النّـور كـالحُمَـمِ
وقـد ركبـتُ رهْـان الغـي فـارهـةً   فما حصلتُ على شيءٍ سوى النَّدمِ
أنت المشفَّع بل أنت الشَّفيع ولي   حسسنُ اليقينِ بنيلِ الصفحِ عن إثمي
فكنْ شفيعي لدى حدّ الصّراط وخُذ   يـا مـالِكـي بيـدي مـن زلَّـةِ القَـدمِ
ولا تُزِد عن ورودِ الحوْض راحلتي   واشفِ الغليل غداً من مائِهِ الشَّيمِ
يـا ربِّ كُـنْ لـي بمـا أدعـوك مفْتَقِـراً   يـوم المعـادِ عَفْـوّاً غيـر منتقِـمِ
وصـلِّ مـا غـرَّدت بـالـدَّوح سـاجعـةً   علـى نبيِّـك نـور الفـوز فـي الأمَـمِ

* * *

ويطلُّ علينا علاّمة الجيل ومرجع أهل الولاية والدّين فضيلة الشيخ عبد اللطيف إبراهيم بهديّته الكريمة التي بها يفتتح ديوانه الشعري الصادر في ١٤ رمضان ١٣٩٩هـ و ٧ آب ١٩٧٩م، فلمن الإهداء؟ فيقول:

ما قرأتُ لعظيمٍ مِنَ العُظماء الذين خلَّدهم التاريخ أعظم من نبيِّ الهُدى والرَّحمة سيِّدنا محمد، صلّى الله عليه وآله، ولا أنبل من رسالته الخالدة وتعاليمه الرَّاشدة، ولذلك أُقدِّم ديواني هديَّة متواضعة له ولعتْرتهِ الطاهرة صلوات الله وسلامه عليهم تبرُّكاً بأسمائهم المكرَّمة ومقاماتهم المعظَّمة سائِلاً المولى سبحانه أن يوفقنا إلى طاعتهم ويحشرنا في زمرتهم ويحيينا ويميتنا على ملَّتهم إنَّه سميعٌ مجيب.

الشيخ عبد اللطيف ابراهيم

مراسلات العلّامة الشيخ عبد اللطيف ابراهيم
مع أئمة الشيعة شرف الدين والأمين وكاشف الغطاء

ويحدثنا فضيلته بلمحة عن حياتِهِ المليئة بالعلم والتّقوى والصّلاح والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحضّ على تدريس تعاليم آل بيت رسول الله عليهم السلام، التي ورثها عن المرحوم والده الذي كان علماً من أعلام الدِّين والذي توفاه الله في ريعان شبابِهِ، وتسنّم فضيلته منبر العلم الموروث كابراً عن كابر. . . إلى أنْ قال:

وفي عام (١٣٤١) اتَّصلتْ بصديق والدي الوطنيّ المجاهد الشيخ أحمد عارف الزّين صاحب مجلة العرفان بصيداء واشتركت بمجلّته ونشرتُ فيها بعض قصائد ومقالات، وأول كتاب وصلني من صاحب العرفان يقول فيه:

(ما زلتُ في غمٍّ مقيم مقعد كلما تذكَّرتُ المرحوم والدكم وما كان عليه من الفضل الجمّ والأخلاق الفاضلة والسيرة الحَسَنة، وقد سُرِي عني وسُررتُ حين ورد كتابك اللطيف وعلمتُ أن المرحوم خلّف من يقوم مقامه والولد سرّ أبيه).

وفي عام (١٣٤٣) اتصلتُ بصديق والدي سيادة المجتهد الكبير السيِّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، في مدينة صور وجرتْ بيننا مراسلاتٍ قيّمة أشار إليها السيِّد بقوله: (أما المراسلات بيْني وبينكُم فلو جُمِعَتِ لكانت

كتاباً فذّاً في بابه وهو من الآثار الحسنة يوجد عندنا جلّ موارده القديمة والحديثة، فمن المناسب جمعه بقلمكم والرأي لكم). ومدحتُ سيادته بقصيدة أُعجب بها وأجاب عليها سيادته، وهذه هي:

لا الشمسُ محتاجةٌ مدحاً ولا القمرُ ... كلاهُما باهرَ الأوصافِ مشتهرُ
في كلّ ذرَّة نورٍ من أشعتها ... مدحٌ تُرَدِّدهُ الآفاقُ منتشرُ
كالموسويّ له من فضلِهِ مِدَحٌ ... غرّاء يُطربُ منها السمْعُ والبصرُ
عبد الحسين منار السَّالكين إذا ... جنّ الظلام وغاب الأنجم الزهر
محجَّةٌ للهُدى والرُّشد واضحة ... وحجَّة الله يجلوها فتزدَهِرُ
ونِعمَة من بقايا أنعم سلفتْ ... جاءت بتعظيمها الآيات والسور
هذا شُعاعٌ من الرَّحمن منبسط ... على العيون يراه من له نظر
لا عُذرَ للعينِ في ضوء النّهار إذا ... ضلّت خُطاها وفي الظلماء تعتذر
مولاي خذ بيدي في منهج سلكتْ ... على محبّته أباؤك الغُرَرُ
فقد تبايَنَتِ الأهواء واختلفتْ ... بها المذاهب والآراء والفِكَرُ
ورثتُ عن والدي حبّاً يقرّبني ... إليك وهو صفاءً ما به كدر
حبٌّ ترعرع في قلبي وشبَّ معي ... كما يشبُّ وينمو العطرُ والزَّهر
حتى إذا كبُرَتْ سنِّي وأقعدني ... عجزي تَنَفَّضَ لا عجزٌ ولا كبر
ما كنتُ أحتاج أن أثني على قمرٍ ... يكفي ثناءً عليه أنّه قمرُ
ولا أُعدِّد شيئاً من محاسِنِهِ ... فيه ثناءٌ طويلٌ وهو مختصرُ

صافيتا ٢ ذي القعدة ١٣٦٤هـ

فتلطَّف سماحة الإمام السيِّد وأرسل بهذه الرِّسالة اللطيفة إلى الشاعر العلاّمة ننقل منها ما يلي بالحرف:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ولدي اللطيف وأخي الشَّريف ومهوى فؤادي ومناطه، بوأك الله مبوأ صِدقٍ من فضله، وعصمك بذمامه المنيع من كلِّ سوءٍ، والسلام عليك أبداً

وعلى من إليك وسائر من لديْك ورحمة الله وبركاته . .

سبحان الله ما أصفاك وماأوفاك وقدّس الله أباك.

وليس الجود مُكْتسباً ولكن   على أعراقها تجري الجيادْ

نهج لك في الفضل والأخلاق سبيله فاقتفيت أثره واستننت بسنّته (ومن يُشابِهُ أباه فما ظلم).

أتحفتني بمثالك[1] الجميل الوضيء مشرق الجبين وضّاح المحيّا، فقرأتُ عنوان الكرم في أسرته وتوسّمتُ مخايل الشَّمَم في غُرّته ولا غروَ فإنّك تَوأم النّجاة وضوء المروءة وخلاصة الفضل، وبقّية ذلك العالم العليم فشكراً لتحفتك السنيّة وتلك التحيّة، قُوبلت بمثلها نزولاً على رغبتك، ولله عبقريتك الشمسيّة القمريّة صِغْتَها من خالص النّضار غُرراً ودُرَراً فلِلَّهِ أبوك ولا فضّ فوك وإليك ثبت الأثبات في سلسلة الرّواة إجازة وجائزة وأنت أهل لذلك والسلام عليكم وعلى من آل إليكم وسائر من لديكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

صور ٢٣ ذي القعدة ١٣٦٤هـ

وفي عام (١٣٤٣) اتصلتُ بسيادة المجتهد الكبير السيد محسن الأمين الحسينيّ العامليّ في دمشق وجرتْ بيننا مُراسلات شرعيّة مفيدة . .

وفي عام (١٣٥١) اتصلتُ بصديق والدي سماحة الإمام المجتهد الكبير الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء النَّجفي وجرتْ بيننا مراسلات فقهيّة وحييته بالقصيدة التالية وعنوانها (يا منصف الإسلام من أعدائه):

أهدي الحسين تحية من مُغرم   ورثَ الصَّبابة عن أبيه صغيرا

نشأتْ بجانبه الرَّحيب كأنّها   في الروض زنبقة تصوغ عبيرا

---

(١) أراد بالمثال رسم الشاعر الذي أهداه لسماحته، مقابله بإرسال رسمه إليه.

عجْلى النموّ كأنّها طَوتِ المَدىٰ ... وثباً لتملأ مُهجةً وضميرا
زمنٌ تقضَّى لم يكن هجري بِهِ ... تجديد عهدك سلوة وقصوراً
بلْ كنتُ فيه كناشىءٍ في وكره ... تكسو حداثَةُ جانحيْه شكيرا
يرمي بناظره الرُّبى وبِودِّه ... لو يستعيرُ قواد ما لِيَطيرا
حتى إذا كمُلت منابتُ ريشِهِ ... وافى الإمام محمَّدا مسروراً
غرِداً يلحِّن من أناشيد الهُدى ... نفحاً يذوب عواطفاً وشعوراً
يامنصِف الإسلام من أعدائه ... وحسامُه المتلألىء المشهورا
ما زلتَ تحرُس دين آل محمد ... وتذود عنه مظفَّراً مسروراً
من آل من كشفوا الغطاء وبيَّنوا ... لذوي البصائر سترهُ المستورا
مِمَّن إذا دَجَت الضَّلالة أطلعوا ... فيها نجوماً للهدى وبدورا
السّاكن النجف الشّريف وذكرُهم ... ما انفكَّ يمعِن في البلاد مسيرا
كالزّهر أطلق في الفضاء عبيره ... وثوى فزيَّن روضه وغديرا

صافيتا ٢٦ رمضان ١٣٥١هـ

وقد تلطَّف سماحة الإمام الحسين فأجاب الشّاعر بهذه الرّسالة اللطيفة:

بٱسمه وبحمده ومجده من النجف الأشرف آخر شوال ١٣٥١ إلى صافيتا، عزيزي ونور عيني الأديب البارع الشيخ عبد اللطيف أدام الله ألطافه عليه لك السلامة وعليك السلام.

وردني كتابك:

فذكَّرني عهداً وما كنت ناسياً، ولكنه تجديد ذكرعلى ذكر وقد تمثَّلتْ لي فيه روح والدك البرّ المرحوم العلاّمة، أعلا الله في الفردوس مقامه، وحيثُ أنّ عمّك الحسين قد شبَّ عَن طوق الشعر وتجاوز ريعان الشبيبة إلى سنّ المشيب، وأعجزه الكبر عن معاناة الشعر ومعاطاة الغزل والتشبيب، وقد هاجت الذِّكرى بَلابِل أشواقي الكامنة وحرّكت نغمات أبياتك الشجيّة جمرات أشجاني السَّاكنة، حتَّى لم أستطع عنها تعبيراً ولم أكن على تقدير إبداعك

بالنَّظم قديراً لذلك أوعزتُ إلى بعض شبابنا والملازمين لنا أن يعربوا لك في سلك النظم عن شذارات ودِّي وجذوات شوقي وإعجابي بكَ وتقديري لفضلِك وأدبك، فأنا أغرق نزعاً في الشُّكر لله جلّ شأنه في أن جعل لخليلي المرحوم والدك العَلَم خلفاً مثلك، فطوبى لذلك السّلف وبقياً لهذا الخلفْ، فيا أطال الله عمركَ وأبقاك يا قُرّة عيني وقرّة عين الكمال والفضيلة والعلم والأدب والصِّدق والوفاء ولتكن على صلة مني متواصلة فقد تبرَّأت من هوايَ المنزلة الكاملة فأتحفني في البرهة بعد البرهة بخبر سلامتِك وطيّبات مُراسلتِكَ وكُن ولَداً وصُولاً تجدْ لك أباً برّاً. . .

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ويتابع علاَّمتُنا الجليل حديثه فيقول:

كما جرت مراسلات قيِّمة بيني وبين شيوخ وسادة مجتهدين، كالشيخ محمد جواد مغنيّة مستشار المحكمة الجعفرية العليا في بيروت، والشيخ حبيب آل إبراهيم مفتي بعلبك والإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وفي عام ١٣٦٨، أهْدِيَتْ لي رسالة الإسلام القاهريّة لِجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية برئاسة حضرة صاحب المعالي محمد علويّة باشا، فوجهتُ إليه كتاباً مؤيِّداً للفكرة القيِّمة التي هي مبتغانا والخ. .

وممّا أُخذ عنه ودُوِّن في كتب العلويين ومصنفاتهم، أشعاره البليغة والتي لا تمحي آثارها الدهور والأزمنة ومنها بعض المدائح:

شعر الشيخ عبد اللطيف ابراهيم بأهل البيت (ع)

بعنوان:

يا أبا الزهراء

خير المدائح يا أبا الزهراءِ ... شِعرٌ زَهَا بصِفاتِكَ الغَرَّاءِ

شعرٌ يفيضُ به الشّعور معبِّراً ... عن نُبْلِ عاطفةٍ وصدقِ وَلاءِ

يا خيرَ خلق الله عذري واضحٌ ... إذْ كان يقصُر عن عُلاكَ ثنائي

ماذا يقول المادِحون على الثرى ... في وصف ممدوحٍ بِكُلِّ سَماء

يا خاتم الرُّسل الكِرامِ تحيَّةً ... عطريَّةَ النَّفحاتِ والأنداءِ

أنتَ المشفَّع بالأحبَّة في غدٍ ... وعلى ولائِكَ قد عقدتُ رجائي

أيكونُ مَنْ والاك إلاّ فائزاً ... بالحشرِ تحتَ الرَّايةِ السمحاء

يُسقى بكفِّكَ من زُلالٍ باردٍ ... في الحوض ينقع غلَّة الأحشاءِ

أنا واثقٌ بك أن أوفَّق للمُنىٰ ... وأنال ما أرجو مِنَ النَّعماءِ

وقال في قصيدة أخرى بعنوان:

كلّ امرءٍ مع منْ أحب

يا خليلي هذي الحياة ظلام ... في ظلامٍ والعقل منه السِّراج

ليس من كان هائِماً في دُجاها ... مثل سارٍ بنوره الوهَّاج

أفضل الناس في الحياة أُناسٌ ... عرفوا الحقّ واضحُ المنهاج

ما ثناهمْ عنِ الحقيقة ثانِ ... كلُّهم باتّباعه الحقّ ناجي
بينَما الجاهلون في حمأة الجهل ... كغرقى في لُجَّة الأمواج
منعتهم أهواؤهم رؤية النُّور ... فتاهوا وخبَّطوا في الدَّياجي

* * *

ما بنا من هِدايةٍ وصَلاحٍ ... فهوَ من فضلِ صاحبِ المعراج
سيّد الأنبياء والرُّسل طَه ... ملجأ المتسغيث كهفَ اللاّجي
والإمام الوصيُّ مفني الأعادي ... ومبيدَ الخصوم يوم الهياجِ
صارم لا يمرّ بالشرك إلاّ ... خَضَّبَ الأرضَ مِنْ دمِ الأوداج
وبينه الهادين في كل عصر ... حُجَجُ الله لات حين احتجاج
وسفينَ النَّجاة تهدي إلى الشاطىء ... مِنْ غير خِيفَةٍ ولَجاج
كل امرءٍ معْ مَنْ أحبّ وأنّي ... معهم مُذ نشأتُ في أدراجي
لو تطلَّعتَ في جوانحِ صدْري ... وهي ملأى بالأنسِ والإبْتِهاج
لتيقَّنتَ أنني في هَواهُمْ ... مطمئنُّ الضَّمير صافي المِزاج
ربِّ زِدْني بَصيرةً بِهُداهُم ... واحْمِني من منافِقٍ ومُداجي

وبعنوان:

أمعنتُ بالنظر الصَّحيح فراقَني

يقول:

لما رأيتُ القوم مالوا للهوى ... وتفرّقوا شِيَعاً ولمْ يَتَبَصَّروا
آمعنتُ بالنظر الصَّحيح فراقني ... نور يطلُّ على الوجود ويغمر
نورُ الهِدايةِ بالنبيِّ وآله ... كالشَّمس يصدُرُ من رآه وينذر
مَنْ كان معروفاً بحبِّ محمَّدٍ ... فجزاؤه منه النَّعيم الأكبر
يا ربِّ فاحشرني به وبِآلِهِ ... حيثُ المحبُّ مع الأحبَّةِ يُحْشَرُ
أأخافُ حرّ النار يوم ورودها ... وقسيمُها مولى البريَّة حيدرُ

وأنـا لـهُ منـذ الطُّفـولـة وارثٌ حبّـاً يشـبُّ مـع الـزَّمـان ويكبُـرُ
هيْهـاتَ يقبلنـي بـإخـلاصـي لـه قـوم وإنْ تـاهـوا بـه واستكبـروا
(عبد اللطيف)[1] وليٌّ من والاهم وعـدوٌّ مـن عـاداهـم لا يُنْكِـرُ
ولقد رضعتُ مع الحليب هواهُمُ يبقـى معـي وأنـا أمـوتُ وأُقْبَـرُ
ويكـون فـي قبـري أنيسـاً صـادقـاً إنْ جـاء يسـأل نـاكـراً أو منكِـر
ثقتي[2] وهم أهل الشفاعة في غدٍ تمحـى بحبّهـم الـذنـوب وتُغفـرُ

وهذان البيتان لبعض الشعراء فأضاف عليهما فضيلتُهُ الأبيات التالية:

قُـلْ لِمَـن والـى علـيّ المـرتضـى لا يخـافـنَّ عظيـمَ السيِّئَـاتِ
حبّـه الأكبـر لـو صُـبَّ علـى سيِّئَـات النـاس صـارت حسنـات

* * *

شَـدَّ فيـه الله أزر المصطفـى فتـولّـى عنـه كشـف الكـربـاتِ
كلَّمـا رايـة شـرك رُفِعَـت وتصـدَّت لأذى هـادي الهـداةِ
كـان فيهـا لعلـيٍّ جـولـة تقمـع الشِـرك وتـؤدي بـالعِـداة
فـإذا الغـازون شـاؤوا إذا حيـدر الكـرَّار ليـثُ الغـزوات
يـا أبـا السبْطيـن يـا حـامي الحِمى ومـذيـع الـرعـب فـي قلـب الطُّغـاة
حُبُّكـم كـالشمـس نـوراً وهُـدى أينَمـا لاح أزاح الشُّبُهـات
أشـرقـت منـه بقلبـي شعلـةٌ لـم تـزل تَـزْدادُ فـي طـول الحيـاة
فـاض مـن قلبـي علـى نفسـي سنـاً فمَحـا مِنهـا بقـايـا الظُّلمـاتِ
كـلُّ قلـبٍ آمـن فـي حبّكـم فيـه بـرهـانٌ علـى صـدق النَّجـاة
قـد رضِعنـاهُ حليبـاً صـافيـاً مـن صدور الأمّهـات المـؤمنـاتِ[3]

---

(١) كل علوي عبد اللطيف، ولا شكّ أنّ كل علوي يحمل في أعماق نفسِهِ هذا الولاء.
(٢) ثقة ورجاء كل علوي، نصيري، جعفريّ، إماميّ، شيعي.
(٣) الصالحات الطاهرات ـ المسلمات ـ العلويات ـ بنات المكرمات.

إلى أن قال:

حبّ النبيّ وآله يكفيني

حـــبّ النبـــيّ وآلـــه يكفينـــي حسبـي بـه ذُخـراً لِيـوم الـدِّيـنِ
مــا زادنــي إلاّ هُـدى بِـوَلايتـي وتمسُّكــاً بعقيــدتــي ويَقينــي
يـا ربّ خُـذْ بيـدي لمـا تَـرضـى بـه واجعل طريق الحق نصب عيوني
لا تــرمِنــي بيــدِ العــدوّ وكيــدِهِ إنّــي أخــاف علــيًّ أن يــؤذينــي
أنـا عبـدُك الـلاّجـي إليـكَ فلقّني خيـراً وكُـنْ فـي الضّـائِقـات مُعيني

ونادى بمودّته لمحمد (ص) قائلاً:

يـــا ربُّ إنَّ مـــودَّتــي لمحمـــد ولآلِــــهِ ولِصَحْبِـــهِ الأطهـــار
فيهـا أنــالُ رِضـاهُـمُ ورضـاهُـمُ فيــه البــراءةُ مــن عــذابِ النَّــار
إنّـي لأرجـو الحشـرَ تحتَ لِوائهم مـعْ مـن يُـواليهـم مـن الأبـرارِ
السَّـالكيـن علـى محجَّـة هَـدْيِهِم نــوراً يلــوح سَنــاهُ لــلأبصــارِ

ثم يُعرف عن حبه الصّادق لآل بيت المصطفى (ع) وهو يصفُ لسان حال كل علويّ ـ فيقول:

حُبُّكــمْ يــا آل بيــتِ المصطفــى قــد تسمكــتُ بــه دنيــاً وديــنْ
هـــو ممــزوجٌ بلحْمــي ودمــي وبــروحــي قبــلَ أن تلبَـس طيـن
وبـــهِ صــرتُ تقيّـــاً مــؤمِنـــاً صـادق الإقـرار مـنّ أهـل اليميـنْ

وهذه الأبيات العذبة أهداها فضيلته إلى تشريفهِ مولانا الإمام عليّ زين العابدين (ع) بمحافظة حماه فقال:

يـا سميّـاً لجـدِّه ابـن أبـي طـالـب وابــن الحسيــن ثــانــي بنيـــهِ
نســـبٌ مـــن محمّـــد وعلـــيٍّ شـــرفٌ تفخــر العــروبــةُ فيــهِ
لــك فــي القلــب منــزلٌ علــويٌّ خيــرة الأصفيــاء مــن ســاكنيــه
وبــآيــاتِــك العِظــام وأبنــائِــك أرجـــو بُلـــوغ مـــا أرتجيـــهِ

وبدعائه لله أن يحشُرَهُ وإيانا مع عترة المصطفى الطّاهرة قال:

مـا زلـتُ أهـوى عتـرة المصطفـى ... وأرتجـي الفـوز بـدارِ النّعيـم
يـا ربِّ فـاحشـرنـا بهـم يـوم ... لا يسـأل فيـه عـن حميـمٍ حميم

وقال أيضاً:

أنـا واثـقٌ بـالله جـلّ جـلالُـهُ ... ونبيِّـه ووصيِّـه وبَنيـهِ
أن لا يسلِّمنـا إلـى أعـدائنـا ... ويجيـرُنـا مـن شـرِّ مـا نجنيـهِ

ولِأحد شعرائنا المؤمنين قوله:

ولايتكـم بنـي المختـار فـرضٌ ... علـى مـن كـان ذا قلـبٍ سليـم
فمـن يـكُ سـائـلاً عنكُـمْ فـأنتـم ... كبسـمِ الله فـي الـذِّكـر الحكيـم

فخمّسة غفر الله لنا ولهُ وللمؤمنين جميعاً بقوله:

إذا حضـرَ الحسـاب وكـان عـرضٌ ... وقـد حُشِـرتْ سمـاوات وأرضُ
أقـول ولـي بمـا أقـرضـتُ قـرضُ ... ولايتكـم بنـي المختـار فـرض
علـى مـن كـان ذا قلـبٍ سليـم

وإنْ ليـلُ الضّـلال طغـى طلعتُـم ... نجـومـاً للهُـدى فيمـا شـرعْتُـم
وأنتـم فـي ابتـداء الخلـق كنتُـم ... فمَـنْ يَـكُ سـائـلاً عنكـم فـأنتـم
كبسـم الله الـرحمٰـن الـرحيـم

ونختتم هذه النفحة العاطرة من أقوالِ سيادته:

بالأبيات الشعريّة التي تلطّف وأهداها لمسجد مولانا الإمام الحسين (ع) بصافيتا، فنُقِشَت على لوحةٍ رخامية ازدان بها مدخل المسجد وهي:

مسجـدٌ للحسيـن سبـطَ الـرسـول ... وسليـلُ الإمـام نجـلَ البتـولِ
للشّهيـد الـزّاكي أبي الشهـداء الغرّ ... زاكـي الفـروع زاكـي الأصـولِ
منقِـذٌ ديـنَ جـدِّه مـن ضيـاعٍ ... هـو والآل بـالـدَم المطلُـولِ

أنشَـأتـهُ جمعيَّـة لا تـزل خيـريَّـة   جعفـــــريَّـــــة المفعـــــولِ
وبعـــــامٍ مـــــؤرِّخٍ شيَّـــــدوه   بـــأيـــادٍ تكلّلـــت بـــالقبـــول

١٣٩٤هـ - ١٩٧٢م

ولرئيس الجمعيّة الخيريّة الإسلامية الجعفريّة بصافيتا سابقاً، والفقير لِعفوِ ربِّه تعالى الحاج يوسف خليل محمد العصفوري جامع هذه الشذرات والزهور العَطِرات من الغصون الباسقات والرِّياض الزاهرات:

بعض الأبيات نقشت في صدر المسجد على لوحةٍ كُتِبَ عليها أسماء بعض المحسنين الَّذين تفضَّلوا ببناءِ المسجد في بلدٍ لم يُذكر الله فيه على مِنْبَرٍ في هذا القرن العشرين الميلادي.

فقـال:

بنـــى بيـــتَ الإلـــهِ لنـــا رجـــالٌ   على نهج الصِّراط سَرتْ خُطاهُم
ففـــي جمعيَّـــة قـــد جمَّعتهـــم   بمـذهـب جعفـرٍ عقـدت ولاهُـم
سليـــلُ المجـــدِ نجـــمُ العلـــمِ   عبد اللطيف فمِنْ دعاهُ قد حَباهُم[1]

إلى أن قال: بعد تدوين أسماء السّادة أعضاء الجمعية وعناوينهم:

وأهـــلُ الخيـــر مِـــنْ غـــادٍ وصـــادٍ   لهـمْ كـانـوا الممـوِّل مـن عطـاهـمْ
فنـرجـوا مـن إلـه العـرشِ عفـواً   وغُفـرانـاً لهـم هـذا جَـزَاهُـمْ

---

(١) الشيخ عبد اللطيف ابراهيم وأخوانه المبرِّين. وقد نقشت الأسماء بالكامل على اللّوحة الرخامية التي تصدّرت المسجد بعد اكتماله.

شعر المرحوم الشيخ محمد حمدان الخيّر

في أهل البيت (عليهم السلام)

وهذه باقة من شعر المغفور له الشيخ محمد حمدان الخيِّر يُعبِّر فيها عن تمسُّكه بولاية آل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم وكان ممن شبَّ وشاب ولقي وجه ربّه معتصماً بحبل الولاية، وكان يمثل سلفه الطاهر وخلفه المؤمن بالتعبير عن هذا الولاء الصّادق ومن أقواله:

يا عترة المصطفى يا من بِحبِّهُمُ ... أصبحتُ في شُغُلٍ عن سائر الناس

* * *

لا عاش قلبٌ خليٌّ من مودَّتكم ... ولا امروءٌ في البرايا فضلَكُم ناسي

شرط الولاء لأهل البيت حبّهُمُ ... ويغض أعدائهم في سالِفِ الزَّمنِ

أمانة الله فينا ليس يحمِلُها ... منَ البريَّة إلاّ كلّ مؤتَمَنِ

* * *

لولا ولاية أهل البيتِ لم يَكُ لي ... يومَ المعادِ بنيلِ الفوز من أملِ

لكنّها عملٌ لولا القيامُ بهِ ... لم يقبل الله للإنسان من عملِ

* * *

يا سفين النجاة يا آل طه ... ويحُ من عنكُمُ نأى وتخلّاً

لا رعى الله من بعهد رسول الله ... في بيعةِ الغدير أخلّاً

* * *

يـــا آل بيــت المصطفـــى حبكُـــمْ   فـــي الله منجـــاةٌ لطـــلاَّبِــــهِ
لا ينفـــع الأنفـــس إيمـــانهـــا   غـــداة يـــوم الحشـــر إلاّ بِـــهِ

* * *

ولايَتُكُـــمْ بنـــي المختـــار فـــرضٌ   علـــى كـــل امـــرءٍ بِـــرٍّ تقـــيٍّ
ولـــولاهـــا لمـــا صحَّـــت نجـــاةٌ   ولا عُـــرِفَ السَّعِيـــدُ مـــنَ الشقـــيِّ

* * *

ســـــادتِـــــي لا سَلِمَـــــتْ فِطنَـــــةٌ   مـــن ذكـــركـــمْ تخلـــو ولا ذاكِـــرَه
كلِّـــــي لمـــــن ألهمنـــــي حُبَّكُـــــمْ   سبْحـــانَـــهُ، ألسنَـــةٌ شـــاكـــره

* * *

لا تيـأسـي يـا نفـس مـن رحمـة الله   ولا تخشـــي مـــن السيِّئـــاتِ
فحـــبّ آل المصطفـــى أحمـــدُ   هـــوَّنَ عنـــدي كـــل مـــاضـــيٍ وآتِ

* * *

يـا مـن بهـم أرجـو بلـوغ المُنـى   فـي هـذه الـدُّنيـا وفـي الآخـرة
طـوبـى لنفـسٍ ذخـرت حبَّكـم   وويـلٌ لنفـسٍ لـم تكـن ذاخـرة

* * *

إنِ ادَّخـــر الـــورى للحشْـــرِ زاداً   مـــن التَّقـــوى وفـــازوا بـــالمعَـــاد
فـــإنَّ ولايـــة المختـــار طَـــه   وعتـــرتِـــه الكـــريمـــة خيـــرُ زادِ

* * *

وقـالـوا ألا تنفـكُّ تقْتَـرِف الخطـأ   مـن الله مـا تخشـى صغـار الجـرائـر
رويـدك سـار النـاس للفـوز فـي غـدٍ   وأنـــتَ مقيـــمٌ بيـــن لاهٍ وســـائـــر
فقلـتُ دعـونـي إنَّنـي غيـر جـازع   وربِّـــي أدرى منكُـــمُ بـــالسَّـــرائـــر
ولايـــة طـــه المصطفـــى ووصيّـــه   وسبطيْـه والـزهـراء خيـرُ الـذخـائـر

* * *

وقـال:

همومي وأسقامي أضرت بحالتي   فضاقت بها يا ربٍّ ذرعاً مذاهِبي

إلهي بجاه المصطفى وابن عمه وسبطيه والزهراء فرِّج نوائِبي

* * *

واختتم هذه النفحات العطريّة والأنفاس الزكيّة بهذين البيتين له، عطَّر الله رمسَه وبلَّغه وإيّانا القصد والآمال بحبّ محمد والآل، صلّى الله عليه وآله وسلم.

فقال:

أيكون ميزاني ثقيلاً في غدٍ إلاّ بحبِّي للنبيِّ وآلِه

تَعِسَ امروءٌ أضحى بغيرِ ولائِهِمْ يرجو رضاء الله عن أعماله

* * *

ومسكُ الختام ما قاله علامتُنا الجليل الراحل المغفور له المرحوم الحاج الشيخ عبد الرحمٰن الخيّر، والذي انتقل إلى جوار ربه يوم الأربعاء الواقع في ١١ شوال المعظم ١٤٠٦هـ، الموافق ١٨ حزيران ١٩٨٦م، عن عمر يناهز الرابعة والثمانين عاماً، ودُفِنَ في مقبرة السيدة زينب (ع) وآثر الدفن في ذلك الرِّحاب الطاهر على كل بقاع أرض سوريا وحتى مسقط رأسه القرداحة، وقد نَعَتْه وزارة الأوقاف السورية، وشاركَ في تشييعِهِ الكثير الكثير من عُلماء المسلمين كافّة في جميع الأقطار العربيّة وغير المسلمين وأبّنَهُ ورثاه وشارك بالتعزية بوفاته الآلآف من محبِّيه وتلامذته ومقلِّديه.

وعُرفاناً بفضله وبصدق أقواله فقد اخْتتَمنا هذه المجموعة ببعض مؤلفاته التي كتبها للحقيقة والتاريخ، وما أكثر ما كتب، وفي قصّة التقريب التي أهداني نسخة منها، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

* * *

قصّة التقريب

رمعها الفتوى التاريخية في شأن المذاهب الإسلامية.

أخي الحاج يوسف خليل (أبو علي المندره) صافيتا..

[أقدمها هدية إلى إخواني في الله والدين والوطن بمناسبة عيد الفطر المبارك مع الإبتهال إليه تعالى بالتوفيق إلى النصر القريب على العدوّ الصهيوني الغاصب.. /دمشق/ غرة شوال/ سنة ١٣٨٩/ الموافق ١٠ كانون أول/ سنة ١٩٦٩].

عبد الرحمٰن الخير

﴿إنَّ هذه أمتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾

قرآن كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـم

إذا كانت الدعوات تشرّف بشرف أهدافها، وتسمو بسمو غاياتها، فإنّ لدعوة التقريب أن تقْتَعِدَ أسمى مكانة في تاريخ الإصلاح الإسلامي قديمه وحديثه، ذلك بأنها دعوة إلٰهية، الله هو الذي ثبّت أساسها ورسم نهجها، ووجّه الرّجاء إلى اجتناء ثمرها، كلّ ذلك في آية واحدة من كتابه العزيز إذ

يقول: ﴿إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

فالجملة الأولى تقرر حقيقة من الحقائق الثابتة:

﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ أي هذا شأنهم وتلك حقيقة أمرهم، وهي شبيهة في هذا الأسلوب بقوله تعالى في شأن وحدانيته: ﴿إنّما الله إله واحد﴾ وقوله جلّ جلاله في شأن رسوله: ﴿إنما أنت مذكّر﴾، فليس للمسلمين بعد هذا أن يرموا إلى هدف يخالف هذا الهدف، ولا أن يخرجوا عن مقتضيات هذه الأخوة لأي سببٍ منَ الأسباب.

والجملة الثانية تأمر بإصلاح ذاتِ البين، أي بأن يدرأ المسلمون عن أنفسهم كل ما يفسد علاقة الأخوة التي قرّرها الله بينهم، وفي ذلك تحذير رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، إذ يقول: «إنَّ فساد ذات البين هي الحالقة».

والجملة الثالثة من هذه الآية تأمر بأن يكون الإصلاح بين المسلمين في ظلٍّ من تقوى الله، فتحذّر بذلك من اتباع الهوى والتواء القصد، وأن يزعم فريق منهم أنه ما يريد إلا الإصلاح، بينما هو يريد التعقيد والفلج بالباطل، فإن الله عليم بذات الصدور لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والجملة الرابعة هي جملة الختام، يوجّه الله فيها رجاءنا إلى ثمرة هذه الدعوة فيقول: ﴿لعلّكم ترحمون﴾ وما الرحمة في هذا المقام إلا تيسير اليسرى، لِمَن استقام على الطريقة المثلى.

تلك هي دعوة التقريب في أساسها ومنهاجها وثمراتها.

وفي هذه الكرّاسة القليلة الصفحات عرض وجيز لقصتها، وقِطف شهيّ من شجرتها، فأما العرض الوجيز فقد دبجته براعة العالم المجاهد العلاّمة محمد تقي القميّ، ذلك الرجل الذي عاش للتقريب، بل خُلق للتقريب، وكلٌّ ميسرٌ لِما خُلق له:

لقد كان سماحته أول من دعا إلى هذه الفكرة وهاجر وجاهد في سبيلها حتى أصبحت ثابتة الجذور، باسقَةَ الفروع، دانية القطوف، وصارت والحمد لله شجرة طيّبة ﴿أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربِّها﴾..

فإذا عرضها قلمه فإنه قلم الخبير بها، العارف بمكنون سرّها، وإذا كان قد اختار لهذا العرض أسلوب الإيجاز، فإنّما أراد أن يخفي مواقِف وقفَها لله هو وزملاء آزروه من كبار أئمة السنّة والشيعة ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلاً﴾، لم يكونوا يبتغون بها إلا وجه الله، ولا يريدون أن يعرفها أحد إلاّ الله، لذلك لا يجد القارىء في هذه القصة حديثاً عن الليالي التي سُهِرت حتى الصَّباح ولا عن الميادين التي كوفح فيها الباطل حقّ الكفاح، ولا عن الصِّعاب التي ذُلِّلَت ولا عن الفخاخ التي نُصبت، والشِّباك التي حِيكَت والجهود التي جُحِدت، فحسبه وحسب زملائه المجاهدين أن الله أحقّ الحقّ، وأمدّ الدعوة بروح منه، ووجَّه إليها قلوب عباده المخلصين في شتّى البلاد ومختلف الأوساط، حتى أصبحت دعوة كل مسلم مصلح غيور على دينه ومستقبل أمته ﴿إليه يصعد الكَلِمُ الطيِّب والعمل الصالح يرفعه﴾.

وأما القطف الغالي فهو تلك الفتوى التاريخية الجليلة الشأن، فتوى السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر، الرجل الذي وقف في الصف الأول من صفوف هذه الدعوة، ولم يزل صامتاً حتى أوفى بما عاهد عليه الله تعالى فقال كلمة الحقّ جهيراً به صوته، لتكون له لسان صدق في الآخرين وكلمةٌ باقية إلى يوم الدين.

القاهرة في شوال ١٣٨٩هـ

دار التقريب

قصة التقريب بين المذاهب الإسلامية

بقلم المرحوم المغفور له الشيخ محمد تقي القمي (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآن وبعد أن نجحت فكرة التقريب، بفضل الله وتوفيقه، وتحدثت عنها الإذاعات ونقلت أخبارها وكالات الأنباء، وكتبت عنها الصحف والمجلات.

الآن، وبعد أن خرجت الفكرة من محيطها المحصور بين العلماء إلى محيط أوسع وأشمل هو المجتمع العام.

الآن وبعد أن سجّل التاريخ تلك الخطوة الكبرى التي تمَّت والتي تُعتبر نقطة تحوّل في التاريخ الإسلامي.

الآن وبعد أن تمّ هذا كلّه لا نرى بأساً من التحدث عن نشأة الفكرة، وعن بدء ظهورها، وعن مراحل سيرها، وعن الظروف التي أحاطت بها:

ولا شك أنَّ فكرة تاريخية كهذه باعتبار ما مرت به من الأطوار كانت تحتاج في بيان قصتها إلى مجلد في كلّ عام، ولكن لأِننا نكتب مقالاً فحسب، ولأِننا لا نحب أن نطيل في الحديث عن الفكرة، وإنما نحب أن ندَعَها تتحدث عن نفسها، فإننا نوجز في العرض ما وسعنا الإيجاز.

* * *

لقد كان الإقدام على العمل للتقريب مجازفة خطيرة، تدفع الذهن إلى التفكير العميق في أسئِلةٍ كثيرة:

هل في طاقة المسلمين أن يعالجوا مشاكلهم بأنفسهم؟.

هل هناك مبادىء من صميم الإسلام تضمن للأمة الإسلامية وِحدتها، وبالتالي تضمن لها عزّها ومجدها؟.

هل يفهم المسلمون أنَّ التقريب معناه نبذ كل خلاف؟ أو أنهم لا يرون بأساً بأي خلاف يتبع الدليل، ويراعي الأصول التي لا يحق لمسلم أن يخرج عليها؟.

هل تتحكم المصلحة في النهاية أو يسيطر التعصب؟.

وأخيراً، هل المسلمون يريدون حقاً أن يعيشوا أو أنهم سيظلون يتهاونون حتى في وجودهم ويتركون الأمر لأعدائهم الذين يعرفون كيف ينتهزون الفرصة، ويحسنون الإنتفاع بموقف كل من المتزمتين، الذي يسيطر عليهم الجمود، وأصحاب الهوى الذين يخدمون السياسات الأجنبية وبذلك يزداد ضعفهم ويعجزهم صدّ أي تيار خارج على مبادئهم، فيسهل تحطيمهم والقضاء عليهم؟.

كانت هذه الأسئلة تدور بخلد كل من يفكر في الإصلاح، وتراود عقل كل من يرغب في العمل لخدمة الدين والأمة.

وكان لا بدّ للردّ عليها من تجربة تنير الطريق، وتكشف عن حقيقة حال المسلمين، وكانت فكرة التقريب هي التجربة الأولى من نوعها في هذا المجال!.

ولو أنّ هذه التجربة فشلت ـ والعياذ بالله ـ لكان الجواب على تلك الأسئلة صريحاً واضحاً، فإنّ فشلها وإنْ كان في ظاهره مجرّد ضياع فكرة إلا أنه في حقيقته يكون حكماً بعدم صلاحيّتنا لعلاج أمورنا وعدم بلوغنا مرتبة

الوعي والرشد، بل يكون دليلاً حتى عند أكثر الناس إنصافاً لنا، على أننا لسنا أهلاً لحمل رسالة الإسلام الذي جاء ليحقِّق السلام، ويضمن الخير للبشر أجمعين.

ولو أنها فشلت، لما اقتصر أثرها على ضياع هذه الفكرة، بل كان يمتد على الزمن فيشطب ـ في المستقبل ـ عزيمة كل من يحاول إنجاز عمل إسلامي، أو تحقيق غاية إسلامية، بل ربَّما ألقى هذا الفشل، ظِلاًّ من التشكُّك في مبادئِنا الإسلامية نفسها فنظلم الإسلام ونتيح للبسطاء أو المغرضين أن يحكموا عليه بتصرّفاتنا نحن، وشتّان بين حقيقة الإسلام وواقع المسلمين.

كان الوضع قبل تكوين جماعة التقريب يثير الشجن، فالشيعيّ والسنيّ، كلٌّ كان يعتزل الآخر وكلٌّ كان يعيش على أوهام ولّدتها في نفسه الظنون، أو أدخلتها عليه سياسة الحكم والحكّام، أو زينتها له الدعاية المغرضة، وساعد على بقائها قلّة الرغبة في الإطّلاع.

كانت الكتب المشحونة بالطعن والتجريح تتداول بين أبناء كلّ فريق وتلقى عند كلّ فريق أحسن القبول حتى ولو تكلّمت عن طوائف وعقائد لا وجود لها على سطح البسيطة كما في كتاب (الملل والنحل) الذي يبدو لقارئه في بعض الأحيان كأنه يتكلّم عن خلقٍ آخرين في الكواكب الأخرى.

وفي الجملة كان يسود الفريقين جوٌّ من الظلام، فلا يرى أحدهما من صورة الآخر إلاّ شبَحاً تحوطه الظلمة ولا يتكلّم عنه إلاّ بما توحي به الظلمة، ولا يقرأ عنه إلا ما تسمح به حلكة الظلام.

فإذا ألّف أحد من أبناء الفريقين كتاباً، فهو لا يعرض إلاّ آراء مذهبه ولا يدافع إلاّ عنها ولا يسير إلاّ إليها، وإذا طلب الأمر إشارة إلى ما في غير مذهبه فلا تكون إشارته إلاّ طعناً واتّهاماً، وإلاّ ترديداً لما سمعه أو قرأه أو وَرِثَهُ عن آبائه!

وبذلك كبَّروا الخلافات وضخَّموها وردَّدُوا الشكوك وأسَّفوا فيها، حتى

أصبح كلّ معنى يؤيد الوحدة يقدّرونه في ظلّ الشكوك بما يوجب الفرقة، بل وصل الأمر إلى التشكيك في وحدة المصحف، وشك كثير من أهل السنة في أنْ يكون مصحف الشيعة هو المصحف الذي في أيدي سائر المسلمين، ومع ذلك لم يكلِّف أحدهم نفسه مؤونة التقليب في نسخة من ملايين النسخ التي في متناول يده، ولو أنهم فعلوا لذهب الشكّ ولحُلَّت المشكلة، ولكنهم حكموا على الموجود المحسوس بما ليس فيه اعتماداً على قول مؤلِّف مغرض مات قبل قرون!.

إنَّ هناك قصة تُروى لستُ أدري إن كانت واقعية أم صنعها الخيال:

لقد رووا أن قاضياً في إحدى البلاد رأى يوماً نفراً يمسكون بتلابيب رجل ويجرّونه إليه ويقولون: هذا الرجل يكذّب المؤمنين العدول، فقد شهِد شاهدان عدلان بوفاتِهِ منذ سنين، ثم هو يظهر بين ظهرانينا وهو بوجوده هذا يقذف في عدالة الشهود!..

فما كان من القاضي (الألمعي) إلاّ أن قال: كيف نصدق أنك حي، ونكذِّب شاهديْن عدليْن شهِدا بموتكِ من قبل؟! وحكم بعدم وجوده..

سواءً أصحَّت هذه القصة أم كانت من صنع الخيال، فإنّها تعبّر عن واقع المسلمين الذين لا يصدِّقون عشرات الملايين من المصاحف الموجودة أمامهم، ويحكمون عليها بما قاله مؤلف انقضى على عصره قرون، أتراهم أَلِفُوا تقديس كل ما هو قديم ولو كذَّبه الواقع الملموس؟!.

فإذا أضفنا إلى ذلك تحكُّم عنصر الوِراثة، وحرص الأبناء على الأخذ بما وجدوا عليه آباءهم أو سمعوه منهم، تبيّن بوضوح أن محاولة التقريب كانت تبدو مستحيلة التحقيق.

أجل، ولقد ظلّت الفرقة بين المسلمين غذاءً مناسباً للحكم والحكّام قروناً عدة، دأب فيها كل حاكم على استغلالها لتثبيت سلطانه، ولتحطيم عدوّه

ثم جاءت السياسات الأجنبيّة فوجدت في هذه الفرقة خير وسيلة لتدخُّلها، وبثّ نفوذها ودعم سلطانها وفرض سيادتها.

والسياسات الأجنبية هي التي أوحت إلى كثيرٍ من أعدائنا الذين يتستر بعضهم وراء اسم (المستشرقين) بالعمل ليكمِّلوا إحكام الحلقة ببحوثهم التي تقوم على دسّ السموم، وانخدع بهم بسطاؤنا فكان بعضهم يحكم على بعض بما كتبه هذا المستشرق أو ذاك!.

وهكذا صدَّقنا هؤلاء المستشرقين، كما كنّا نصدِّق المؤرِّخين الدسَّاسين وكتبة الأوهام وواضِعي الأحاديث، وسيطرت علينا جاذبيّة الجديد البرّاق، كما سيطرت علينا هيبة القديم المألوف، فحرَمنا أنفسنا حق التفكير فيما ذكره هؤلاء وهؤلاء، وأنكرنا على أنفسنا أن يكون لنا تفكير مستقل ندرس به أنفسنا من واقِعنا!.

ويجانب هذا وقفت السياسات الأجنبيّة المسيطرة علينا، وقفت بالمرصاد في وجه كلّ فكرة إصلاحيّة ترمي إلى توحيد كلمة المسلمين.

لقد تقرّر (توقيفية) أسماء الله تعالى، فليس لأحد أن يبتكر من عند نفسه إسما لله لم يرد عن الله، وتقرر (توقيفية) العبادات، فليس لأحد أن يبتدع عبادة لم تشرّع.

أما أن يقول المسلم ـ وهو الذي فتح الله أمامه أبواب التفكير في السموات والأرض ـ بتوقيفيّة البحث والتفكير، فهذا ما لم نكن نتصوره، ولكنه مع الأسف الشديد كان سيرتُنا في التعصبات الطائفية.

إنّ الأُسَر التي حكمت باسم الخلافة الإسلامية قروناً طويلة، كانت ترى في آل علي (ع) المعارِض الوحيد الخطير عليها، فكانت تسيء إلى شيعة آل علي وتستخدم الأقلام والألسنة ضدّهم، حتى أوجدوا حول الشيعة كثيراً من الخلط وكثيراً من التشويش، وكان يمكن لأِي مصلح يتصدّى للدفاع عنهم أن يدرأ عن المسلمين شرّ التفرّق، ولكن القوة التي بيد الخلفاء ومقاومة بعض

الحكام من الجانب الآخر كلاهما سخّر الأقلام والضمائر ضدّ كل محاولة من هذا القبيل، وقضى عليها.

نعم، هناك محاولات وقعت فيما مضى إلاّ أنها كانت فردية من جهة، ولم تكن على أساس علمي مدروس من جهة أخرى، وكانت تارة سياسية ترمي إلى وحدة الحكم وتارة غير عملية كمحاولة توحيدالمذاهب سنيّها وشيعيّها وبجانب هذا لم يكن الرأي العام يدرك حينئذٍ ما في التفرق من أضرار.

من أجل ذلك كلّه، لم تنجح واحدة من تلك المحاولات المشكورة، وإن تركت آثاراً في نفوس قلة من المفكرين.

وبعد هذا ساق الله الظروف المؤاتية لإيقاظ المسلمين، وهيّأ الأسباب التي تعين على ذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

فإنَّ الدول القوية التي كانت تهيمن على مقدّراتنا وترسُم لنا سياسَتنا منذ أمد طويل، هذه الدول خرجت من الحرب محطَّمة القوى مخضودة الشوكة، سواءً في ذلك الدول الغالبة والمغلوبة.

وقبل أن تستردَّ الدول الغالبة أنفاسها بدأت بينها حرب ثالثة غير أنها كانت حرباً باردة.

فجعل بعضهم يضرب بعضاً، وجعل كلٌّ منهم يخلق المشكلات للآخرين، حتى سقطت هيبتهم جميعاً، وبذلك سقطت هيبة الدُّوَل التي كنا نؤخذ بها ونسحر بقوّتها وانهارت كبرياؤها وشغلت عن تجديد مساعيها للتفرقة بيننا بمشاكلها التي أصبحت تهدِّد كيانها وبذلك ضعفت قبضتها علينا!.

وهناك جانب آخر من الواقع في هذه الحرب وما ترتب عليها من آثار:

ذلك أنّها أوجدت في الشعوب الإسلامية لوناً من الإعتزاز بالنفس والإعتزاز بالمبادىء الإسلامية، فقد رأوا بأعينهم ما جرّته المدنية الحديثة على صانعيها من ويلات وبلايا ومن فتكٍ ذريع ومن جرائم وحشيّة اقترفها أساتذة

المدنيّة الحديثة ضد الإنسانية، حبّاً في السيطرة.

وأدركوا بيقين أنّ المدنية والمذاهب الإجتماعية التي كان يتيه بها أصحابها في الشرق أو الغرب، والمُثُل التي يتشدّق بها هؤلاء وهؤلاء، لم تستطع أن تكبح من ضراوتهم، أو تحدّ من وحشيّتهم، وأنّ الأسلحة الفتّاكة التي طالما هدّدونا بها استخدِمت للقضاء عليهم.

لقد كان هذا كلّه بمثابة ضجّة أيقظت المسلمين من سُباتهم، ودفعتهم إلى الإهتمام بما عندهم من مبادىء إنسانية ومن مُثُل عُلْيا خدعهم عنها العدو الطامع فيهم بأباطيله حيناً من الدهر، وهكذا كان التنافس بين الدُّول الغالبة المضعضعة، وشعور الإعتزاز عند المسلمين كلاهُما من الأسباب المهيِّئة لظهور فكرة إصلاحية جديدة.

وفي هذا الوقت الذي أرهفت فيه مشاعر المسلمين وقعت حادثة هزَّت عواطفهم هزَّةً عنيفة، مع أنها لو وقعت في غير وقت الحساسية لمرّت عادية ولم تترك أثراً والحوادث العادية إن وقعت في زمن من الحساسية فغالباً ما تصنع المعجزات!.

وقعت الحادثة في الحرم الآمن وفي الشهر الحرام وفي أيام الحج بالذات وراح ضحيتها شاب مسلم قصد إلى الحج وقطع أكثر مراحل سفره سائراً على قدميْه حتى وصل البيت الحرام، وهناك أصابه مرض فغلبه القيء فتلقّاه في حجره حرصاً على طهارة البيت، ولكن حظّه السيِّىء خيَّل لبعض الطائفين أنه يحمل ما يريد به تلويث البيت، فصاح بذلك في الناس، وليس من عادة الجماهير أن تتثبّت إذا هيّجها مهيج، فشهدوا عليه بما كان منه بريئاً، وقتلوه مظلوماً، وهو في رحاب الحرم الشريف الآمن!.

وإنّما كان مبعث ذلك سوء ظنّ طائفة بطائفة، وكان يمكن أن تؤدّي هذه الحادثة إلى أسوأ النتائج وأن تثير الأحقاد، أن تهيّج العصبيات القديمة وأن تقطع الصِّلات بين فريقي المسلمين، ولكن هذه الحادثة أثّرت في كثير من

المفكّرين تأثيراً كان له عاقبة محمودة ووضعت الأصبع على موضع الدّاء فكأنّما أراد الله أن تكون موجَّهة للمصلحين إلى الإهتمام بهذا الدّاء الوبيل، داء التفرّق الطائفيّ بالذات.

ولا عجب أن تكون هذه الواقعة مع ما اكتنفها من خطورة مُفزعة حافزاً على التفكير وعلى العمل، فكثيراً ما يأتي الشر بالخير، لقد بدأوا بسؤال أنفسهم: كيف نعيش أمّة موزّعة على نفسها في دُنْيا الأقوياء؟ كيف يمكن أن نقدم المبادىء الإسلامية إلى العالم، والإسلام في حرب بين أبنائه داخل بلادهم؟ وكيف يتمكّن الذي تسوءُ حالته الداخلية من إصلاح مركزه الخارجي؟.

هكذا بدأنا التفكير في التقريب، ثم سلخنا بعد ذلك شهوراً نبحث في سُبُل العِلاج، فدرسنا الدَّعوات التي سبقتنا وأُفدنا منها كثيراً، ودرسنا المشاكل الطائفيّة برمَّتها، والكتب المعتمدة عند كلّ فريق لنحدّد الطوائف التي تتفق في الأصول الإسلامية، ودرسنا الخلافات الفرعية الفقهية ومبلغ ما وصلنا إليه، ثم حدَّدنا أنجح طريقة للوصول بفكرتِنا إلى الأعماق.

وقد أدّى بنا التفكير إلى أنَّ هذه الدعوة يجب أن تقوم بها جماعة بدل أن يقوم بها فرد يتعرّض لكثير من الأخطار، وأن تكون الدعوة إلى التقريب بين أرباب المذاهب إلى جمع المسلمين على مذهب واحد، فيبقى الشيعيّ شيعيّاً والسنيّ سنيّاً، وأن يسود بين الجميع مبدأ احترام الرأي الذي يؤيده الدليل وأن تكون الجماعة ممثّلة للمذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنّة ومذهبَيْ الشيعة الإمامية والزيْديّة، وأن يمثل كل مذهب علماء من ذوي الرأي والمكانة فيه وأن تكون الجماعة بمعزل عن السياسة، وأن تكون محدَّدة الأهداف وأن يكون سعيها على أساس البحث والعلم كي تثبت أمام المعارضة، وتكسب الأنصار عن سبيل الإقناع والإقتناع، ولكي تستطيع بسلاح العلم محاربة الأفكار الخرافيّة الطفيلية التي لا تعيش إلا في ظل الأسرار والأجواء المظلمة، ولكيْ

تتمكن في الوقت نفسه من مقاومة الطوائف والنحل التي ليست من الإسلام في شيء والتي يحسبهاالشيعيّ سنيّة، والسنيّ شيعيّة، بينما هي في حقيقتها حرب على الإسلام.

وهكذا تكوّنت (جماعة التقريب) معتمدة على الله وعكفت على البحث الدّائب والعمل المستمر، والإتصال بالمراكز الدينيّة في كل بلد إسلامي اتّصالاً هادئاً مثمِراً، وابتعدت بنفسها عن الدِّعاية، ولكن الدعاية جاءتها من قِبَل المعارضين فإن المتعصبين والمتزمّتين وذوي النزعات والأغراض رأوا في نشاط الجماعة بدعة لا يصح السكوت عليها، فبدأوا هجومهم على الفكرة وعلى الجماعة، واشتدّ هجومهم على الأيام وليس بيننا من لم يأخذ نصيبه من هجومهم كاملاً غير منقوص.

لكن الجماعة هيَّأت نفسها لهذا مِن أول الأمر لأِنها تعلم أنها تواجه رواسب قرون، وكانت تتوقع حملات فيها الطَّعن والتجريح، وبدل أن تضعف الهجمات العزائم شحذت الهِمَم وقوّت الجماعة على السيْر بالفكرة إلى النِّهاية.

وكانت هذه الهجمات نفسها دليلاً على ضرورة فكرة التقريب للمجتمع الإسلامي كي يتخلص من العناصر البغيضة ذات التفكير السقيم الذي يبلبل الخواطر ويصرف الأذهان عما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

أذكر أنّ أحد هؤلاء المتعصِّبين ملأ كتاباً بالطَّعن على الشيعة والهجوم علىَ جماعة التقريب لقيامهم بهذه الفِعلة النَّكراء فِعْلة التقريب بين السنة والشيعة!.

وفي الوقت نفسه وصلَنا كتاب عن الطرف الآخر من تلك الكتب المؤلَّفة في عهد الصفوية مليء بالهجوم على أهل السنّة، وكِلا الكتابيْن التقى مع الآخر في الهجوم على فكرة التقريب، فماذا تظن كان موقف الجماعة؟.

إنهم قرؤوا بهدوء تلك المُهاجمات العنيفة، ولكنَّهم لم يتأثّروا ولم يكفُّوا

عن الجهاد، كما كان المؤلِّفان المتجنيان المتعصِّبان ـ سامحهما الله ـ يأمُلان، بل أنهم أجمعوا على أن الجماعة مُلحَّة إلى بذل نشاط أكبر ما دام في العالم الإسلامي هذا النوع من الأشخاص، وهذا اللون من التفكير، وهذا الإصرار على محاولة التفرقة.

ولم يقف الأمر عند هذين الكتابين، بل جاء من مثلهما الكثير، وكثر كذلك الكلام هنا وهُناك، وكلّ هذا في جملته كان يحفز الجماعة إلى أن تسعى لتحقيق ما حسبه البعض مستحيلاً.

لقد كان أكثر الناس يسمي هذا النشاط (محاولة) هيْهاتَ أن تؤدّي إلى نتيجة، وكان منهم من يرى هذه (المحاولة) مستحيلة، وكان فريق آخر يظنها (سياسة) على المألوف من الذين تعوّدوا ألاّ تنبع أفكارهم من ذوات نفوسهم، مع وضوح أنّه لا يمكن أن يكون لسياسةٍ أجنبيةٍ ما رغبة في تجمّع على أساس وحدة المبادىء الدينية لثقتها بأنَّ ذلك هو عين القضاء عليها.

كلّ هذا كان دعاية نافعة لجماعة (التقريب) لَفَتَت إليها الأنظار وجعلت كثيراً من الناس يدرسون فيعرفون فيصبحون جنوداً، فكثُر بذلك أنصارها وضمّ كثير من المفكِّرين وعلماء الدّين في مختلف البلاد جهودهم إلى جهودها، فأصبحت هذه الجماعة التي تكوّنت في القاهرة مركزاً فكرياً علمياً، أعضاؤه من أولي العلم وأصحاب التوجيه والرأي في العالم الإسلامي كلّه، وضاقت الأرض على الأقلام المفرِّقة ونبَّاشي القبور الذين لا همّ لهم إلاّ تحريك الماضي المتعفِّن وإثارة العواطف البغيضة!.

إنّ تكوين الجماعة نفسه كان توفيقاً، لأنهم هيَّئوا للمسلمين مركزاً يصلح النظر في مشكلاتهم ويلتقي فيه رجال الإسلام من كِلتا الطائفتين، ويُظِلُّه الهدوء وتقدير المصلحة، ويسوده الوِفاق لا الخصام.

وكان المسلمون بمشاكلهم الطائفية كانوا في ظلام لا يرى بعضهم من بعض إلا أشباحاً مخيفة، وكأنّ الجماعة أضاءت لهم لترى كل طائفة أختها

على حقيقتها لا على وحي الظلام، ولقد كان للسان الجماعة مجلة: (رسالة الإسلام) دور عظيم، إذ جعلت توصل الفكرة إلى مكتبات العلماء ورجال الفكر، وكان كلّ عدد منها يزيل الستار عن جزء من المحجوب، ويكسب عدداً أكبر لجانب التقريب، وتبيّن بوضوح أنّ المسلمين لا يختلفون في كتابهم ولا في صلواتهم ولا في صومهم ولا في حجهم، بالإضافة إلى اتّفاقهم المطلق في أُصول العقائد وأُصول الدين والتوحيد والنبوة، وليس يضيرهم أن يكون لبعضهم أصول مذهبية خاصة كالولاية عند الشيعة الذين يرون أنّ علياً (ع) وأولاده أحقّ بها من غيرهم.

لقدْ قرأ السنيّ عن الشيعة أبحاثهم واستنباطهم وأعجب بالكثير منها، وقرأ الشيعي عن السنة أن أهل البيت، مجمع بيتهم على حبهم وإكرامهم وأن ما صدر عن بعض الظالمين لا يمثل رأي السنة في أهل البيت.

وعرف أهل السنة أنّ الشيعة يعتبرون الغُلاة نجساً ويحكمون بكفرهم، ويحكمون بخروج أصحاب الحلول كذلك، وإذن فشتّان بين الشيعة على حقيقتها والشيعة التي تصوَّرها المتصورون، وشتّان بين الناصبي الذي كان يناصب أهل البيت العداء، وأهل السنّة الذين يرون في حب أهل البيت عبادة ويصلّون عليهم في تشهدهم (اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد.. وبارك على محمد وآل محمد)..

ولم تكن سنّة التدرج تفارق الفكرة، إلى أن جاء دور جعل الجامعات الدينية إسلامية عامة وهو نصّ في القانون الأساسي للجماعة منذ نشأتها، فالمادة الثالثة (هـ) تذكر من بين أغراضها: (العمل على أن تقوم الجامعات الإسلامية في جميع الأقطار بتدريس فقه المذاهب الإسلامية حتى تصبح جامعات إسلامية عامة)..

فلما تهيّأت الأفكار بعد أن قامت الدار بطبع بعض الكتب الفقهية على نفقة وزارة الأوقاف المصريّة وتوزيعها، جاءت الخطوة الحاسمة بعد ذلك،

خطوة تقرير دراسة فقه المذاهب الإسلامية الشيعية مع السنية في أقدم جامعة إسلامية وهي الأزهر الشريف.

ولم تكن الفكرة إرتجالية، بل كانت مبدءاً نادت به الجماعة منذ نشأتها، فلما قدر لرجل صالح من رجالها المجاهدين ـ له مركزه الديني الكبير ـ أن يجلس على كرسي مشيخة الأزهر كان من الطبيعي أن ينفّذ ما عاهد الله عليه لخير الإسلام وصالح المسلمين.

ولقد زلزل هذا القرار كثيراً من الإنتهازيين وقضى على آمال كثير من المتربّصين ولكن التاريخ لا يخدع، وقد سجّل هذه الخطوة، كحدث هام في تاريخ الإسلام والمسلمين لم يكن سجَّل مثله منذ بدأ الخلاف بين الطائفتين إلى اليوم.

ومن فضل الله العلي الكبير أن اقترنت هذه الخطوة بخطوة أخرى جليلة الشأن، هي تلك الفتوى التي أصدرها صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبّد على أي مذهب من المذاهب الإسلامية التي عرفت أصولها ونقلت نقلاً صحيحاً، فلقد كانت هذه الفتوى ثمرة يانعة من ثمار التقريب صدرت من رجل عظيم ذي مركز خطير في الإسلام اعتنق الفكرة من أول يوم وأيّدها بقلمه وعلمه ومشكور سعيه في كل مناسبة[١].

فنحمد الله على أن المسلمين أثبتوا أنهم جديرون بإصلاح شؤونهم قادرون على علاج مشاكلهم، فإنّ نجاح فكرة كفكرة التقريب رغم المعارضة التي قامت في وجهها والعراقيل التي وُضِعَت في طريقها، في زمن لم يتجاوز ثلاثة عشر عاماً تجعلنا نأمل خيراً كثيراً في مستقبل الزمن.

ولا نحبّ أن ننسى أنَّ أمامنا فريقين من المعارضين، فريقاً له إيمانه

---

(١) يرى القارىء الكريم نصّ هذه الفتوى في صورة زنكوغرافية آخر هذا المقال.

بفكرته وله عذره من بيئته أو ثقافته أو غيرته، وهؤلاء لنا فيهم أمل ورجاء لأنَّ المخلص لا بدّ أن ينتهي به إخلاصه إلى معرفة الحق والرجوع إليه يوماً ما، أما الفريق الآخر فغريق كان أمثالهم يقولون في عهد نزول القرآن لرسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم: **﴿قلوبنا في أكنةٌ ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾**، وهؤلاء لا شأن لنا بهم، ولعلهم لا يعيشون إلا بالفرقة أو يحسون لها لذة لا يحبون أن يفقدوها.

وإني لعلى يقين من أن الفكرة ستكون نقطة الإنطلاق لكثير من الأفكار الإصلاحية، ولا يزال أمامنا خطوات جديدة تحتاج إلى تعضيد فكري كبير لنقدم للإسلام كل ما أخذناه على عاتقنا في القانون الأساسي.

أكتب هذا ولا تزال في خاطري صورة أول اجتماع بدار التقريب ـ ولعلّه أيضاً أول اجتماع من نوعه في الإسلام ـ جلس فيه علماء من السنة والشيعة حول مائدة واحدة، في هدوء العلماء المتضلعين، وفي وجوههم تصميم المجاهدين وقلبوا وجوه الرأي لعلاج داء التفرق، على هدي رسالة الإسلام والمبادىء الإسلامية، فكتبوا بعملهم هذ فصلاً من فصول التاريخ الإسلامي المجيد.

وهكذا قدَّر الله لهم أن يكونوا من صانعي التاريخ، وقدَّر للمسلمين مرّة أخرى أن يعيشوا في نشوة النداء الإلهي الكريم: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون﴾**.

القاهرة

محمد تقي القمي

مكتب شيخ الجامع الأزهر

سجل بدار التقريب

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر، الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، في شأن جواز التعبُّد بمذهب الشيعة الإمامية.

قيل لفضيلته:

إنَّ بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلِّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مثلاً:

فأجاب فضيلته:

١ ـ إنَّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهب معين بل نقول: إنّ لكل مسلم الحق في أن يقلِّد بادىء ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدوَّنة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مذهب يجوز التعبُّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والإجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرّونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

التوقيع: محمود شلتوت

* * *

السيد صاحب السماحة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي،
السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية:

سلام الله عليكم ورحمته، أما بعد فيسرني أن أبعث إلى سماحتكم بصورةٍ موقَّع عليها بإمضائي، الفتوى التي أصدرتُها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية راجياً أن تحفظوها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها.
والسلام عليكم ورحمة الله.

شيخ الجامع الأزهر
محمود شلتوت

الخاتمة

وأخيراً لا يسعني إلاّ أن أُقدّم الشكر الجزيل وخالص الإمتنان لكلّ من تفضّل وورّثنا هذه المعارف التاريخية الصادقة الدقيقة، وسعى مابوسعه لنبشها من مدافِنها لترىٰ النُّور أضاء لنا طريق حاضرنا ومستقبلنا، كما أنار طريق الماضي للماضين ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. رحمهم الله برحمته الخالدة.

وللإستفادة من هذا التراث الخالد الآبد لا بدّ من نشر مخزونه واطّلاع الأبناء والأحفاد على تاريخهم المجيد وماضيهم التّليد وتعريفهم على أجدادهم الّذين ملأوا الأرض بطولات وأمجاداً وعلماً وثقافة وحضارة ومدنية وديناً وإيماناً، لكي نقتفي وإياهم آثار الماضين وننهج نهج الصالحين منهم، ولكي لا تأخذنا في الله ورسوله وعترته الطاهرة وولايتهم وحبهم لومة لائم، ولنرفع رؤوسنا شامخة بالإنتساب لهم وبالإنتماء إليهم، ولنقول للعالم كلُّ العالم ما قاله الشاعر الفرزدق:

أولئكَ آبائي فجِئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وتالله لقد عجز الدهر ويعجز أن يأتي بمثلهم، هدانا الله بهديهم وثبّتنا على دينهم وولائهم وحبهم ووفقنا للإئتمار بأوامِرهِم والإنتهاء عن نواهيهم وجعلنا لهم شيعة وتبعاً إنّه جوادٌ كريم، عليٌّ عظيم.

ناشر فضائل أهل الفضل
الفقير لله تعالى.
الحاج يوسف خليل العصفوري

المحتويات